

الدين .. والدجل
(٢)

# لحوم مسمومة

رواية

د. نور الدين أبو لحية

دار الأنوار للنشر والتوزيع

الدين .. والدجل

(2)

# لحوم مسمومة

**رواية**

**د. نور الدين أبو لحية**

**الطبعة الثانية**

**1436 – 2015**

دار الأنوار للنشر والتوزيع

dar.elanwar@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

# فهرس المحتويات

# المقدمة

من الإشكالات الكبرى التي يقع فيها من يحاول أن يحاور التيارات السلفية المتشددة هو صعوبة البحث عن المنطق الذي يفكرون به..

ذلك أنه يتصور أنهم – كسائر الناس- يخضعون لمنطق واحد، مع أنهم ليسوا كذلك.. لأن لهم منطقهم الخاص، المختلف تماما عن منطق أرسطو الذي انتقده شيخهم - بل شيخ الإسلام السلفي - ابن تيمية.. ولهم منهج تفكير مختلف كثيرا عن سائر المناهج التي عهدها الناس.

وليس من السهل شرح هذا المنهج أكاديميا، ذلك أن اللغة الأكاديمية تتوقف عنده، فلا تستطيع أن تصفه، ولا أن تحده، ولا أن تضبطه.. فلذلك كان الحل هو الوصف الواقعي الفني لهذا المنطق.

وبناء على هذا كانت هذه الرواية الحوارية البسيطة، والتي تحاول أن تعبر عن البنية العقلية والفكرية لهذه التيارات من خلال مصادرها التي تعتمدها، ورجالاتها الذين تثق فيهم.

ونحن لم نفعل شيئا سوى أن أضفنا بعدا فنيا يقرب لنا الصورة.. أما ما عدا ذلك فهي بضاعتهم التي يعرضونها في كتبهم ومواقعهم وقنواتهم وكل ما لديهم من إمكانات إعلامية ضخمة.

والرواية تنقسم إلى قسمين:

**في القسم الأول**، والذي خصصناه بهذا الجزء نرى مواقف الاتجاه السلفي من كل ما أفرزته الأمة من

تيــارات ومــدارس وتوجهــات صــوفية وكلاميــة وعلميــة وغيرها.

وقد اخترنا نماذج متفرقة عن كـل ذلـك.. وحرصـنا على أن تكون نماذج متنوعة([1]) لتشمل أكبر عدد من التوجهات الفكريـة الموجـودة على السـاحة الإسـلامية في القـديم والحديث.

**وفي القسم الثاني**، والذي خصصناه بالجزء الثـاني، نرى البديل الذي يضعه الاتجاه السلفي لتلـك التيـارات، أو الصورة التي يريد أن يصور بها هذا الدين.

ونحب أن ننبه فقط كما نبهنـا في الأجـزاء السـابقة من سلسة (اعترافات هارب من سجون الوهابية) أننا انطلقنـا في كتابة هذه النصوص - التي كنا فيها واصـفين أكـثر منـا محللين – من منطلقات السلام والمحبة التي جاء بها ديننا وعلمنا إياها نبينا.. فنحن لا نكفر هذه التيارات، ولا نبــدعها تبديعا عاما، ولا ندخلها جهنم، ولا نحرمها من الجنة، مثلمـا تفعل هي مع مخالفيها.. لاعتقادنا أن كل ذلك للــه.. وإنمـا ننكــر عليهـا فقــط مواقفهـا من المخـالفين، وكبرهـا في التعامل معهم.

حتى أنني - شخصـيا - أعتقـد أن الكثـير ممـا يرونـه من آراء فقهيـة أو عقديـة أو في مجـالات أخـرى من الـدين لا

---

1) اختيارنا لهذه الشخصيات لا يعني أننا نتفق معها تماما، وفي كل شــيء، لأنهــا في أصــلها ذات رؤى مختلفــة.. ولكن خلافنــا معهــا في بعض المواقف والآراء لا يدعونا إلى تكفيرها أو تضليلها أو تبديعها كمـا يفعـل التيـار السلفي المتشدد.. وهذه هي النقطة الفارقة الخطيرة بيننا وبينه.

مـبرر للإنكـار عليهم فيهـا، لأنهـا آراء نابعـة من اجتهـاد صادق.. بل إنني شخصيا آخذ ببعضها، وأوافقهم فيها، لأني أراهـا من صـميم الـدين، وقـد رجحتهـا في بعض كتـبي الفقهية أو العقدية..

لكن الإنكـار الكبـير المتوجـه لهم هـو تعـاملهم بجفـاء وسلبية مـع المـدارس المختلفـة للأمـة، وعـدم احـترامهم للخلاف، وعدم احترامهم للتنوع الذي شـاء اللـه أن يطبـع عبـاده عليـه.. وتصـورهم أن البت في الخلاف بين الخلـق سـيكون في الـدنيا مـع أن اللـه أخـبر أن محـل ذلـك في الآخرة، قال تعالى: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَـتِ النَّصَـارَى عَلَى شَـيْءٍ وَقَـالَتِ النَّصَـارَى لَيْسَـتِ الْيَهُـودُ عَلَى شَـيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ} [البقرة: 113]

فنحن في واقعنا المشحون بداء الطائفية نردد نفس مـا ردده اليهود والنصـارى، فكـل فئـة تـزعم أنهـا على الحـق المطلق.. ولذلك كان الحل – كمـا تصـف الآيـة الكريمـة - هو أن نـترك حكم ذلـك للـه، وفي الآخـرة، أمـا في الـدنيا فليس إلا التحـاور والتعـايش والتقـارب والسـلام بين كـل المـدارس والمـذاهب والطوائـف والأديـان.. ولا يحـق لأي جهة أن تكره الأخرى على معتقدها.

وبناء على هـذا - أقـول كمـا قلت سـابقا – بـأنني، ومن وحي المناهل العذبة التي رزقني اللـه الشـرب منهـا على يد أوليائه أعتذر لكل من تأذى من السلفية بهذه الكلمات، فيعلم اللـه مـدى محبـتي لهم وحرصـي عليهم.. وإني وإن

شددت في بعض المحال لم يكن ذلـك إلا كشـدة الطـبيب مع مريضه المقصر، أو مـع الجـراثيم الـتي تريـد أن تفتـك بمريضه المقصر.

وإني – مع هذا – مستعد للتراجع عن أي خطأ أنبه إليـه، فالهدف هو الحق، وليس إلا الحق.

# بداية الحكاية

كنت في المستشــفى مــع صــديقي الوهــابي التــائب، بسبب سهام الحقد التي أصابتنا من القحطاني ونونيته(1)، وبعد أن ارتفع عنـا الخطـر، وطلبنـا العـودة إلى بيوتنـا، لم يؤذن لنا حتى يتأكد الأطباء من سلامتنا تماما.

وبينمـا نحن كـذلك، وقـد غلب علينـا الصـمت والألم إذا بالممرضين يدخلون علينا جمعا من الشباب يتألمون آلامـا شديدة، فسألنا عن سـر مـا حصـل لهم، فـذكروا لنـا أنهم أكلوا لحوما مسمومة في الحي الجـامعي الـذي يسـكنون فيه.

وهنا أصابت صـاحبنا الوهـابي التـائب نوبـة من النوبـات التي كانت تعتريـه أحيانـا، فـراح يتنقـل بينهم، ويقـول: مـا الذي حصـل؟.. أي لحم أكلتم؟.. أي جيـف سـرطتم؟.. أي سم بلعتم؟

ثم اقــترب من أحــدهم، وقــال: لاشــك أنــك أكلت لحم الــوادعي.. أعرفــه.. إن لحمــه مســموم جــدا.. لقــد كــان الجميع يتحدث عن ذلك.

واقترب من آخر، وقال: أما أنت.. فلا أظن إلا أنك أكلت لحم الحجوري.. إن لحمه قد خزن كل أنــواع الســموم.. لا أظن إلا أنك لن تخرج من هذا المستشفى.

واقترب من آخر، وقال: أما أنت.. فلا أظن إلا أنك أكلت لحم المــدخلي أو الحــربي أو التــويجري أو الهلالي.. إن جميع لحـومهم متشـابهة.. إنهـا وسـم الأفـاعي والعقـارب

1) حسبما ذكر في آخر كتاب (اعترافات هارب من سجون الوهابية)

والحيات سواء.

وبقي يفعل ذلـك إلى أن أمسـكه الممرضـون، وحقنـوه بحقنة مهدئة، عادت إليه نفسه بعدها.

التفت إلي وإلى الجميـع، وقـال: اعـذروني.. لم أدر مـا أفعل، ولا ما أقول..

قلت: ما الذي حصل؟ هل تذكرت حدثا حصل لـك فيمـا مضى من عمرك؟

قال: أجل.. لم أتـذكر حادثـا واحـدا، بـل تـذكرت أحـداثا كثيرة مؤلمة، كنت فيها ممتلئا حماقـة وغفلـة.. كـان فيهـا (غياب المنطق).. و(المكاييل المزدوجة).. و(التطفيف في الميزان).. وغيرها من الجرائم صفات لي لقنتها كمـا يلقن الحمقى والمغفلون.. لقـد كـان مشـايخي حينهـا يتلاعبـون بعقلي كمـا شـاءت لهم أهـواؤهم.. فلهم لكـل حـادث حـديث.. ولكـل قضـية مـيزان خـاص بهـا إلى أن طـاش عقلي، وغادرني لبي.

قلت: فما علاقة ذلك باللحوم المسمومة؟

ابتسم، وقال: لقد كانت (اللحوم المسمومة) من جملـة العبـارات الـتي كنـا نسـمعها كثـيرا في مجالسـنا مـع السلفيين، وكانوا يستخدمونها متى شـاءت لهم أهـواؤهم، ويتركونهـا مـتى شـاءت، من غـير منطـق ولا مـوازين.. لا يريدون بذلك إلا إلجام خصومهم وإفحامهم.

قلت: فما الذي يقصدونه منها؟

قال: لقد كـانوا يقصـدون منهـا حرمـة غيبـة العلمـاء، أو

انتقادهم، أو الحديث عنهم بغير ما تسمح به أهواؤهم.

قلت: أعرف العبارة جيدا، إنها متداولة مشهورة حتى اعتقد البعض أنها حديث مع أنها ليست سوى مقولة للحافظ ابن عساكر، فقد قال في مقدمة كتابه (تبيين كذب المفتري): (اعلم يا أخي وفقني الله وإياك لمرضاته، وجعلنا ممن يخشاه ويتقيه حق تقاته، أن لحوم العلماء مسمومة، وعادة الله في هتك أستار منتقصيهم معلومة، فمن أطلق لسانه في العلماء بالثلب، ابتلاه الله قبل موته بموت القلب)(1)

وبعضهم يروي عن أحمد أنه قال: (لحوم العلماء مسمومة، من شمها مرض، ومن أكلها مات)(2)

وبعضهم نظم ذلك شعرا، فقال:

لحوم أهل العلم مسمومة  ومن يعاديهم سريع الهلاك

فكن لأهل العلم عونا،وإن عاديتهم يوما فخذ ما أتاك

قال: أجل.. تلك عبارته مع أن النصوص المقدسة تبين أن جميع اللحوم محرمة ومسمومة سواء كانت لحوم علماء أو غيرهم، بل سواء كانت لحوم مسلمين أو غير مسلمين.. فلكل إنسان حرمته التي لا يجوز انتهاكها بغير حق.

قلت: لقد شوقتني إلى أحاديثك.. فهلا حدثتني ببعضها

---

1) تبيين كذب المفتري، ص: 28.

2) المعيد في أدب المفيد والمستفيد، ص: 71.

اليوم عسانا ننسى بعض ما نعانيه من آلام.

قال: أجل.. سأحدثك عن مكاييلهم المزدوجة مع تلك العبارة.. ولعلك بعدها تعذرني في موقفي الذي وقفته اليوم.

اعتدل في جلسته، ثم قال: قبل سنوات طويلة، وفي ريعان شبابي، أردت السفر عبر الحافلة إلى الجنوب لضرورة من الضرورات، وكنت حينها رفيقا لصديق لي سجن قبلي في سجون الوهابية، ولهذا كنت - وبحكم سابقيته للإسلام في تصوري في ذلك الحين - أتبعه تبعية مطلقة.. بل أراعي كل تصرف من تصرفاتي أو موقف من مواقفي خشية على نفسي من أن يحكم علي في أي لحظة بكفر أو بدعة أو ضلالة، أو يودعني من غير أن أشعر سردابا من سراديب جهنم.

كان اسمه ربيع، وكان يحب هذا الاسم حبا شديدا، لأنه يتفق مع اسم معشوقه (ربيع بن هادي المدخلي) الذي فنى فيه، فصار لا يتحدث إلا عنه، ولا يسبح إلا بحمده، وكان يعظمه تعظيما عجيبا، وكان يقول لي كل حين: إنه أستاذ التجريح في هذا العصر بلا منازع.. ولا يمكن أن تكون هناك سنة بدون أن يصحبها التجريح..

وكان يقول لي: لو أن ابن تيمية رأى ربيعا لفرح به.. ولو أن ابن عبد الوهاب شاهد قوته في الحق لأصبح من تلاميذه.

وهكذا إلى أن جعلني مثله أقدم كل قرابين الخضوع والخشوع والركوع لربيع المدخلي.

كانت حـافلات الجنـوب عنـدنا - بسـبب بعـد المسـافة - مــزودة بكــل وســائل الترفيــه والراحــة حــتى لا يمــل المسـافرون من الطريـق الطويـل.. وكـان من أهم تلـك الوسائل التلفزيون المركب في مقدمة الحافلة، ويشــرف عليه وعلى وضع أشرطة الفيديو السائق نفسه.

وقد كان السـائق في كـل حافلـة هـو مـدير التلفزيـون، والمشرف على البرامج التي تعـرض فيـه، وكـان الركـاب بحكم كثرة الحافلات ينتقون من الحافلات ما يتناسب مــع مزاجهم.

وقد شاء الله أن نمر في رحلتنا تلك بحافلتين مختلفتين تماما.. وستكون قصتي كلها حـول هـاتين الحـافلتين، ومـا يعرض على شاشتها التلفزيونية.

قال ذلك، ثم التفت للحضور من المرضى والممرضـين، وقـال: الحيـاة كلهـا رحلـة.. ونحن إنمـا ننتقي في حياتنـا المراكب التي نصـل بهـا إلى المحطـة النهائيـة.. فمنـا من يركب حافلات مقدسة، ومنا من يركب حـافلات مدنســة.. وبقدر قداسة الحافلات التي نركبها بقدر جمال المحطـات التي نصل إليها.

قلت: أنا في شوق شديد لحديثك.. فهيا حدثنا.

صمت قليلا، وكأنه يتذكر الحادثة بدقـة، ثم قـال: عنـدما امتلأت مقاعد الحافلة بالمسافرين، وحـان وقت الانطلاق، وقــف الســائق مخاطبــا لنــا بكــل أدب، وقــال: أيهــا المسافرون الأعـزاء يسـرني أن أكـون في خـدمتكم هـذه الليلة.. وأنتم تعلمون بعد المسافة وطول الطريق.. ولهذا فقـد أتيت لكم ببعض الأشـرطة العلميـة النافعـة حـتى لا

يضـــيع وقتكم في لغـــو المسلســلات والأفلام.. فــإن لم يرقكم هذا، فأخبروني، فأنا في خدمتكم.

# الحافلة الأولى

صاح جميع المسافرين بالموافقة، وبقبول ما عرضه عليهم.. فأخذ الرجل شريطا من حقيبته، وقال: هذا شريط لعالم جليل من علماء الإسلام المعاصرين.. وقد استشهد رحمه الله.. وكان مثالا للصدق والورع والشجاعة.. وهو يشرح فيه الحكم التي ذاع صيتها في الآفاق.. حكم ابن عطاء الله السكندري.

صاح ربيع في السائق بقوة: ما الذي تريد أن تفعله بنا يا رجل.. أتريد أن تحولنا إلى زنادقة وملحدين.. ما هذه الجريمة التي تريد أن تقترفها؟

قال السائق المسكين بكل أدب: اعذرني يا بني.. فلم أكن أدري أن هذه الحكم تحوي زندقة أو إلحادا.. لقد سمعت آبائي وأجدادي يثنون عليها.. وكانوا يوجهوني كل حين من خلالها.. حتى أني أكاد أحفظها جميعا.

قال ربيع: آباؤك وأجدادك ليسوا مقاييس للحقيقة.. أتريد أن تردد ما ردد أهل الجاهلية: {إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ} [الزخرف: 22]

قال السائق: لا بأس يا بني.. لكني أود أن أوضح لك بأنني بحمد الله لم أكتف بما رباني عليه والداي.. بل رحت أبحث وأسمع لأهل العلم ولم أجد منهم بحمد الله من يقول ما تقول.. وهذا الشريط الذي أريد أن أسمعكم إياه دليل على هذا.. فحتى لو كان ابن عطاء الله زنديقا فإنك تتفق معي على أن الشارح ليس كذلك.

قال ربيع: ما دام الرجل زنديقا، فكل من يشرح كلامه

زنديق مثله.

قال السائق: أنت لا تعلم صاحب الشرح، ولهذا تردد ما تردد.. إنه علم من أعلام الإسلام الكبار في هذا العصر.. وقد تصدى بكل قوة لمؤامرة استهدفت بلده، ودفع دمه ثمنا لذلك.. وقد تشرفت بلقائه، فرأيته ممتلئا صدقا وإخلاصا.

قال ربيع: لا أظنك تريد إلا ذلك الضال المضل رأس الفتنة (محمد سعيد رمضان البوطي)

قال السائق: أجل.. وهو عالم جليل..

قاطعه ربيع، وقال: بل هو ضال مضل، ألم تسمع ما قال فيه السديس مقرئ الحرم وعالمه.. ذلك الفحل الذي لا نظير له في العلوم والقراءة.. لقد أصدر بيانا حول مقتله اعتبر فيه الفرح بموته من الفطرة، وقال في بيانه: (إن البوطي كان من رؤوس أهل البدع والضلال، وممن يزين للناس البدع ويغريهم بها، ويحذرهم من حق أهل السنة ويقبحه لهم، وقد ضل بسببه أمم لا يعلمهم إلا الله)(1)

قال السائق: مع احترامي لك وللسديس ولكل العلماء.. لكني لا أرى من الأدب أن نفرح لموت مسلم.. بل لموت إنسان.. لا يفرح لموت الناس إلا من امتلأ حقدا.

(1) انظر: مقالا بعنوان: السديس: البوطي من أئمة البدع والضلال.. وبموته يخف الشر، موقع مفكرة الإسلام، السبت 23 مارس 2013 - 08:38 م بتوقيت مكة، على الرابط (http://islammemo.cc/akhbar/arab/2013/03/23/168077.html)

استشاط ربيع غضبا، وقال: تأدب يا رجـل.. أراك تـرمي السـديس بالحقـد.. ألا تخـاف اللـه؟.. ألا تعلم أن لحـوم العلماء مسمومة؟

قال السائق بكل أدب: أعتـذر يـا بـني.. فلم أكن أقصـد الشخص، وإنمـا قصـدت المقالـة الـتي قالهـا.. فـإني أراه مخطئا فيها..

قال ربيع: ويلك.. ما أجرأك على العلماء مع أنـك لسـت سوى نكرة.. ألا تعلم مـا قالـه سـلفنا الصـالح في المـوت بفرح المبتدعة ورؤوس الضلالة؟

ألا تعلم أنه لما جاء خبر موت المريسـي الضـال، وكـان بعض سـلفنا الصـالح في السـوق فقـال: (لـولا أنـه كـان موضع شهرة لكان موضع شكر وسجود، والحمد لله الـذي أماته)(1)

وقيل لبعض سلفنا: الرجل يفرح بما ينزل بأصـحاب ابن أبي دؤاد، عليه في ذلك إثم؟ قال: (ومن لا يفـرح بهـذا؟!)(2)

وقال سـلمة بن شـبيب: كنت عنـد عبـد الـرزاق -يعـني الصنعاني-، فجاءنا موت عبد المجيد - وهو ابن عبـدالعزيز بن أبي رواد، وكان رأساً في الإرجاء - فقـال: (الحمـد للـه الذي أراح أُمة محمد من عبد المجيد)(3)

---

1) لسان الميزان: 2/308.

2) السنة للخلال: 5/121.

3) سير أعلام النبلاء: 9/435.

ولما جاء نعي وهب القرشي -وكان ضالاً مضلاً- لعبد الرحمن بن مهدي قال: الحمد لله الذي أراح المسلمين منه(1).

وقال الحافظ ابن كثير عن أحد رؤوس أهل البدع: (أراح الله المسلمين منه في هذه السنة في ذي الحجة منها، ودفن بداره، ثم نقل إلى مقابر قريش فلله الحمد والمنة، وحين مات فرح أهل السنة بموته فرحاً شديداً، وأظهروا الشكر لله، فلا تجد أحداً منهم إلا يحمد الله)(2)

قال السائق: أنا لم أتشرف بقراءة ما ذكرت من أقوال، لأني كنت مكتفيا بما سمعت من أحاديث عن رسول الله ﷺ ورد فيها النهي عن التعرض للموتى، ففي الحديث، قال رسول الله ﷺ: (اذكروا محاسن موتاكم، وكفوا عن مساويهم)(3)، في حديث آخر: (لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا)(4)، في حديث آخر: (لا تذكروا موتاكم إلا بخير، إن يكونوا من أهل الجنة تأثموا، وإن يكونوا من أهل النار فحسبهم ما هم فيه)(5)، في حديث آخر: (لا تذكروا هلكاكم إلا بخير)(6)

---

1) لسان الميزان لابن حجر: 8/402.

2) البداية والنهاية 12/338

3) رواه أبو داود والترمذي وابن أبي الدنيا.

4) رواه أحمد والبخاري والنسائي.

5) رواه ابن أبي الدنيا في (الموت)

انتفض ربيع غضبا، وقال: ويلك.. أترد على ابن كثير والصنعاني ووهب وخيار السلف؟.. من أنت؟.. ألا تعرف أن ابن كثير حافظ من حفاظ الحديث؟.. إنه يحفظ الأحاديث بطرقها وأسانيدها وكل شيء يرتبط بها.. أتحسب أيها النكرة أن مثل هذه الأحاديث غابت عنه حتى تذكره بها؟

قال السائق: أنا لم أخاطب ابن كثير بهذه الأحاديث إنما خاطبتك أنت.. وذكرت لك أن ما ذكره ابن كثير يخالف ما ورد في الأحاديث.

قال الربيع: ويلك.. ألا تزال مصرا على معارضة العلماء؟.. ألا تعلم أن لحومهم مسمومة؟.. ألا تعلم أن وقائع الله بمنتقصيهم معلومة محتومة؟

---

6) رواه النسائي.

كان ربيع يخطب بكل حماسة، ولم يشأ السائق أن يقاطعه، فقد كان شديد الحياء، ولهذا تركه إلى أن انتهى من حديثه، وبعدها لم يشأ أن يجيبه، بل أخذ شريطا آخر، وقال: لا بأس.. ما دام البوطي لم يعجبك.. وما دمت أراك تحب علماء الحرم، فلدي شريط لعالم من علماء مكة الكبار.. كان يدرس في الحرم النبوي.. إنه محمد بن علوي مالكي(1).. لقد كان من..

قاطعه ربيع بقوة قائلا: ويلك.. ما أشبهك بالغراب.. فلا أراك تقع إلا على الجيف والخبائث.. ألم تسمع ما قال شيخنا الجليل مقبل بن هادي الوادعي عنه.. لقد ذكره في شريط له بعنوان (حاطب ليل)، فقال: (محمد بن علوي مالكي حاطب ليل صوفي زائغ لا ينبغي أن يُعتمد عليه، ولا ينبغي أن يُحضر درسه)، ثم ذكر لنا أن أحد سلفنا الصالح، وهو (أيوب بن أبي تميمة) نهى إخوانه من السلفيين في عصره أن يحضروا حلقة عمرو بن عبيد،

---

1) محمد علوي المالكي واسمه محمد بن علوي بن عباس الإدريسي الحسني الهاشمي (1367 هـ - 1425 هـ)، أحد أبرز العلماء الذين جمعوا بين التصوف والفقه والحديث، ويُلقب بمحدّث الحرمين. تنقّل بين الكثير من الحواضر العلمية في العالم الإسلامي ليأخذ عن كبار العلماء، وسمحت له علاقته الشخصية الجيدة بالملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود دون إقصائه من قبل المؤسسة الدينية الرسمية التي تتبع المذهب الحنبلي وتعارض الصوفية. له مؤلفات كثيرة في علوم الحديث والفقه المالكي وواقع العالم الإسلامي.

(فذلكم الزائغ الضال لا ينبغي أن تُحضر حلقته ولا أن يُكثر سواده)

قال السائق: دعك من شيخك.. فقد يكون أخطأ في حقه.. واسمع إلى كلامه، واحكم عليه بعد ذلك.. أليس شيخك بشرا كسائر البشر، يجوز عليه الخطأ والغفلة والسهو والنسيان؟

قال ربيع: ويلك أما زلت تتجرأ على لحوم العلماء.. أتتجرأ على الشيخ مقبل.. ألم تعلم أنه من أنصار السنة الكبار في هذا العصر؟.. ألم تعلم أن الجرأة على علماء السنة تعدل الجرأة على رسول الله ﷺ نفسها؟.. فعلماء السنة هم حملة حديث رسول الله ﷺ، وهم لا يختلفون عن رسول الله ﷺ في الحرمة في هذا الجانب.

لقد ذكر العلامة الكبير المحدث يحي الحجوري جهوده في مقاومة المبتدعة من الصوفية والرافضة وغيرهم فقال: (قد خرج شيخنا العلامة مقبل بن هادي الوادعي وكثير من الناس يخبطون خبط عشواء وتجري عقولهم في اقتناص مصالحهم على غير السواء، فجدد الله به في البلاد أمر دينها، وحمى به جناب السنة وعرينها، فشمر عن ساعد الجد بتشييد علوم كتاب الله وسنة رسوله وتبينها وتزييف تلك الضلالات وتوهينها، فعلّم وصنف ودعا إلى الله عز وجل بكل ثبات ويقين، وفضح الله به الزنادقة والملحدين والمبتدعة الضلال والمتهورين، حتى كان محل ثقة المسلمين الرحال وقطعوا السهول والجبال فأحياه الله حياة طيبة مزدهرة بالعلم والتعلم والنصح والتوجيه

والفتوى والبيان)[1]

قال السائق: أنا لم أتعرض يا بني لشيخك بقليل أو كثير.. لا بمدح ولا بهجاء.. لكني فقط ذكرت لك أنه عليك ألا تكتفي بمقولة شيخك من غير بيان ولا دليل؟

قال ربيع: وهل تحسب أني اكتفيت بمقولة شيخي، إننا – معشر السنة – لا نكتفي بمحدث واحد، بل نظل نتردد على العلماء لنستوثق من المعلومة، ونتبينها.

لقد أصدرت فيه هيئة كبار العلماء قرارها الخطير[2] بإخراجه من أهل السنة، واعتباره من أهل البدعة، وأنه من الدعاة (إلى الشرك بالله سبحانه والدعوة إلى البدع والمنكرات والضلالات والبعد عما عليه سلف هذه الأمة من سلامة العقيدة وصدق العبودية لله تعالى في ألوهيته وربوبيته وكمال ذاته وصفاته)

ومنذ ذلك القرار وأعلام أهل السنة يكتبون الكتب في الرد عليه، فكتب صالح آل الشيخ في (هذه مفاهيمنا) ردا على كتاب (مفاهيم يجب أن تصحح).. وكتب سمير المالكي في (جلاء البصائر) في الرد على كتابي (شفاء الفؤاد) (والذخائر).. وكتب أبو بكر الجزائري في (كمال

---

1) من كتاب (نبذة يسيرة من حياة أحد أعلام الجزيرة)، لأبي همام محمد بن علي بن أحمد فرج الصومعي البيضاني، وقدم له فيها الشيخ يحيى الحجوري..

2) قرار هيئة كبار العلماء بالسعودية رقم 86 وتاريخ 11 / 11 / 1401 هـ.

الأمة في صلاح عقيـدتها): في الـرد على (الـذخائر)، وفي (وجاءوا يركضون) في الرد على (من دافع عن المالكي).. وكتب سفر الحوالي في (الرد على شركيات المالكي) رد فيـه على كتـاب (شـفاء الفـؤاد)، ولـه أيضـا (الـرد على الخرافيين)، وهي خمسة أشرطة، رد فيهـا على صـوفيات المالكي.. وكتب ابن منيع في (حوار مع المـالكي) رد فيـه على (بدعـة المولـد).. وكتب حمـود التـويجري في (الـرد القـوي) رد فيـه على من (دافـع عن المـالكي).. وكتب إسماعيل الأنصاري في (القول الفصل) رد فيـه عليـه في بدعة المولد.. وغيرها كثير.

أراد السائق أن يعلـق على قولـه، فقاطعـه ربيـع بقـوة، وقال: ألا يكفيك كل هذا؟ أم تريد من المطابع أن تتوقـف عن طباعة كل الكتب لتخلص لطباعـة مـا يكتب كـل يـوم للرد عليه.

اسمع جيدا ما قال عبداللـه بن سـليمان بن مـنيع - أحـد قضاة محكمة التمييز بالمنطقة الغربية، وعضو هيئـة كبـار العلماء – في مقدمة كتابه في الرد عليه، والـذي عنونـه بـ (حـوار مـع المـالكي)[1]، والـذي جـاء فيـه: (لقـد تتـابعت سـموم هـذا الضـال المضـل على العقيـدة السـلفية بمـا ينشـره من مؤلفـات أطمهـا وأغمهـا وأكثرهـا بلاء ومقتـاً وفحشاً كتابه (الذخائر المحمدية)، وآخرهـا فيمـا علمنـا أن

1) وقد رد على هذا الكتـاب الشـيخ يوسـف هاشـم الرفـاعي في رسالة بعنوان (الرد على بن منيع)، بالإضـافة إلى كتـاب آخـر ألَّفـه اثنـان من المغاربة في الدفاع عن المالكي سـمَّياه (التحـذير من الاغـترار بمـا جـاء في كتاب الحوار).

يكون آخرها في مجال الدعوة إلى البدع والضلالات رسالته البتراء المسماة (حول الاحتفال بالمولد النبوي الشريف)، وهي رسالة تشتمل على الكثير من المغالطات والتلبيسات والتشبيه على العقول)(1)

وقال شمس الدين السلفي: (ألف محمد علوي المالكي أحد الدعاة إلى القبورية في عصرنا هذا كتابه القبوري (مفاهيم يحب أن تصحح) برهن فيه على أنه ملبس مدلس قبوري خرافي...)(2)

وقد حدثني بعض أصدقائي من مكة المكرمة أنه لما أدخلت جنازته للحرم في صلاة المغرب لتصلى عليه الجنازة رأى الشيخ السديس زحمة الناس، فسأل عن السبب، فقالو له: هذه جنازة محمد علوي مالكي.. فرفض الشيخ الصلاة عليه..

وتركوا الجنازة الى صلاة العشاء.. وقتها كان الشيخ (... ) يصلي بهم العشاء، وكان عنده علم بصاحب الجنازة.. في البداية رفض الصلاة عليه.. وبعدها كثر اللغط من أتباع المالكي.. وقتها دخلت جنائز، فوافق الشيخ الصلاة على كل الجنائز، ومن ضمنهم جنازة المالكي.

قال السائق: ولكن يا بني.. ألا ترى أن في هذا تشددا، فصلاة الجنازة عبادة، وهي حق لكل مسلم.

قال ربيع: لو كان مسلما لصلى عليه.. فكيف وهو

---

1) حوار مع المالكي (ص: 3)

2) جهود علماء الحنفية (3/1797)

صاحب بدعة محرمة.. وقد ترك سلفنا الصالح الصلاة على من هو دونه.. لقد حدث مؤمل بن إسماعيل، قال: مات عبد العزيز، فجيء بجنازته، فوضعت عند باب الصفا، وجاء سفيان الثوري، فقال الناس: جاء سفيان، جاء سفيان. فجاء حتى خرق الصفوف، وجاوز الجنازة، ولم يصل عليها، لأنه كان يرى الإرجاء. فقيل لسفيان في ذلك، فقال: (والله إني لأرى الصلاة على من هو دونه عندي، ولكن أردت أن أري الناس أنه مات على بدعة)

قال السائق: ولكن.. ألا ترى – يا بني- أن كل من ذكرت أبناء مدرسة واحدة، ولهذا تراهم يتفقون، ولا يختلفون، لو أنك وسعت مدارك أكثر، ورأيت علماء آخرين من مدارس أخرى، لوجدت آراء أخرى تزيد أفقك اتساعا، ومواقفك وضوحا.

قال ربيع: أتريدني أن أترك روضات أهل السنة المريعة، لأرعي في فيافي المبتدعة المجدبة.. أمجنون أنا؟

قال السائق: لا بأس.. ولكني أراك تكتفي بذكر آراء الرجال، وهم قد يخطئون في أحكامهم.

قال ربيع: وهل تحسب أننا مثل معشر المقلدين نكتفي بحفظ المقولات دون أدلتها.. لقد ساق لنا مشايخنا الكثير من كفرياته ليبرهنوا لنا على ذلك..

لقد ذكروا لنا أنه كتب كتابا سماه (مفاهيم يجب أن تصحح) أثنى فيه على التصوف، ودعا فيه إلى الاستغاثة بالرسول ﷺ، وبغيره من الأولياء، كما دعا إلى شد

الرحال إلى قبر النبي ﷺ.. بل كتب في ذلك كتابا سماه (شفاء الفؤاد في زيارة خير العباد)

وذكر لنا أنه من الدعاة إلى إحياء الاحتفالات المبتدعة أمثال الاحتفال بالمولد النبوي وكتب في ذلك رسالته (حول الاحتفال بالمولد النبوي الشريف) و(البيان والتعريف في ذكرى المولد الشريف)

كما أن له كتاب بعنوان (الذخائر المحمدية) نشر فيه كثيرا من معتقدات الصوفية في الرسول ﷺ والتي تحتوي على الغلو المنهي عنه في صحيح السنة النبوية!!

ومن ذلك أنه نقل فيه بيتاً من الهمزية الممتلئة كفرا، وهو قوله مخاطبا رسول الله ﷺ:

ليته خصني برؤية وجه    زال عن كل من رآه العناء

وهذا كذبٌ وباطلٌ، وقد رآه في حياته ﷺ أقوامٌ كثيرون، فما زال عنهم عناؤهم ولا كفرهم.

وقال فيه: (من استغرق في محبة الأنبياء والصالحين حمله ذلك على الإذن في تقبيل قبورهم والتمسح بها، وتمريغ الخد عليها)(1). ونسب أشياء من ذلك الى بعض الصحابة، وأقر ذلك ولم ينكره، مع أن تلك الأمور من البدع ووسائل الشرك الأكبر، ونسبتها الى بعض الصحابة باطلة.

وذكر في نفسه كتابه السابق: (أن زيارة قبره الشريف ﷺ من كمال الحج، وأن زيارته عند الصوفية فرضٌ، وأن

---

1) الذخائر المحمدية، ص52.

الهجرة الى قبره عندهم كالهجرة اليه حيا)(2).. وأقر ذلـك ولم ينكره مع أن جميـع شـرك وضـلالة.. وصـاحبه قبـوري مشرك.

2) المرجع السابق، ص 60.

لم يجد السائق إلا أن يأخذ شريطا آخر، ثم يتوجه به إلى المسافرين، ويقول: لا بأس.. أظن أن لصاحبكم مواقف سلبية من الصوفية.. ولهذا لن نحرجه بأن يسمع ما لا يرضيه.. لدي بحمد الله في هذه الحقيبة الكثير من الأشرطة لعلماء مختلفين.. وهذا أحدها.. أنا أحبه كثيرا.. إنه شريط وثائقي بتعليق علم من أعلام عصرنا الكبار.. جمع في شخصه بين العلم والأدب والإيمان.. واستطاع أن يؤثر في أجيال كثيرة، وأن يعرض الإسلام بصورة نقية جميلة.. إنه مصطفى محمود..

انتفض ربيع بقوة، وقال: ويلك.. ما الذي تقول.. متى أصبح الرُّوَيْبِضَة(1) التافة الحقير من لا يؤبه له الفُوَيْسِقُ عالما يستمع له الناس؟

أين أنت يا شيخنا الألباني لتسمع ما يقول هذا النكرة عن مصطفى محمود؟.. صدق رسول الله ﷺ حين قال: (قبل الساعة سنون خداعة، يصدق فيهن الكاذب، ويكذب فيهن الصادق، ويخون فيهن الأمين، ويؤتمن فيها الخائن، وينطق فيهن الرويبضة)(2)

1) الرُّوَيْبِضَةُ : تصغير الرابضة، وهو راعي الربيض، والربيض : الغنم، وقيل : الرُّوَيبضة تصغير الرَّابِضة، وهو العاجز الذي رَبَضَ عن مَعَالي الأمُور، وقعَد عن طَلَبها، وزيادة التَّاء للمبالغَة. وقيل التَّافه : الخَسِيس الحَقِير. كما في النهاية في غريب الحديث والأثر (2/460)

2) رواه الحاكم في المستدرك (4/465)، وقال : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ، ووافقه الذهبيّ.

وصـدقت يـا شـيخنا ناصـر الـدين حين قلت: (ومـا أكـثر هؤلاء (الصغار ) الذين يتكلمون في أمر المسـلمين بجهـل بالغ، الأمـر الـذي أكّـد لي أننـا في زمـان تجلَّت فيـه بعض أشراط الساعة)

قال السائق: ما تقول يا رجل؟.. مصطفى محمود ليس كما ذكرت.. إنه باحث كبير.. وكتبه كلهـا تـدل على ذلـك.. وما دمت قد اعتـبرت محمـد بن علـوي المـالكي خرافيـا، فقد أتيتك بهذا، لأنـه طـبيب وبـاحث في مجـالات مختلفـة حتى أنه كتب في نظرية النسبية وحاول تبسيطها للعامـة، ويندر أن يوجد علم من العلوم إلا وتحدث فيه حديث عالم مهتم.

ضحك ربيع بقوة، وقال: لقد اطلعت على كتبه، فلم أره يخرج حديثا واحدا.. ولم أره ينقل نصا واحدا عن السلف.. إنه مغرم فقط بالكلام.. كل كتبه كلام في كلام.

قال السائق: لقد نجح في عرض الإسلام بطريقة مهذبة مسالمة حضارية.. وهذا ما جعل الكثير ينجذب إليه.

لقـد انتقـد الإسـلام السياسـي، فكتب يقـول في كتابـه (الإسلام السياسى والمعركة القادمة) يرد على من جعلوا من الإسلام وسيلة لطلب المناصب والكراسـي: (الاسـلام السياسـي وعي واسـتنارة ودعـوة بالحسـنى إلى كلمـة سـواء، وهـو ليس مـؤمرات وانقلابـات وسـباقات على الكراسي، انه دعوة للحريـة وللعدالـة وللتقـدم فى جميـع الميادين تحت راية التوحيد والتقـوى.. الاسـلام السياسـي هو صناعة رأي عام مستنير، يجمع الأمة ولا يفرقها.. يجمع الحلـبي والشـامي والمغـربي والنصـراني والمسـلم

والعلماني..

قاطعه ربيع بقوة، وقال: وأين الولاء والبراء.. إذا اجتمع المسلم مع النصراني مع العلماني انهد الإسلام.. إن الذي يقول هذا لا يعرف الإسلام.

قال السائق: كيف تقول هذا عن مصطفى محمود.. إن حديثه عن الإسلام حديث عارف ذائق مؤمن.. لقد كتب كتابا بعنوان (الإسلام.. ماهو..؟) أبان فيه عن فهمه العميق للدين.. اسمع ما يقول في تعريفه للدين.. لقد قال: (الدين ليس حرفة ولا يصلح لأن يكون حرفة.. ولا توجد في الإسلام وظيفة اسمها رجل دين.. ومجموعة الشعائر والمناسك التي يؤديها المسلم يمكن أن تؤدى في روتينية مكررة فاترة خالية من الشعور، فلا تكون من الدين في شيء.. وليس عندنا زي اسمه زي إسلامي.. والجلباب والسروال والشمروخ واللحية أعراف وعادات يشترك فيها المسلم والبوذي والمجوسي والدرزي.. ومطربو الديسكو والهيبي لحاهم أطول.. وأن يكون اسمك محمدا أو عليا أو عثمان، لا يكفي لتكون مسلما.. وديانتك على البطاقة هي الأخرى مجرد كلمة.. والسبحة والتمتمة والحمحمة، وسمت الدراويش وتهليلة المشايخ أحيانا يباشرها الممثلون بإجادة أكثر من أصحابها.. والرايات واللافتات والمجامر والمباخر والجماعات الدينية أحيانا يختفي وراءها التآمر والمكر السياسي والفتن والثورات التي لا تمت إلى الدين بسبب..)(1)

قهقه ربيع بصوت عال، وقال: إذا أخرجت اللحية

1) مصطفى محمود، الإسلام ما هو؟، ص3.

والقميص والاسم وكل ما ذكرت من الدين.. فما الذي بقي منه؟.. وكيف نفرق بين صعلوك شيوعي وتقي مسلم؟.. أم ننتظر حتى يأتي وقت الصلاة لنفرق بينهما.

قال السائق: لقد أجاب مصطفى محمود على ذلك، فقال: (الدين حالة قلبية.. شعور.. إحساس باطني بالغيب.. وإدراك مبهم، لكن مع إبهامه شديد الوضوح بأن هناك قوة خفية حكيمة مهيمنة عليا تدبر كل شيء.. إحساس تام قاهر بأن هناك ذاتا عليا.. وأن المملكة لها ملك.. وأنه لا مهرب لظالم ولا إفلات لمجرم.. وأنك حر مسئول لم تولد عبثا ولا تحيا سدى وأن موتك ليس نهايتك.. وإنما سيعبر بك إلى حيث لا تعلم.. إلى غيب من حيث جئت من غيب.. والوجود مستمر.. وهذا الإحساس يورث الرهبة والتقوى والورع، ويدفع إلى مراجعة النفس ويحفز صاحبه لأن يبدع من حياته شيئا ذا قيمة ويصوغ من نفسه وجودا أرقى وأرقى كل لحظة متحسبا لليوم الذي يلاقي فيه ذلك الملك العظيم.. مالك الملك.. هذه الأزمة الوجودية المتجددة والمعاناة الخلاقة المبدعة والشعور المتصل بالحضور أبدا منذ قبل الميلاد إلى ما بعد الموت.. والإحساس بالمسئولية والشعور بالحكمة والجمال والنظام والجدية في كل شيء.. هو حقيقة الدين.. إنما تأتي العبادات والطاعات بعد ذلك شواهد على هذه الحالة القلبية.. لكن الحالة القلبية هي الأصل.. وهي عين الدين وكنهه وجوهره)(1)

قاطعه ربيع بقوة، وقال: هذا دين الباطنية لا دين الإسلام.. لقد حذرنا مشايخنا من كلماته الخطيرة تلك،

---

1) المرجع السابق، ص4.

لقد قال في كتابه الذي تجاسر فيه على تعريف الدين: (إن العمدة في مسألة الدين والتدين هي الحالة القلبية.. ماذا يشغل القلب.. وماذا يجول بالخاطر؟.. وما الحب الغالب على المشاعر ؟.. ولأي شيء الأفضلية القصوى؟.. وماذا يختار القلب في اللحظة الحاسمة ؟.. وإلى أي كفة يميل الهوى ؟.. تلك هي المؤشرات التي سوف تدل على الدين من عدمه.. وهي أكثر دلالة من الصلاة الشكلية) (1)

قال السائق: ما أجمل هذه الكلمات..

قاطعه ربيع: بل ما أقبحها.. هذا دين الباطنة والملاحدة والزنادقة لا دين المسلمين.

قال السائق: كيف تقول ذلك، والرجل يدعو إلى الحرص على ظاهر الإسلام كما يدعو إلى الحرص على باطنه.. هو فقط يدعو إلى الاهتمام بالباطن لأن الصلاة التي لا يصحبها الخشوع وذكر الله وتعظيمه لا تفيد صاحبها شيئا.. لقد قال في كتابه ذلك: (إنما تكتسب الصلاة أهميتها القصوى في قدرتها على تصفية القلب وجمع الهمة وتحشيد الفكر وتركيز المشاعر.. وكثرة الصلاة تفتح هذه العين الداخلية وتوسع هذا النهر الباطني، وهي الجمعية الوجودية مع الله التي تعبر عن الدين بأكثر مما يعبر أي فعل.. وهي رسم الإسلام الذي يرسمه الجسم على الأرض، سجودا، وركوعا وخشوعا وابتهالا، وفناء.. وبسجود القلب يتجسد المعنى الباطني العميق للدين، وتنعقد الصلة بأوثق ما تكون بين العبد

1) المرجع السابق، ص6.

والرب..) (1)

قال ربيع: إن كل كلماته تفوح منها روائح الباطنية.. ولأنك مجرد سائق بسيط، لا حظ لك في العلم، ولا جلوس لك مع العلماء تنطلي عليك أمثال هذه العبارات.. القوم لا يريدون من الصلاة ما نعرفه من الصلاة.. إنهم يقصدون بها جلسات التأمل الشيطانية.. ولهذا هم لا يؤمنون بشعائر الدين التي نص عليها الفقهاء.. بل هم يسخرون منها.

قال السائق: كيف تقول ذلك.. لقد كان يذكر الرجل حركات الصلاة الظاهرة التي نص عليها الفقهاء، ويبين المعاني العميقة التي تختزنها، فقد قال في نفس ذلك الكتاب، وهو ينتقد التصور الخاطئ لغير المسلمين عن صلاة المسلمين: (وخطأ الأوروبي أنه يظن أن الصلاة الإسلامية هي مجرد حركات وأنها على الأكثر مجرد اغتسال ورياضة بدنية، ولهذا يقف عند ظاهر الامر لا يتخطاه.. وينسى أن الحركات في الصلاة مجرد رمز فهي وقوف إكبار لله مع كلمة (الله أكبر)، ثم ركوع، ثم فناء بالسجدة وملامسة الأرض خشوعا وخضوعا، وبذلك تتم حالة الخلع والتجرد والسكتة الكاملة النفسية.. ولا يبقى إلا استشعار العظمة لله تسبيحا.. سبحان ربي الاعلى وبحمده.. فالصلاة هي المعراج الأصغر وهي نصيب المسلم من المعراج الأكبر الذي عرج فيه محمد - عليه الصلاة والسلام - إلى ربه.. وهي ليست مجرد حركات.. بل هي أسرار ورحمات.. وأشرفها وأرفعها صلاة الفجر التي تشهدها الملائكة.. وصلاة قيام الليل.. التي نال

1) المرجع السابق، ص7.

صاحبها بها المقام المحمود) (1)

التفت السائق إلى ربيع، وقال: هل ترى في هذه الكلمات أي باطنية أو إلحاد أو إنكار لشعائر الدين وشرائعه؟

إن نفس هذا المعنى ذكره عند حديثه عن الصيام، فهو يرى أن (الصيام الرفيع.. ليس تبطلا.. ولا نوما بطول النهار، وسهرا أمام التليفزيون بطول الليل.. وليس قياما متكاسلا في الصباح إلى العمل.. وليس نرفزة وضيق صدر وتوترا مع الناس.. فالله في غنى عن مثل هذا الصيام، وهو يرده على صاحبه ولا يقبله، فلا ينال منه إلا الجوع والعطش.. وإنما الصيام هو ركوب لدابة الجسد لتكدح إلى الله بالعمل الصالح والقول الحسن والعباد ة الحقة..) (2)

هل ترى ما يقوله هنا أيضا صوما باطنيا؟

لم يجد ربيع إلا أن انتفض غاضبا، وهو يقول: دعك من هذا.. فالرجل عندنا كافر زنديق ضال مضل.. كل كتبه وكلماته تدل على ذلك.. ألا تراه يثني على ابن عربي والعزمي في كتابه (السر الأعظم)، بل ويعتبرهم عارفين بالله.. إن كل من أثنى على هؤلاء زنديق عندنا.. بل إن كل من يطلقون عليه لقب (العارف) هو عندنا جاهل ملحد زنديق..

---

1) المرجع السابق، ص13.

2) المرجع السابق، ص19.

كان السائق في غاية السماحة والسلام، ولهـذا لم يشـأ أن يقع معه في جدال، بل أخذ شريطا آخر، وقال: لا بأس ما دام مصطفى محمـود لم يعجبـك.. فلـدي شـريط آخـر لعالم من كبار العلماء عشقه العامة كما عشقه الخاصـة.. كان يفسـر القـرآن الكـريم فتشـرئب الأعنـاق لتفسـيره.. كان ذا روحانية عالية..

قاطعه ربيـع، وقـال: دعـك من كـل هـذه الأوصـاف.. ألا تعلم نهي رسول اللـه ﷺ عن المـدح.. ألا تعلم أمـره بـأن يحثى التراب على وجوه المداحين، فقـد ورد في الحـديث عن أبي معمر قال: قام رجل يثنى على أمير من الأمـراء، فجعل المقداد يحثي عليـه الـتراب، وقـال: (أمرنـا رسـول الله ﷺ أن نحثي في وجوه المداحين التراب)(1)

قـال السـائق: صـدق رسـول اللـه ﷺ، وأنـا لم أقصـد المـدح، بـل قصـدت فقـط أن أرغبكم في الاسـتماع إليـه، والاستفادة منه.

قال ربيع: من هـو، فلا أظنـه إلا جيفـة من الجيـف الـتي عودتنا عليها.

قال السائق: كيف يكون جيفة.. إن كلامه يحيي القلـوب الميتة..

قاطعه ربيـع: عـدت إلى المـدح من جديـد.. أخبرنـا عن اسمه من دون مقدمات.

---

1) رواه مسلم.

قـال السـائق: لا بـأس.. هـو الشـيخ محمـد متـولى الشعراوي..

قهقه ربيع بصوت عال، وقال: ألم أقل لكم.. إن صاحبنا لا يختلف عن الغراب.. إنه لا يقع إلا على الجيـف.. قبحـك اللـه ألا تعلم مـا يقـول الثقـاة المحققـون سـدنة الـدين ورعاته في الشعراوي؟

ألا تعرف أن الحجة الثقـة الضـابط المحقـق علم الـدين وناصر الملة الشيخ العلامة الحـبر البحـر الفهامـة (محمـد ناصر الدين الالبانى) رحمه الله ورضي عنه وقدس روحـه الشـريفة سـئل عن النكـرة الرويبضـة القبـوري الملحـد الشـعراوي، وقـد كـان السـائل مثلـك أحمـق لا يقـع على الجيـف، وكـان معجبـا بالشـعراوي إعجابـا شـديدا فأجابـه العلامة بقوله: (هو منحرف عن العقيـدة وكثـيرا مـا يتـأول الآيات بتأويل لتناسـب مفـاهيم العصـر الحاضـر.. لا يؤخـذ عنه العلم.. عنده أسلوب جيـد جـذاب لكن مـا عنـده علم صحيح ولهذا فالـذي يريـد أن يسـتمع اليـه مـأخوذا بروعـة أسـلوبه يجب أن يأخـذ حـذره من أن يتلقن منـه مـا ليس بصحيح.. لقد ذكر لي بعضهم أنـه سـأله عن قولـه تعـالى: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى } [طه: 5]، وقال لـه: هـل يوصف ربنا بأن له صفة العلو؟ فثار عليه الشعراوي ثـورة عظيمة، وذكر له أن الله ليس له مكان وليس لـه زمـان.. وأظن أن هذا وحده كاف في بيـان ضـلاله.. بالإضـافة إلى ذلك فهو من علماء الأزهر.. وعلماء الأزهر علمـاء يتقنـون اللغة العربية.. لكنهم بعيدون عن السنة كل البعد) (1)

---

1) شريط رقم 206 من سلسلة الهدى والنور بتصرف.

قال السائق: ألا ترى أن شيخك قد بــالغ قليلا حين حكم على جميع علماء الأزهر أنهم بعيدون عن السنة؟

انتفض ربيع غاضبا، وهو يقول: ويلك.. كيـف تتجـرأ على رمي المحقق المدقق بالمبالغة.. إن جميع كلماته موزونـة بمـوازين دقيقـة.. ألا تعـرف مـوازين المحـدثين.. إنهم لا يقولون لغوا.. إنهم لا يقولون كذبا.. إنهم لا يقولـون زورا.. إنهم لا ينطقـون عن هـوى.. إن كلامهم {لَا يَأْتِيــهِ الْبَاطِــلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِــهِ} [فصـلت: 42]، ولهـذا أبيحت لهم الغيبة التي حرمت على غيرهم.

ألا تعلم أن النيــل من أهــل الحــديث ومن ســار على نهجهم أمر عظيم، فبه صرف النـاس عن الحـق الـذي هم عليه، ولهذا شدد سـلف هـذه الأمـة الصـالحون المهتـدون على من ينال منهم أقل نيل، فعن سفيان الثوري أنه قال: (استوصوا بأهل السنة خـيراً؛ فـإنهم غربـاء.. والظـاهر أن سفيان يريد أهل الحديث؛ لأن المنتسبين إلى السنة الذين يقـابلون أهـل البـدع في عصـره كـانوا أكثريـة، والدولـة والسلطان بأيديهم.

وقد فسَّر كل العلماء المحققين الغرباء والفرقة الناجية والطائفة المنصورة بأهل الحديث وبأهل السنة، ومـرادهم بأهل السنة أهل الحديث، وقد ورد في الحديث عن النــبي ﷺ أنه قال: (لا يزال ناس من أمتي منصـورين لا يضـرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة)(1)، وقد سئل الإمام أحمــد عن معنى هذا الحـديث؟ فقـال: إن لم تكن هـذه الطائفـة

1) سنن الترمذي: كتاب الفتن عن رسول الله ﷺ باب ما جاء في الشام ح(2192).

المنصورة أصحاب الحديث؛ فلا أدري من هم؟!.. وقال فيهم حفص بن غياث: هم خير أهل الدنيا.. وعن بكر بن عيَّاش أنه قال: إني لأرجو أن يكون أصحاب الحديث خير الناس.. وقد قال الحاكم مؤيداً قولهما: ولقد صدقا جميعاً أن أصحاب الحديث خير الناس، وكيف لا يكونون كذلك؟! ثم شرع في الثناء عليهم... إلى أن قال: فالشدائد مع وجود الأسانيد العالية عندهم رخاء، ووجود الرخاء مع فقد ما طلبوه عندهم بؤس؛ فعقولهم بلذاذة السُّنة غامرة، وقلوبهم بالرضاء في الأحوال عامرة، تعلُّم السنن سرورهم، ومجالس العلم حُبورهم، وأهل السنة قاطبة إخوانهم، وأهل الإلحاد والبدع بأسرها أعداؤهم (1).

سكت ربيع قليلا يستجمع أنفاسه، فظن السائق أنه أكمل حديثه، فأراد أن يتحدث، فقاطعه ربيع بقوة، وهو يقول: دعني ويلك أكمل حديثي.. لقد قال يوسف بن موسى القطان: ازدحمنا يوما على أبي بكر بن عياش، فقال: مالي أرى رؤوسا كأنها رؤوس الشياطين، فتنحينا عنه، فقال: ما أعلم في الدنيا قوما خيرا منهم هم قد عرفوا حديثي لو أخذوه وذهبوا من كان يقول لهم شيئا.. وقال هشام بن خالد حدثنا الوليد بن مسلم قال: شيعنا الأوزاعي وقت انصرافنا من عنده فأبعد في تشييعنا حتى مشى معنا فرسخين أو ثلاثة فقلنا له: أيها الشيخ يصعب عليك المشي على كبر سنك، فقال: امشوا واسكتوا لو علمت أن لله طبقة أو قوما يباهي الله بهم، أو أفضل

1) هذه النصوص والتعليقات عليها مقتبسة من كتاب (أهل الحديث هم الطائفة المنصورة والفرقة الناجية - حوار مع سلمان بن فهد العودة)، ربيع المدخلي، من مواضع متفرقة.

منكم، لمشيت معهم وشيعتهم، ولكنكم أفضل الناس.. وقال محمد بن أحمد بن البراء العبدي سمعت عثمان بن أبي شيبة يقول - وكان رأى بعض أصحاب الحديث يضطربون – فقال: أما إن فاسقهم خير من عابد غيرهم.. وقال قتيبة بن سعيد: إذا رأيت الرجل يحب أهل الحديث مثل يحيي بن سعيد القطان وعبد الرحمن بن مهدي وأحمد بن حنبل وذكر قوما آخرين فإنه على السنة ومن خالف هذا فاعلم أنه مبتدع.. وقال أحمد بن سنان: ليس في الدنيا مبتدع إلا وهو يبغض أهل الحديث، وإذا ابتدع الرجل نزع حلاوة الحديث من قلبه.

كان ربيع يخطب بقوة وحماسة، والزبد يتطاير من فمه، وجسمه يرتجف جميعا، وكنت في ذلك الحين كالأبله أتفرج معجبا بحفظه وحماسه وطريقة نطقه بالألفاظ، ولم تكن لدي أي مصفاة أزن بها كلامه، لأميز بين حقه وباطله، وعاقله ومجنونه.

بعد أن انتهى من خطبته الطويلة، قال له السائق: يا بني اسمعني جيدا.. الذي أعلمه.. وأنا كما تراني إنسان أمي بسيط لا أحفظ ما تحفظ.. هو أن أهل الحديث وغيرهم مهما جل قدرهم بشر قد يخطئون وقد يصيبون.. وقوله تعالى: {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى } [النجم: 3] نزل في رسول الله ﷺ ولم ينزل فيهم.

عاد ربيع إلى غضبه من جديد، وصاح في السائق: ويلك.. ثكلتك أمك.. أتتجرأ على أهل الحديث.. ألا تعلم أنه قيل للإمام أحمد: يا أبا عبدالله! ذكروا لابن أبي قتيلة بمكة أصحاب الحديث، فقال: أصحاب الحديث قوم سوء.

فقام الإمام أحمد مثـل قيـامي هـذا، وهـو ينفض ثوبـه، ثم قال: زنديق، زنديق، زنديق. ودخل البيت.

وقال أحمد بن سنان القطان: ليس في الدنيا مبتدع؛ إلا وهـو يبغض أهـل الحـديث، وإذا ابتـدع الرجـل؛ نـزع حلاوة الحديث من قلبه.

تـرك السـائق ربيعـا إلى أن انتهى من خطبتـه، ثم قـال مخاطبا له بكل أدب: ما دمت قد أثنيت على أهل الحديث وذكرت فضلهم.. فلـدي هنـا بعض الأشـرطة لعـالم جليـل من علماء الحديث.. أرى أن ما ذكرته ينطبق عليه تمامـا.. فهو لا يقول زورا، ولا ينطق عن هوى.

ابتسم ربيع، وقال: وأخيرا عدت إلى رشدك.. هات ضـع الشريط.. وشنف آذاننا بأطيب كلام.. كلام المحدثين.

أخذ السائق يبحث عن الشريط، لكنه بمجرد أن وجــده، وأراد وضعه أوقفه ربيع، وقـال: رويـدك يـا رجـل.. أخبرنـا أولا.. من هو هذا المحدث الذي تريد أن تسمعنا صوته؟

قـال السـائق: ألم تـذكر أن أهـل الحـديث كلهم ثقـاة.. وناجون.. ومنصورون؟

قال ربيع: لقـد ظهـر فيهم بعض المبتدعـة، ممن تلاعب بهم الشيطان.. ولذلك أخبرنا أولا من هو هذا المحدث؟

قال السائق: إنه حسن السقاف..

عـاد الغضـب إلى ربيـع من جديـد، وقـام، وهـو يقـول: ويلك.. ألم تعرف من المحدثين غـير هـذا المبتـدع الضـال المضــل.. ويلــك ألا تقــع إلا على الجيــف.. لقــد عقــدنا الاجتماعات الطويلة عنه، وكلنا اتفق على أنه[1] (رافضـي

---

1) الشتائم المذكورة هنا منقولة بتصرف من أكبر منتدى للسلفية، ملتقى أهـــــل الحـــــديث، على هـــــذا الرابـــــط: (http://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=66246)

خبيث، من أكثر الناس مناداةً ودعوةً إلى وحــدة الوجــود.. إلا أنه لم يدم في دعوته إلى مبادئه العفنة طويلاً، فتنصل وانخنس، وأصبح يقرأ في عقائد الفـرق الضـالة، فأعجبتـه فكرة دخوله أو تحوله إلى مذهب الرافضـة ظنـاً منـه ــ أو تصديقاً لحاله ـ بأنه شـريف من السـادة آل الـبيت ــ على حد تعبيره.. وأين هو من ذلك، فإذا نظرت إلى حقيقة هذا الخساف المتهور، وجدته كسراب بقيعة يحسبه الظمـآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً، أو {أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُـهَا فَـوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْـرَجَ يَـدَهُ لَمْ يَكَـدْ يَرَاهَـا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ} [النور: 40]، ولم يــزل هـذا المتهـور المعثـار يطعن في الـدين ويشـوهه، متخـذاً حسبه ونسبه ـ زاعماً ـ مطيةً للدس في الدين.. وقد تبعـه على ذلك غلمان حدثاء الأسنان، يمرقون من الدين - وهم لا يشعرون ـ مروق السهم، فقد جرهم هذا المجرم باديء ذي بدء إلى وحدة الوجود - مستغلاً بـذلك جهلهم - وهـاهو الآن يجرهم وراءه إلى مذهب الرافضة، وهم لا يشعرون)

قال السائق: لا تعجل يا بـني في أحكامـك ولا تتسـرع.. نعم هو اختلف مع الألبـاني في بعض الأمـور.. لكن هـذا لا ينفي عنه صفة أهل الحديث.. فكتبه تشهد بكونه محـدثا لا يقـل عن كبـار المحـدثين المعاصـرين إن لم يكن يتفـوق عليهم.. أما كونه رافضيا، فلا أراه يرجع في كتبه إلى بحار الأنوار ولا إلى الكافي، بل أراه يرجع إلى البخاري ومسلم وكتب أهل السنة جميعا.

قال ربيع: أهل الحديث الذين ورد مدحهم في النصـوص هم الذين خلصوا للحديث.. أما الذين مزجوا حـديثهم بعلم

الكلام والتصـــوف.. فلا كرامـــة لهم.. ولا حرمـــة لهم.. ولحومهم حلال لمن يشاء أن يأكلهـا.. بـل إنـا نتقـرب إلى الله بذمهم والدعاء عليهم.

قال السائق: دعني يا بني أضع الشـريط لتسـمعه.. إنـه في تنزيه الله.. إنه يذكر من الأدلـة العقليـة على ذلـك مـا يملأ القلب راحة وطمأنينة وإيمانا.

انتفض ربيع، وقال: وما علاقة العقل بالدين.. ألم تسـمع ما ورد في نصوصنا المقدسة عن ذم العقل؟

قـال السـائق: كيـف تقـول ذلـك.. ألم تقـرأ القـرآن الكريم؟.. ألم تقرأ ما ورد فيه من مدح العقل، ومن مـدح أصحاب العقول؟

قال ربيع: من أنت حتى تتجـرأ على القـرآن الكـريم.. لا يمكن أن تحتج بالقرآن ففيه الناسخ والمنسوخ.. والخـاص والعـام.. والمطلـق والمقيـد.. مـا أدراك لعـل الآيـة الـتي استدللت بها منسوخة.. أو أنها مخصصة.. أو أنها مقيدة..

قال السائق: إذا لم نرجع للقرآن الكريم.. فلمن نرجع؟

قال ربيع: إلينـا.. إلى أهـل الحـديث.. فالسـنة هي بيـان القرآن.. ونحن ناقلو السنة.. ولا يفهم السنة من لم يرجـع إلينا.

قال السائق: ولكن هذا الرجل متكلم كبير.. وهو يفســر السنة على منهج أهل الكلام..

غضـب ربيـع غضـبا شـديدا، وقـال: ومـتى صـار المتكلم سـنيا.. (لم يكن للبشــرية بعلم الكلام علم منــذ عــرفت

العلم فلم يعرفه السابق حتى يعلمه اللاحق ؛ لقد كان علماً مبتكراً جديدا ظل التاريخ، والواقع عليه شهيدا.. فقد نشأ في الدولة اليونانية، ودرس في مدارسها البيقوريه والرواقية والسفسطائية وفي الدولة اليونانية بنيت العلوم المنطقية، ووضعت ضوابطها العقلية، وقال اليونان بأنه آلة تعصم عن الخطأ الأذهان، ولو عصم منهم الأذهان لقلنا صدق اليونان لكنهم مختلفون في أبسط قواعد ما يعرفون فأرسطاليس الذي رتب علم المنطق، وحرره. رد على أساتذته أفلاطون، وسقراط، وتبرأ منهما فلا يعصم عقل الإنسان مهما كان إلا بوحي من الرحمن يكشف له الغيب، ليصل بلا ريب ثم زحف علم الكلام على أمة الإسلام فكان لها مضللا، ولفكرها مشتتا، ولرأيها مفرقا، ولوحدتها ممزقا، وبقي إلى اليوم مشغلاً للقوم الذين تأثروا بالأبحاث الفلسفيه في العقائد الإيمانيه مع أنها توقيفيه فيا لمصيبة الإسلام من طريقة أهل الكلام)(1)

قال السائق: لا تعجل يا بني.. فعلم الكلام علم راسخ.. وله علماؤه الكبار المشهود لهم بالعلم ونصرة الدين.. وهم كسائر الناس ليسوا معصومين.. ولا حرج على المجتهد أن يخطئ.. فقصدهم - حتى لو أخطأوا في بعض ما بحثوه -نصرة الدين والرد على الشبهات.

غضب ربيع غضبا شديدا، ثم قال: ألا تعلم ما أجاب به أبو عمر الضرير حين سئل عن تعلم علم الكلام للرد به

---

1) هذا الكلام مقتبس من كتاب (الإمام في تحريم علم الكلام)، محمد بن أحمد العماري، عضو الدعوة والإرشاد بوزارة الشؤون الإسلامية بالمملكة العربية السعودية، دت، دط، ص5.

على أهل الجهل؟ لقد وقف مثل موقفي هذا، وقال: الكلام كله جهل فلا تتعلم الجهل، فإنك كلما كنت بالجهل أعلم كنت بالعلم أجهل([1]).. وقال أبو يوسف: العلم بالكلام، والخصومة جهل، والجهل بالكلام علم.. وقال الإمام مالك: لو كان الكلام علماً لتكلم فيه الصحابة، والتابعون كما تكلموا في الأحكام ،والشرائع، ولكنه باطل يدل على باطل.. وقال الشافعي: الكلام ليس من العلم.

قال السائق: أظن أن المشكلة وردتك من اسمه.. لا بأس.. فله اسم آخر.. إنه (علم التوحيد)

قهقه ربيع بصوت عال، وقال: منذ متى صار علم التوحيد يتكلم عنه بالعقل.. علم التوحيد ما أخذ من النقل لا من العقل.. لقد قال العباس بن سريج: توحيد أهل العلم، وجماعة المسلمين أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمد رسول الله، وتوحيد أهل الباطل من المسلمين الخوض في الأعراض والأجسام، وإنما بعث النبي بإنكار ذلك([2]).. وسئل الإمام مالك عن التوحيد، فقال: محال أن يظن بالنبي ﷺ أنه علم أمته الإستنجاء، ولم يعلمهم التوحيد.

قال السائق: ولكن من الناس من لا يتقبل النقل.. ولذلك نبدأ معه بالعقل.. فكيف ترانا نبادر الملحد الذي ينكر القرآن الكريم.. هل نخاطبه بما يفهمه أم بما لا

---

[1] (1) - رواه العجلي في ذم الكلام ج1ص93، ومثله الآثار التالية كلها في صفحات متقاربة.

[2] (5)-رواه العجلي في ذم الكلام وأهله ج1ص87

يفهمه، ولا يقر به؟

قال ربيع: كل جدال بالعقل ضلالة.. لقد قَالَ الله تَعَالَى: { وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَـادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْـرِ عِلْمٍ وَلَا هُـدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ }[لقمان: ٢٠].. فلا يجادل في الرحمن إلا اتباع الشيطان.. والجدال في الله بالعقل أضـل المسـلمين عن النقــل.. وقــد أمــر اللــه المســلمين بــترك المجــادلين والإعراض عنهم، وعدم القعـود معهم قَـالَ تَعَـالَى:{ وَلِلّـهِ الأَسْـمَاء الْحُسْـنَى فَـادْعُوهُ بِهَـا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِـدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ }[الأعـراف: ١٨٠]، بـل جعـل من قعـد معهم في الإثم مثلهم. قَـالَ تَعَـالَى:{ وَقَـدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللّهِ يُكَفَـرُ بِهَـا وَيُسْـتَهْزَأُ بِهَـا فَلاَ تَقْعُـدُواْ مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُـواْ فِي حَـدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِّثْلُهُمْ } [النساء: ١٤٠]

قـال السـائق: صـدق اللـه العظيم.. ولكن هـذه الآيـات الكريمــة نــزلت في المجــادلين العــابثين، لا في طــالبي الحقيقة الذين يحتاجون من يجادلهم ويحاورهم.. وقد كان المتكلمــون هم الــذين تخصصــوا في هــذا.. وكــان لهم صوابهم، كما كان لهم خطؤهم.

قال ربيع: لو أنك رجعت إلى سلف الأمة لما وقعت في هذه الضلالات[1].. لقد سئل أبو حنيفة عما أحـدث النـاس من الكلام في الأعــراض، والأجســام فقــال: مقــالات الفلاسفة عليك بالأثر وطريقة السلف وإياك، وكل محدثـة فإنها بدعة.. وقال: لعن الله عمرو بن عبيد إنه فتح للناس

---

1(1)- الآثار التي ننقلها هنا كلها رواها العجلي في ذم الكلام وأهله ج 1ص85، فما بعدها.

الطريق إلي علم الكلام.. وقال محمد بن الحسن: كان أبو حنيفة يحثنا على الفقه، وينهانا عن الكلام.. وقال أبو يوسف: العلم بالكلام، والخصومة جهل، والجهل بالكلام علم.. وقال: من طلب الدين بالكلام تزندق.. وقال عبد الرحمن بن مهدي: من طلب الكلام فآخر أمره إلي الزندقة.. ودخل رجل على مالك بن أنس، فسأله عن القرآن. فقال لعلك من أصحاب عمرو بن عبيد، لعن الله عمراً، فإنه ابتدع هذه البدع من الكلام، ولو كان الكلام علماً لتكلم فيه الصحابة ،و التابعون كما تكلموا في الأحكام، والشرائع، ولكنه باطل يدل على باطل.. وقال: إياكم وأهل البدع فقيل: يا أبا عبد الله، وما البدع؟ قال: أهل البدع الذين يتكلمون في أسماء الله، وصفاته، وكلامه، وعلمه، وقدرته، ولا يسكتون عما سكت عنه الصحابة والتابعون لهم بإحسان.. وقال الشافعي: لقد اطلعت من أهل الكلام على شيءٍ والله ما توهمته قط ،ولأن يبلى المرء بما نهى الله عنه خلا الشرك بالله خير من أن يبتلى بالكلام.. وقال: حكمي في أصحاب الكلام أن يضربوا بالجريد، ويحملوا على الإبل، ويطاف بهم في العشائر، والقبائل، ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب، والسنة، وأخذ الكلام.

قال السائق، وهو يبتسم: على حسب قولك.. فإن كل علماء الأمة على ضلالة.. وينبغي أن نضربهم جميعا بالجريد.

قال ربيع: كيف ذلك؟

قال السائق: ما هي الطوائف التي مارست الكلام في

تاريخ الإسلام؟

قال ربيع: كل الطوائف الضالة ما عدا أهل الحديث الناجون المنصورون.. أما من عداهم فقد وقعوا في فخ علم الكلام.. فأهل الكلام، والعقل، والجدل هم: المعتزلة والجهمية والأشاعرة والماتريدية والشيعة الإثنا عشرية والشيعة الزيدية والإباضية.. وكل من خاض بعقله في الدين.

قال السائق: أليس في هؤلاء علماء ومحققون وباحثون؟

قال ربيع: لا عالم إلا أهل الحديث.. أما من عداهم فهم في الضلالة يسدرون.. وفي غيهم يخوضون.. وإلى النار يوم القيامة يدخلون.

قال السائق: وما تقول فيما ورد في القرآن من ذكر البرهان، كما قَالَ تَعَالَى:{ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ} [البقرة: ١١١]، وعلم الكلام ليس سوى محاولة للبرهان على الحق.

قال ربيع: الحجة في برهان النقل لافي برهان العقل، قَالَ تَعَالَى:{ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً} [الإسراء: ١٥]، فلو كان البرهان بمجرد العقل لعذب وإن لم يبعث الرسل.

قال السائق: اسمعني يا بني جيدا.. إن بعض ما تقوله صحيح.. فقد تدخل بعض أهل الكلام فيما يعنيهم.. ولكن ذلك لا يلغي أصل علمهم.. علم الكلام محاجة لأهل الباطل.. وقد ضرب الله تعالى مثالا لذلك بإبراهيم عليه

السلام: قَالَ تَعَالَى:{ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} [البقرة: ٢٥٨ ]

قال ربيع: اسمعني جيدا أيها المجادل عن أهل الباطل.. علم الكلام باطل، ولا يدمغ الباطل إلا الحق، قَالَ تَعَالَى:{ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ} [الأنبياء: ١٨].. محاجة إبراهيم للنمرود تعجيزية، وليست عقليه، وعجزه يدل على صدق إبراهيم، وصدق الأنبياء يعرف بالمعجزات لا بالعقل..

قال السائق: ولكن الله تعالى ذكر أنه لقن إبراهيم عليه السلام الحجة، فقال:{ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاء إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ} [الأنعام: ٨٣]، وعلم الكلام ليس سوى حجج واحتجاجات.

قال ربيع: حجة إبراهيم مستمدة من الرحمن، وحجة أهل الكلام مستمدة من اليونان. فتأمل {وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ} فالحجة مستمدة من النقل لامن العقل، من وحي الرحمن لا من كلام اليونان.

قال السائق: لكن القرآن الكريم ذكر عن الأنبياء أنهم كانوا يجادلون أقوامهم، كما قال تعالى عن نوح عليه السلام، قَالَ تَعَالَى:{ قَالُواْ يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتَنِا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ} [هود: ٣٢ ]، وأهل الكلام لا يمارسون سوى ذلك اقتداء بالأنبياء عليهم السلام.

قال ربيع: جدال الأنبياء لأهـل الباطـل بعلم مسـتمد من الرحمن، وجدال أهـل الكلام بجهـل مسـتمد من اليونـان.. قَالَ تَعَالَى:{ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّيَ وَآتَـانِي رَحْمَـةً مِّنْ عِنـدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَـا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ} [هود: ٢٨]

قـال السـائق: ألا تـرى أن القـرآن كلـه محاجـة لأهـل الباطـل.. وهـو يسـتعمل مـا تعـارفت عليـه العقـول من المنطق؟ ألم تسمع إلى الله تعالى وهو يقول::{ لَـوْ كَـانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُـبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَـرْشِ عَمَّا يَصِـفُونَ} [الأنبيـاء: ٢٢]، وهـذه محاجـة بقضـايا عقليـة منطقية.

قال ربيع: النقل هـو الـذي أعطى الحجـة للعقـل فمـتى كـان العقـل يعـرف التوحيـد قبـل النقـل، فالعقـل لا يعلم العقائد، والشرائع إلا بالنقل، ولو عرفت بالعقل لما احتـاج العقلاء إلى كتب وأنبياء.

قال السائق: لكن الله تعالى أمرنا بالتـدبر فقَـالَ:{ أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَـانَ مِنْ عِنـدِ غَيْـرِ اللّـهِ لَوَجَـدُواْ فِيـهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً} [النساء: ٨٢]، وقَـالَ:{ كِتَـابٌ أَنزَلْنَـاهُ إِلَيْـكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ} [ص: ٢٩]

وأمرنـا بـالتفكر، فقَـالَ:{ كَـذَلِكَ نُفَصِّـلُ الآيَـاتِ لِقَـوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} [يونس: ٢٤]، وقَالَ:{ وَأَنزَلْنَا إِلَيْـكَ الـذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} [النحل: ٤٤]

وأمرنا بالتعقـل، فقَـالَ:{ إِنَّا أَنزَلْنَـاهُ قُرْآنـاً عَرَبِيّـاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُـونَ} [يوسـف: ٢]، وقَــالَ:{ وَيُـرِيكُمْ آيَاتِـهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} [ البقرة: ٧٣]

وهذه الأمور جميعا تفتقر إلى العقل.

غضب ربيع غضبا شديد، وقال: ويلك.. تبا لك من مجادل عنيد.. إن قول رسول الله ﷺ : (أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي مُنَافِقٌ عَلِيمُ اللِّسَانِ يُجَادِلُ بِالْقُرْآنِ)(1) ليصدق فيك، وينطبق عليك، وأنت حقيق به.

قال السائق: إن لم نحتج بالقرآن ونرجع إليه.. فلمن نرجع؟

قال ربيع: القرآن حمال وجوه.. ولذلك لابد من العودة إلى السنة.. وإلى كلام السلف الذي هم أولى الناس بالقرآن.

قال السائق: فقد قال رسول الله ﷺ..

قاطعه ربيع بقوة، وقال: اسكت.. ويلك..أتريد أن تكذب علينا.

قال السائق: لا.. كنت أريد أن أذكر لك حديثا لرسول الله ﷺ يؤيد ما ذكرت.

قال ربيع: وذلك هو الكذب.. فقد اتفق المحدثون على أنه لم يصح في فضل العقل شيء، لقد قال العلامة ابن القيم: (أحاديث العقل كلها كذب)(2) ونقل عن أبي الفتح الأزدي وأبي جعفر العقيلي وابن حبان: (أنه لا يصح في العقل حديث.. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره:

---

1) رواه ابن عبد البر.

2) المنار المنيف (ص 25).

(أحاديث العقل كلها موضوعة )(1)

قال السائق: لا بأس.. فلندع هذا الحديث، ولنستمع كلام هذا العالم ونزنه بموازين الكتاب والسنة، فإن رأيت أنه يخالف ما وردا به ضربنا به عرض الجدار.

قال ربيع: ويلك.. ثم ويلك.. لأن أصب القطران في أذني أحب إلي من أن أستمع إلى هذا الدعي الصعلوك الكذاب المفتري.. لقد قال الإمام أبو عثمان الصابوني في صفة أهل السنة: ويبغضون أهل البدع، الذين أحدثوا في الدين ما ليس منه، ولا يحبونهم، ولا يصحبونهم، ولا يسمعون كلامهم، ولا يجالسونهم، ولا يجادلونهم في الدين، ولا يناظرونهم، ويرون صون آذانهم عن سماع أباطيلهم، التي إذا مرت بالآذان، وقرت في القلوب ضرت، وجرت إليها الوساوس والخطرات الفاسدة ما جرت)(2).. وقال سفيان الثوري: (من أصغى بسمعه إلى صاحب بدعة، وهو يعلم، خرج من عصمة الله، ووكل إلى نفسه.. وقال: من سمع ببدعة، فلا يحكها لجلسائه، لا يلقها في قلوبهم.. وقال ابن بطة: فالله الله معشر المسلمين، لا يحملن أحدا منكم حسن ظنه بنفسه، وما عهده من معرفته بصحة مذهبه على المخاطرة بدينه في مجالسة بعض أهل هذه الأهواء، فيقول: أداخله لأناظره، أو لأستخرج منه مذهبه، فإنهم أشد فتنة من الدجال، وكلامهم ألصق من الجرب، وأحرق للقلوب من

---

1) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (5/ 400).

2) عقيدة السلف وأصحاب الحديث (ص298-299).

اللهب، ولقـد رأيت جماعـة من النـاس كـانوا يلعنـونهم، ويسبونهم، فجالسوهم على سـبيل الإنكـار، والـرد عليهم، فما زالت بهم المباسطة وخفي المكر، ودقيق الكفر حتى صبوا إليهم(1).. وقال ابن قدامة: كان السـلف ينهـون عن مجالســة أهــل البــدع والنظــر في كتبهم والاســتماع لكلامهم(2).. وقال البربهاري: وإذا رأيت الرجل جالساً مـع رجل من أهل الأهواء فحذّره وعرّفه، فإن جلس معـه بعـد ما علم فاتقه؛ فإنه صاحب هوى(3).. وقـال شـيخ الجميـع، بل شيخ الإسلام نفسـه ابن تيميـة: ويجب عقوبـة كـل من انتسـب إليهم أو ذب عنهم، وأثـنى عليهم، أو عظم كتبهم، أو عرف بمسـاعدتهم، أو كـره الكلام فيهم، أو أخـذ يعتـذر لهم.. بل تجب عقوبـة كـل من عـرف حـالهم، ولم يعـاون على القيــام عليهم، فــإن القيــام على هــؤلاء من أعظم الواجبات لأنهم أفسدوا العقول والأديان(4).

---

1) الإبانة: (2/470)

2) انظر: الآداب الشرعيه لابن مفلح : (1/232).

3) شرح السنة (ص : 121).

4) مجموع الفتاوى (2/132).

ترك السائق ربيعا إلى أن انتهى من حديثـه، وبعـد ذلـك أخرج شـريطا من محفظتـه، وقـال: لا بـأس مـا دمت قـد اعتبرت علم الكلام علما مذموما، وأنه يتناقض مع القـرآن الكـريم.. فلـدي هنـا شـريط لعـالم يوافقـك في بعض مـا طرحته.. وهو من البلاد التي تطلقون عليهـا بلاد التوحيـد.. وقـد نـذر حياتـه كلهـا للقـرآن الكـريم، فـآراؤه وأفكـاره ومواقفه كلها تنهل من بحار القرآن الكريم العذبة..

قـال ربيـع: لا بـأس.. لكن من هـو؟ فليس كـل من نـذر حياته للقرآن من أهل القـرآن.. لا يكـون الرجـل من أهـل القرآن حتى يكون من أهـل الحـديث.. ولا يكـون من أهـل الحديث حتى يكون من أتباع السلف.. السلف الصـالح هم النظـارة الـتي ننظـر بهـا إلى الـدين.. وهم الصـراط المستقيم الذي جعله الله لعباده ليعصمهم من الضلالة.

قـال السـائق: لا بـأس.. وإن كنت أختلـف معـك فيمـا ذكرت.. لكن هذا الرجل ابن للمدرسة التي تتحـدث عنهـا، فقد تتلمذ على مشـايخها، ولديـه علم بالحـديث والروايـة، بل لديه فوق ذلـك قـدرة على الجـرح والتعـديل وتمحيص النصوص، لا الحديثية فقط، بل التاريخية أيضا.. ولهـذا هـو يدعو إلى تهذيب التراث وغربلته وإخراج الدخيل عليه.

فرح ربيع، وقال: هذا من نبحث عنه.. هلم به.

أراد السائق أن يضع الشريط، لكن ربيعا أوقفه، وقـال: انتظر.. أنت لم تذكر اسمه..

قال السائق: لقد ذكرت لك صفاته.. وفيها ما يغـني عن

ذكر اسمه.. فالحق يعرف بأوصافه لا بأسماء أصحابه.

قال ربيع: لا.. هذا عندكم معشر المبتدعة.. نحن - بقية السلف وحماة الدين - لا نكتفي بالأوصاف، بل ننظر إلى الأسماء وندقق فيها حتى لا يتسرب للدين المبتدعة والضالين الذين يخدعون الناس بأوصافهم.

قال السائق: لا بأس.. إنه حسن بن فرحان المالكي..

وقف ربيع، والزبد يتطاير من فمه، وهو يقول: أوقفه، أوقف الله أنفاسك.. ما الذي تريد أن تسمعنا؟.. إن هذا الرجل رأس من رؤوس الضلالة.. ألا تعلم ما ألف أنصار السنة والسلف حوله من المؤلفات التي تحذر منه.. إنها كثيرة جدا.. منها (الانتصار للصحابةِ الأخيار في ردِّ أباطيل حسن المالكي) للعلم العلامة الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد البدر.. ومنها (الرد السديد على مطاعن حسن المالكي على أئمة الدعوة ومقررات التوحيد) للأثري السلفي الثقة الشيخ إبراهيم بن عامر الرحيلي.. ومنها (دحر افتراءات أهل الزيغ والارتياب عن دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب) لشيخ الجرج والتعديل في هذا العصر بلا منازع الشيخ ربيع المدخلي.. وغيرها كثير.

قال السائق: أرى أن أصحابك ليس لهم شغل إلا التأليف في الرد على من يخالفهم.

قال ربيع: صدقت في هذا.. فهم القائمون على حصن الدين.. وقد آتاهم الله قوة في التأليف، ومدادا كثيرا حولوا منه سهاما نصبوها لحرب أعداء الله، وكل من ينحرف عن دين الله وسنة رسول الله.. لقد كتب شيخنا العلامة محمد ناصر الدين الألباني كتابه (دفاع عن

الحديث النبـوي والسـيرة في الـرد على جهـالات الـدكتور البوطي).. وكتب (الرد على أرشد السلفي).. وكتب (الرد على التعقيب الحـثيث).. وكتب (الـرد على رسـالة الشـيخ التويجري في بحوث من صفة الصلاة).. وكتب (الـرد على السخاف فيما سوَّده على دفع شُبه التشبيه).. وكتب (الرد على الشـيخ إسـماعيل الأنصـاري في مسـألة الـذهب المحلّق).. وكتب (الرد على عز الدين بيلق في منهاجـه).. وكتب (الـرد على كتـاب: تحريـر المـرأة في عصـر الرسـالة).. وكتب (الـرد على كتـاب: ظـاهرة الإرجـاء).. وكتب (الـرد على كتـاب المراجعـات).. وكتب (الـرد على هدية البديع في مسألة القبض بعد الركـوع).. وكتب (الـرد المفحم على من خالف العلماء وتشـدد وتعصـب).. وكتب (كشـف النقـاب عمـا في كلمـات أبي غـدة من الأباطيـل والافتراءات).. وكتب (النصـيحة بالتحـذير من تخـريب ابن عبد المنان)

ولا يقل عنه شيخنا الكبير العلامة المحدث بقية السـلف الشيخ مقبل بن هادي الوادعي، فقد حول هو الآخر كل ما آتاه الله من مدادا سهاما وجهها لحرب أعداء السنة.. فقد كتب (الطليعة في الرد على غلاة الشيعة).. وكتب (رياض الجنـة في الـرد على أعـداء السـنة).. وكتب (إرشـاد ذوي الفطن لإبعـاد غلاة الـروافض من اليمن).. وكتب (الإلحـاد الخميـني في أرض الحـرمين).. وكتب (ردود أهـل العلم على الطاعنين في حديث السـحر).. وكتب (المصـارعة).. وكتب (قمع المعاند وزجر الحاقد الحاسـد).. وكتب (غـارة الأشـرطة على أهـل الجهـل والفسـفطة).. وكتب (تحفـة الشـباب الربـاني في الـرد على الإمـام محمـد بن علي

الشوكاني).. وكتب (غارة الفصل على المعتدين على كتب العلل).. وكتب (إعلان النكير على أصحاب عيد الغدير).. وكتب (إقامة البرهان على ضلال عبد الرحيم الطحان).. وكتب (فضائح ونصائح).. وكتب (البركان لنسف جامعة الإيمان).. وكتب (إسكات الكلب العاوي يوسف بن عبد الله القرضاوي).. وكتب (صعقة الزلزال لنسف أباطيل أهل الرفض والاعتزال)

ومثلهما كتب شيخنا الكبير العلامة ربيع بن هادي عمير المدخلي.. فقد كتب..

قاطعه السائق، وهو يقول: لا بأس.. أرانا لن ننتهي لو عددت لنا كل ما ألفه مشايخك في الردود.. فهل تدعنا نسمع لابن فرحان بنية الرد عليه.. لا بنية الاستفادة منه.

قال ربيع، والربد يتطاير من فمه: ويلك ثم ويلك.. أتريد أن تحتال علي.. لقد حذرنا أئمتنا من الاستماع إلى أهل البدع، ولو بنية الرد عليهم..

قال السائق: فكيف يردون عليهم ما داموا يحرمون الاستماع لهم؟

قال ربيع: للعلماء الأعلام فقط حق الاستماع.. وبعدها يصدرون مواقفهم وردودهم.. ونروح نحن بما أوتينا من قوة نتسابق لنشر تلك الردود والتحذيرات.

قال السائق: اصدقني القول.. هل قرأت شيئا لابن فرحان، أو سمعت له شيئا.

قال ربيع: معاذ الله.. ولكني قرأت كل ما كتب عنه، وسمعت لكل من رد عليه.. وبذلك يمكنني أن أقول: إني

أعرفه أكثر من الذين استمعوا له..

قال السائق: كيف ذلك؟

قال ربيع: لأن أعلامنا من أهل الجرح والتعديل يــدركون مـا لا نـدرك.. فقـد يكـون الكلام صـحيحا ومعسـولا لكنـه يحوي السم الزعاف.. ولذلك لا نقبل شيئا إلا بعـد أن يمـر على مصفاة أهل السنة والحديث..

قال السـائق: لكن الشـيخ حسـن على حسـب مـا أعلم تتلمذ على بعض المشايخ الذين تثق فيهم.

قال ربيع: أجل علمت ذلك.. وقد أرسل صديقنا البـاحث السلفي الأثـري سـليمان بن صـالح الخراشي رسـالة إلى الشيخ عبداللـه بن عبـدالرحمن السـعد، الـذي يـدعي ابن فرحـان أنـه تتلمـذ على يديـه، وقـد جـاء فيهـا: (لا يخفى عليكم ما يقوم به المدعو حسـن بن فرحـان المـالكي من نشر لضلالاته بين الحين والآخر ؛ ومن ذلك : تهجمــه على صـحابة رسـول اللـه ﷺ، وعلى عقيـدة السـلف الصـالح، ومحاربتها بما ينشره من مـذكرات خبيثـة؛ كمذكرتـه الـتي طبعها بعنوان (قراءة في كتب العقائد) وقـد شـحنها بلمـز كثـير من علمـاء السـنة الـذين ألفـوا في العقيـدة، بلهجـة حانقة لا تصـدر إلا عن مبغض شـانئ لهم، وكـان من آخـر مخازي هذا الرجـل نشـره لمـذكرة بعنـوان (نقض كشـف الشبهات) يحمل فيها هذا المعتوه حملة شعواء على شـيخ الإسلام المجدد محمد بن عبدالوهاب، ويلصـق بـه مـذهب تكفـير المسـلمين، ويـدافع عن القبـوريين.. وقـد تـواترت لدينا الأخبار – فضيلة الشـيخ – أن هـذا المبتـدع يتبجح في كثــير من مجالســه بأنــه كثــير المدارســة لكم في علم

الحديث، والأخذ منكم، بما يـوهم السـامعين أنكم راضـون عن مسلكه الذميم – والعياذ بالله – تلبيساً منه على بعض طلبـة العلم ممن يحسـنون الظن بكم.. ونحن نتمـنى من فضيلتكم بما عرفناه عنكم من صـدع بـالحق بيـان حقيقـة هذا الرجل؛ حتى لا يغـتر بـه أحـد ويصـدق دعـواه، جعلكم الله من أنصار دينه)

وقد رد عليـه الشـيخ برسـالة جـاء فيهـا: (إن حسـن بن فرحان المالكي إنسان ضال متبع لهواه، منحرف عما جاء في كتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ، مخـالف لمـا عليـه المسلمون.. وقد رددت عليه في مقدمة كتاب (الإبانة لما للصـحابة من المنزلـة والمكانـة ) فيمـا يتعلـق بطعنـه في الصحابة، وذلك قبل أن يظهر طعنه بالعقيدة الأثريـة الـتي جاءت في الكتاب والسـنة.. وقـد حضـر فيمـا سـبق بعض دروسي وجرى عـدة لقـاءات بيـني وبينـه، وذلـك قبـل أن يٌظهـر كثـيراً من ضـلالاته وإنحرافاتـه، وكنت أترفـق بـه وأحاول معه ؛ حتى يتبع الحق، وقـد نصـحته ولكن الرجـل استمر على إنحرافه، بل وزاد في الضلال والغي)

التفت ربيع إلى السائق: ألا تـرى كيـف تـبرأ الشـيخ من تلميذه.. ألا يكفيك هذا حتى تتبرأ منه أنت الآخر؟

قال السائق: أنا لا أتبرأ إلا من نفسي الأمـارة بالسـوء.. أما الخلق فهم لله، وهو أعلم بهم مـني.. لكـني لم أسـمع إلا تجريحا مجردا عن أي بينة.

قال ربيع: هل تريد أن أفصل لـك مـا ذكـره أعلامنـا من بينات تدل على ضلاله.. إن ذلك محـال.. ولن تكفي جميـع أيام الدنيا لذلك؟

قال السائق: ألهذا الحد بلغت جرائمه؟

قال ربيع: أجل.. لقد كتب فضيلة الشيخ حمود بن عقلاء الشعيبي جوابا على من سأله عن حال المالكي الذي ننعته بالهالكي، فقال: (كثر في عصرنا الحداثيون والعلمانيون والمعتزلة وغيرهم من أصحاب العقائد الفاسدة، الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون، وأخطرهم وأعظمهم أثرا من جمع خليطاً من هذه العقائد الفاسدة والأفكار المنحرفة، لا سيما الطعن في الصحابة، والقدح في أهل السنة وفي كتبهم، والدفاع عن أهل الضلال، وعلى رأس هؤلاء حسن بن فرحان المالكي، الذي قد تضخمت انحرافاته، وتعاظم شره)

ألا ترى كيف اعتبره هذه العلم العلامة جامعا لرذائل أهل الملل والنحل؟

قال السائق: لقد سمعت حديثه عن الصحابة.. وهو لا يرقى إلى ما ذكرت.. كل ما في الأمر هو أنه يريد العودة بالدين إلى صفائه وأصالته.. وقد وجد من قومه من يريدون نسف ما ورد في القرآن الكريم من معان وقيم سامية بما ورد عن بعض الصحابة مما يخالفها، فدعاهم إلى تحكيم عقولهم، والتحقيق فيما نقل عن الصحابة حتى لا ننسخ المعاني السامية للدين بما فعله الصحابة أو بعضهم أو فهموه من الدين.. فالصحابة بشر كسائر الناس، وهم يخطئون كما أنهم يصيبون، ولذلك يحتاج من يريد أن يعود بالدين إلى صفائه أن يميز بين ما أخطأوا فيه وما أصابوا.. وليس في ذلك أي حرج.

لقد سمعته يروي عن الصحابة أنفسهم ما يؤيد هذا

المعنى، لقد نقل عن أنس بن مالك قوله: (ما أعرف شيئاً مما كان على عهد النبي ﷺ! قيل آلصلاة؟ قال أليس ضيَّعتم ما ضيَّعتم فيها؟)(1)

بالإضافة إلى هذا، فقد كان التابعون أحيانا يخلطون في رواياتهم عن الصحابة، فعن بسر بن سعيد، قال: اتقوا الله، وتحفظوا من الحديث، فوالله لقد رأيتنا نجالس أبا هريرة، فيحدث عن رسول الله، ويحدثنا عن كعب، ثم يقوم ; فأسمع بعض من كان معنا يجعل حديث رسول الله عن كعب ويجعل حديث كعب عن رسول الله)(2)

ولهذا، فإنه يدعو إلى إنقاذ الإسلام من كل التأثيرات السلبية التي دخلت إليه من اليهود أو النصارى أو غيرهم من أهل الملل، والتي أشار إليها ﷺ في قوله: (لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا شبرا وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم). قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: (فمن؟)(3)

وقد وضع لذلك ضابطا مهما، وهو عرض ما ورد في الروايات على القرآن الكريم، فما وافقه قبل، وما خالفه رفض، وقد ورد في ذلك حديث شريف، فقد قال ﷺ : (ستكون علي رواة يروون الحديث، فأعرضوا القرآن، فإن وافقت القرآن فخذوها وإلا فدعوها)(4)

---

1) رواه البخاري.

2) سير أعلام النبلاء – [ج 2 / 606].

3) رواه البخاري ومسلم.

انتفض ربيع غاضبا، وقال: هذا الحديث غير صحيح، وكل ما ورد في هذا الموضوع أحاديث مناكير وبواطيل، قد طعن فيها غير واحد من الأئمة كالشافعي وغيره.. بل قال يحيى بن معين عنه: هذا حديث وضعته الزنادقة.. وسئل مرة: ما تقول في الحديث الذي يروى عن النبي : (ما حدثتكم من حديث فاعرضوه على القرآن، فما وافق القرآن فخذوه، وما عارضه فردوه؟) فقال ابن معين : لقد عرضناه على القرآن فوجدناه كذباً، فقيل: كيف؟ قال: لأن الله عز وجل يقول: ( وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا )

قال السائق: أنت لم تفهم مراد الحديث.. فهو لا يقصد أن النبي ﷺ ليس مستقلا بعرض الحقائق أو بيان شرائع الدين، وإنما يقصد أنه في حال تعارض الحديث مع القرآن الكريم نقدم القرآن باعتباره متواترا، بخلاف الحديث الذي دخله الوضاعون والكذابون وغيرهم.. وإلا فإن رسول الله ﷺ أعظم من أن يخالف ربه، أو كلام ربه.

قال ربيع: ويل لك.. ما أجرأك على أهل الحديث.. هل تعلم مرتبة ابن معين حتى تعقب عليه.. لقد قال فيه..

قاطعه السائق، وقال: أعلم ما قيل فيه، وأنا أحترمه وأقدره، ولكن القرآن الكريم أعظم حرمة عندنا من ابن معين وغيره.. اسمع إليه وهو يدعونا إلى التحاكم إلى كتاب الله في حال الخلاف، قال تعالى: ( كَانَ النّاسُ أُمّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النّبِيّينَ مُبَشّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ)

4) تاريخ دمشق لابن عساكر، وهو متواتر في كتب الشيعة.

[البقرة:213]، وأنكر على المعرضين عن ذلك المنهج، فقال: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيباً مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾ [آل عمران:23]

قال ربيع: إن جرأته على هذا هي التي جعلته يتجرأ بعد ذلك على الجميع ابتداء من الصحابة الذين أخرج أكثرهم من الصحبة، بحجة أن القرآن الكريم ذكر المهاجرين والأنصار ولم يذكر الصحابة.. حتى أنه أخرج خال المؤمنين وكاتب وحي رب العالمين من الصحبة، وتكلم فيه كلاما شديدا قاسيا..

ولم يكتف المجرم بذلك بل ذكر أن العلماء شككوا في إسلام أبي سفيان.. وذكر أن أبا هريرة يروي عن كعب الأحبار بعض الإسرائيليات فيرويها الناس عنه ظناً منهم أنها أحاديث عن النبي ﷺ، وقال عن أبي هريرة: إنه يهم وينسى في التحديث، وذكر عن عبد الله بن عمرو أنه ظفر بزاملتين يوم اليرموك فهو يحدث منهما فيظن الناس أنه يحدث عن الرسول ﷺ..

بل فوق ذلك هو معطل جهمي معتزلي ينكر إثبات بعض الصفات التي وردت في السنة، ويزعم أن فيها تشبيهاً وتجسيماً.. ويرى أن أهل السنة يثبتون بعض الصفات لله التي أخذوها من التلمود، ويتهم الحنابلة بأنهم متفقون مع العامة بالتجسيم والتشبيه.

وهو فوق ذلك كله يدندن في كتبه على أن عقيدة أهل السنة صنعها الصراع السياسي، وأنها تشكلت حسب الصراع، وليس بناء على الأدلة الشرعية أو اتباع الرسول

ﷺ أو الصحابة، ثم رمى الأمة بأنها أحدثت في العقيدة أموراً ما أنزل الله بها من سلطان وذلك بأسباب الصراعات السياسية كالقول بعدم خلق القرآن أو تشبيه الله بخلقه بإثبات صفات له كصفات البشر.

وفوق ذلك كله تراه كثير اللمز لأئمة أهل السنة، فقد ذكر أن ابن تيمية هو الذي أحيا عقيدة النصب بعد أن كادت تنتهي في بداية القرن الثامن.. وذكر أن ابن كثير ناصبي متأثر بأهل بلده، ومثله الذهبي.. واعتبر البربهاري صاحب إرهاب فكري على خصومه.. وأن عبد الله بن الإمام أحمد يروي الخزعبلات والموضوعات والإسرائيليات.

وفوق ذلك فهو يتهم الأمة بأنها لم تقاتل لأجل الدين، بل كانت تقاتل لأجل الدنيا، بل قال: (أنا لا أعد الفتوحات الإسلامية إلا في عهد الخلفاء الراشدين، أما العهد الأموي فغالباً أسميه استعماراً أموياً)

وقد ختم كل هذه المنكرات بنقد الإمام المجدد الذي استطاع - بتوفيق الله ثم بما أعطاه الله من علم وحنكة وإخلاص لربه - أن يغير حالة الجزيرة العربية وما حولها من البلدان من كونها تعيش في جاهلية جهلاء تغلب عليها الوثنية من عبادة الأصنام والأوثان والقبور والأشجار إلى جعلها مركزا ومقرا للتوحيد الخالص، ألا وهو الإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب، محيي السنة وقامع البدعة، حيث تناول كشف الشبهات الذي يعتبر من أنفس ما كتب في توحيد الإلهية والرد على المشركين وكسر شبههم، فتناول المالكي هذا الكتاب الجليل بالرد الذي سماه نقض كشف

الشبهات.

وبناء على كل هذه الجرائم التي ارتكبها، فقد قرر مشايخه حرمانه من لقب (أهل السنة) ليدخل في ألقاب أهل البدعة، بل حرمناه حتى من اسم قبيلته بني مالك، فصرنا نناديه (الهالكي)

وقد دعوناه إلى مباهلة علنية، فرفض، وهذا ما يدلك على كذبه وضلاله وبهتانه.. فليس بيننا وبين المبتدعة سوى المباهلة.

قال السائق: لعله رفض المباهلة لأجل نصها.. فما كان نصها؟

قال ربيع: باهلناه على أن (من كان في قلبه خبيئة على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ فأهلكه الله.. ومن كان في قلبه دخن على شيخ الإسلام ابن تيمية فأهلكه الله.. ومن كان في قلبه غل على العقيدة السلفية فأهلكه الله.. ومن كان في قلبه غش على منهج السلف الصالح فأهلكه الله)

لم يجد السائق بعد أن قرأ ربيع نص المباهلـة سـوى أن ابتسم ابتسامة ساخرة، ثم قال: لا بأس.. لن أفرض عليك أن تستمع شيئا يخالف معتقدك.. ولكن بما أنك ذكـرت أن هناك من كتب كتابا في مناقشة حسـن بن فرحـان سـماه (حوار مع المالكي)، فقد ذكرني ذلك بشـريط لي يتحـدث عن ضوابط الحوار في القرآن الكريم وآدابه.. وهـو مفيـد جدا لأن للحوار آدابه الشرعية التي تجعلـه يـؤتي ثمـاره لا محالة.

قال ربيع: من صاحب الشريط؟

قال السائق: دعنا من هذا.. لأن الأسماء تجعلنا نختلف.. فلنأكل المبقلـة، ودعنـا من اسـم البقـال.. ولنأكـل اللحم، ودعنا من اسم الجزار.

قال ربيع: ويلك.. وما أدراني، فقد يكون الجزار مجوسيا أو مشركا.. أتريدني أن آكل اللحم الحرام.

قال السائق: المتحدث رجـل ملئ إيمانـا وعلمـا ووقـارا وأدبا وحبا للوحدة الإسلامية وحرصـا عليهـا.. وهـو ينطلـق في كل ما ذكرت من القرآن الكريم.. وقـد كتب في ذلـك كتابا حول (الحوار في القرآن الكريم)

قـال ربيـع: لم يكتب هـذا الكتـاب إلا رجـل ملئ ضـلالة وجهلا وبغيا..

قال السائق: لا تقل هذا.. لعل شخصـا آخـر كتب بنفس العنوان.

قال ربيع: أتقصد الهالك محمد حسين فضل الله؟

قال السائق: أجل يا بني أنـا أقصـده.. ولكنـه ليس كمـا وصـفت، فقـد كـان رجلا صـالحا، بـل كـان رائـد الوحـدة والحوار.. لا يضيق صدره بأي مخالف له، بل يجلس معـه، ويحادثه بكل لطف وأدب.. لقد دعـا إلى إذابـة الجليـد بين المتناحرين المتقاتلين ليحل اللسان بدل السنان، والحجـة بدل الدبابـة، والبرهـان بـدل الـدماء الـتي تسـيل من كـل جانب.. لقد سمعته يصرخ في كل ناد: (إن اللـه علمنـا أن نحـاور كـل النـاس، ولا توجـد مقدسـات في الحـوار، فقـد حاور الله تعالى إبليس، فهل هناك من الناس من هو مثل إبليس؟ كما أن القرآن هو كتاب حوار مـع المشـركين في توحيد الله، ومع الكافرين في وجود الله وفي نبوة النـبي، كما حاور المنافقين، لذلك نعتبر أن عظمة القرآن في أنـه كتاب الحوار المقدس الذي يقول لك إن مسألة أن تـؤمن هي أن تفكر وتقتنع، وبالتالي أن تحاور.. )[1]

قـال ربيـع: هـذا ديـدين المبتدعـة في كـل عصـر.. إنهم يدعون إلى الحوار لينفذوا بشبههم إلى عقائدنا المصونة.. عقائد أهل السنة والسلف الصالح.. لقد حذرنا السلف من الحوار مع المبتدعة أو الجلوس إليهم حتى لا تسـري إلينـا سمومهم.. لقد قال الإمام اللالكـائي مبينـاً خطـر منـاظرة أهل البـدع، ومـا تـؤدي إليـه: (فمـا جـنى على المسـلمين جناية أعظم من مناظرة المبتدعـة، ولم يكن لهم قهـر ولا ذل أعظم مما تركهم السلف على تلـك الجماعـة يموتـون من الغيـظ، كمـداً ودرداً، ولا يجـدون إلى إظهـار بـدعتهم

---

1) حوارات في الفكر والسياسة والإجتماع ص248.

سبيلاً )(2)

وقال أبو إسماعيل الصابوني عن أهل السنة: ويبغضـون أهـل البـدع الـذين أحـدثوا في الـدين مـا ليس منـه، ولا يحبـونهم، ولا يصـحبونهم، ولا يجالسـونهم، ولا يجـادلونهم في الدين، ولا يناظرونهم، ويرون صون آذانهم عن سـماع أباطيلهم التي إذا مرت بالآذان وقرت في القلـوب ضـرت وجرت إليها من الوساوس والخطرات الفاسدة ما جرت.

وقال أبو المظفـر السـمعاني: واعلم أنـك مـتى تـدبرت سيرة الصحابة ومن بعدهم من السـلف الصـالح، وجـدتهم ينهون عن جدال أهل البدعة بأبلغ النهي.

وقــال البربهــاري: وإذا أردت الاســتقامة على الحــق وطريق أهل السنة قبلك، فاحـذر الكلام وأصـحاب الكلام، والجـدال والمـراء والقيـاس والمنـاظرة في الـدين، فـإن اسـتماعك منهم - وإن لم تقبـل منهم - يقـدح الشـك في القلب.

وقال الآجري بعد كلامه على هجر أهل البدع: فإن قلت: فلم لا أناظره وأجادله وأرد عليه قوله؟ قيـل لـه: لا يُـؤمن عليك أن تنـاظره وتسـمع منـه كلامـاً يفسـد عليـك قلبـك، ويخدعك بباطله الذي زين له الشيطان ، فتهلك أنت.

وقال ربيع بن هادي المدخلي..

قاطعه السائق، وقال: ولكن الله تعالى ذكر عن الأنبيـاء

---

2) هذ النص وما يليه من النصوص من كتاب (مناظرة أهـل البـدع دراسة منهجية و رؤية تأصيلية) للشيخ سليم الهلالي.

عليهم الصلاة والسلام أنهم حاوروا أقوامهم، وذكر عن أتباع الأنبياء أنهم كانوا يحاورون بهدوء وأدب المخالفين لهم.. ولعلك قرأت سورة الكهف، وقرأت فيها حوار الصاحبين.. ولعلك قرأت سورة يس، وقرأت فيها حوار المؤمن مع أهل قريته.. ولعلك قرأت سورة غافر، وقرأت فيها حوار الذي يكتم إيمانه.

قال ربيع: أأنت أفقه أم سلفنا الصالح الذي خبروا القرآن وأحاطوا بمعانيه.. نحن لا نفهم القرآن إلا بمرآة السلف.. فهم أطهر الناس قلوبا، وأكثرهم عقلا، وأكثرهم تدينا.

قال السائق: ولكن القرآن الكريم ذكر عن الأنبياء وأتباعهم ما ذكرت لك.

قال ربيع: تلك شرائع من قبلنا.. ونحن لسنا ملزمين بها.

قال السائق: ولكن الله تعالى قال: {وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ } [العنكبوت: 46] أليس في هذا دعوة للحوار مع المخالفين.. بل علمنا الله كيف نبحث عن المشتركات لننطلق منها لعلاج المختلف فيه.

قال ربيع: ويلك.. أنت مثل الذي قال عنه ﷺ : (أخوف ما أخاف على أمتي منافق عليم اللسان يجادل بالقرآن).. ألا تعلم أن القرآن حمال وجوه.. ولا يقينا من سوء الفهم له إلا سلفنا الصالح.

قـال السـائق: ولكـني قـرأت أن سـلفك الصـالح كـانوا يناظرون المخالفين.. وقـد ذكـرت لي بعض ذلـك سـابقا.. فالإمام أحمد ناظر الجهمية..كمـا نـاظر عثمـان بن سـعيد الدارمي بشرًا المريسي..

قال ربيع: وهل يوجد في الدنيا أحد يشـبه الإمـام أحمـد حـتى يحـل لـه أن ينـاظر أو يحـاور.. ألا تعلم أن النسـاء عقمت أن تلد مثله.. أم تحسب أن هذا الصعلولك الــدعي الرويبضة يريد أن ينزل نفسه منزلة ابن حنبل ذلـك الـذي هابه كل شيء حتى العفاريت والمردة.

لم يجد السائق إلا أن يأخذ شريطا آخر من محفظته، ثم يقول: لا بأس.. لا ألزمك بشيء لم يلزمك الله إياه.. لدي بحمد الله الكثير من الأشرطة، وقد نوعتها حتى تتناسب مع أصناف الناس، فالله خلق خلقه مختلفين، ولا يصح أن نلزمهم بما يخالف طباعهم.. لقد ذكر القرآن الكريم هذه الحقيقة كثيرا، ولا أظنك تخالفني فيها.

قال ربيع: أجل.. وقد ورد في السنة كذلك ما يدل عليها، ففي الحديث الشريف قال ﷺ : (تجدون الناس معادن، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا)(1)

قال السائق: هذه بداية جيدة قد تجعلنا نتفق على صاحب هذا الشريط، لأنه في كل أحاديثه وخطبه يركز على احترام التنوع والاختلاف، وألا نلزم الخلق ما لم يلزمهم الله به.

قال ربيع: أشم من هذا الكلام رائحة مبتدع خبيث هالك.. فهم الذين يسربون بدعهم بدعاوى التقارب والتعايش واحترام الاختلاف.

قال السائق: لا تخف.. فهو ليس كالسابق.. هو سني التوجه.. شافعي المذهب.. بل هو مفت للسنة.

قال ربيع: وهل تحسب أن كل الشوافع سنة.. أكثر الشوافع عندنا – أصحاب منهج السلف – مبتدعة، لأنهم

---

1) رواه البخاري ومسلم.

تركــوا مــذهب الإمــام أحمــد في الاعتقــاد، وراحــوا إلى الأشاعرة مخـانيث المعتزلـة لينصـروا عقائـدهم.. جـد لي شافعيا واحدا كان على مذهب أهل السنة.

قال السائق: عجيب ما تقول.. أليس الشوافع من أهــل السنة؟

قال ربيع: هم سنة في الفقه.. ولكن أكثرهم ليس ســنة في العقيدة.. أكثرهم أشاعرة.. وأنت تعرف ما قال سلفنا الصالح في الأشاعرة والماتريديـة والمعتزلـة وغـيرهم من المعطلة منكري الصفات الذين يعبدون الوهم.. وقد شـان متأخروهم المذهب الشافعي بالتصوف.. فخرجوا من زمة المبتدعة إلى زمر الكفرة والحلولية والقبورية.. فقلما تجد شافعيا إلا قبوريا.. والقبوري مشـرك دمـه حلال، وذبيحتـه حرام.

قـال السـائق: ونحن أهـل المغـرب الـذين وجـدنا آباءنـا على المذهب المالكي.. فنحن على آثارهم مقتدون.

قــال ربيــع: مالــك من أئمــة الســنة والســلف.. ولكن المالكيـة، وخصوصـا المتـأخرين شـانوا المـذهب، وحصـل لأكثرهم من البدعة والشرك والخروج من الملة ما حصــل للشافعية.

قال السائق: والحنفية.. هل هم من أهل السنة؟

قـال ربيـع: هنـاك فـرق كبـير بين الشـافعية والمالكيـة والحنفيــة.. الشــافعية والمالكيــة أصــولهم صــحيحة، والانحـراف دب إليهم بعـد ذلـك.. لكن الحنفيـة منحرفـون أصولا وفروعا.. ألا تعلم ما قال أئمتنا في أبي حنيفة؟

قال السائق: أجل.. أعلم ذلك.. لقد استتيب من الكفر مرتين، وأن سفيان الثوري قال فيه: (غير ثقة ولا مأمون استتيب مرتين)

قال ربيع: أحسنت.. والآن هلم أخبرنا من هو الشخص الذي تريد أن تسمعنا إياه.

قال السائق: ما دام كل هؤلاء لم تستسغهم، فلا أظن أنك ستستيغ هذا، فهو منفتح على العالم لدرجة لا يمكن لطبعك أن يتقبلها.

قال ربيع: أأنت تمدحني أم تسبني؟

قال السائق: أنا أصفك فقط.. والواصف ليس مادحا، وليس ذاما.

قال ربيع: وما أدراك بي.. هل اطلعت على سريرتي، أم تدعي أنك تعلم بواطن الناس، وما تبلي السرائر.

قال السائق: لا هذا ولا ذاك.. ولكني من خلال أحاديثك معي عرفت طبعك.

قال ربيع: ويل لجرأتك على ربك.. كيف تحكم علي من خلال بعض الأحاديث التي تحدثت بها إليك.. ماذا تقول لربك إن سألك عن جرأتك على خلقه.. بم تجيبه؟

قال السائق: لا بأس.. أرجو أن أكون مخطئا في تقديري حتى نتشرف بالاستماع إلى هذا العالم الجليل الذي وسع الله صدره وقلبه وعقله ليستوعب من الحقائق ما ضاق به الآخرون.

قال ربيع: من هذا الذي تكيل له كل هذا المديح.. ألا

تعلم أن مدح المنافق أو الكافر كفر ونفاق؟

قال السائق: أنا أمدحه بما علمته منه، فقد كان خير سفير للإسلام.. استطاع بمفرده أن يخلص الكثير من العقدة التي وقع فيها اليهود عقدة (شعب الله المختار).. هو يدعو إلى التواضع واحترام الآخر مهما كان دينه ومذهبه ولغته ولونه..

قام ربيع غاضبا، وهو يصيح: لا تقل بأن الذي تريد أن تسمعنا إياه هو ذلك الهالك الآبق الظالم لنفسه حسون.. ويل له.. كم تمنينا لو أن تلك الرصاصة التي نفذت إلى صدر ابنه سارية نفذت إلى صدره.. لكانت البلاد والعباد ارتاحت من ضلالاته كما ارتاحت من البوطي.. ولكن مع ذلك فقد فرحنا كثيرا بقتل ابنه.. لقد شفى الله غيظنا.. وملأ قلوبنا فرحا وسرورا.

قال السائق: ألا تعتبر – يا بني - هذا حقدا؟

قال ربيع: ويل لك.. ثم ويل لك.. من لم يفرح بآلام المبتدعة لم يذق طعم السنة.. هذا من مقتضيات الولاء والبراء.. فمحب السنة يلزمه أن يملأ قلبه حقدا على المبتدعة.

قال السائق: أتعتبر الحقد دينا؟

قال ربيع: أنت تسميه حقدا.. وأنا أسميه براءة من أعداء الله.. الخلاف بيننا في التسميات.

قال السائق: لكن كيف طابت لكم نفوسكم أن تفجعوه في ولده؟

قال ربيع: لقد أفتى كل العلماء - حتى الذين نختلف معهم في بعض المسائل الفرعية كالقرضاوي أعضاء الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين - بأن كل موال للنظام السوري حلال الدم.. وقد نفذ شقنا المسلح هذه الفتوى.

ومع ذلك فلم نكتف بذلك.. لقد قال كلمات كثيرة جعلتنا نبيح دمه بغض النظر عن موقفه السياسي، لقد قال في بعض محاضراته: (أنا مسلم في عقيدتي، وعالمي في إنسانيتي.. أنا أبحث عن هذا المسلم وأحاول أن أصيغ هذا المسلم العالمي)، وهذه الكلمة كافية لإباحة دمه.. إنه يدعو إلى وحدة الأديان.

قال السائق: بل هو يدعو إلى تعايش الأديان.

قال ربيع: ومن قال لك بأن الإسلام يدعو إلى التعايش مع الآخر.. لقد جاء رسول الله ﷺ بالسيف بين يدي الساعة.. لقد نصر ديننا بالرعب.. لا ينبغي لكافر أن يعيش بيننا معافى سليما.. لا ينبغي أن تأمن أمة من الناس ما دامت تعبد الأصنام حتى لو زعمت أنها من المسلمين.

إن هذا الرجل المجنون يريد أن يستأصل كل القيم التي دعا إليها السلف.. تصور أنه يريد أن يستأصل الفرق بين السنة والشيعة.. لقد قال في بعض تصريحاته: (كل سني هو شيعي في ولائه، وكل شيعي هو سني في اقتدائه، وبدون التكامل بين الاثنين لن يكمل اسلام أحدهما)

إن هذا الرجل المجنون يريد أن يقضي على مذهب السلف من جذوره، فإن اتفق السنة والشعية.. واتفق أهل الحديث والمتكلمون.. واتفق السلف مع الصوفية.. فما هي وظيفتنا بعد ذلك.. وممن نحذر؟.. وعلى من

نحقد؟

أخرج السائق شريطا آخر من محفظته، وقال: لقد عرفت مشكلتك يا بني.. ولدي في هذا الشريط حلها.. فلو أنك صبرت قليلا، وألقيت سمعك إليه فترة قصيرة، فستجد نفسك شخصا آخر تماما.. ستصل إلى تحقيق كل مآربك من غير أن تتكلف لا حقدا ولا عنتا.

قال ربيع: أنا ليس لدي مشكلة.. المشكلة فيكم أنتم.. أنتم الذين تركتم السنة والسلف، ورحتم تزاحمونهما بآرائكم وأفكاركم ورجالكم.. وكأنكم لا تعلمون بأن الدين اكتمل في القرون الثلاثة الأولى، وأن كل متحدث فيه بعد ذلك من غير نقل عن السلف دعي ودجال وكذاب.

قال السائق: لا تخف.. فهذا الرجل ينقل من القرآن الكريم مباشرة.. وله فيه فهوم عجيبة ترقى بالإنسان والمجتمع إلى أرقى سبل الحضارة.

قال ربيع: ما هذه الكلمة البدعية الغريبة.. كيف ينقل من القرآن مباشرة؟.. وكيف يحل له أن يصل إلى معاني القرآن دون أن يمر على البغوي وابن عطية وابن جرير وابن تيمية وابن كثير والسعدي؟.. لا يحل لأحد أن يفهم في القرآن معنى لم يشر إليه هؤلاء وغيرهم ممن جعلهم الله حماة لكتابه من تسلل المبتدعة.

قال السائق: هو يثق في كثير من هؤلاء، ويستفيد منهم، لكنه لا يكتفي بهم.

قال ربيع: من لم يكفه السلف، فلا كفاه الله.. ومن ظن أن هناك علما لم يتحدث عنه السلف أو يشيروا إليه،

فهو وحمار بيته سواء.

قال السائق: دعنا يا بني نسمع هذا الشريط.. فإن فيه كلاما جميلا عجيبا عن السلام.. إنه بعنوان (مذهب ابن آدم الأول)

ثار ربيع غاضبا، وهو يقول: عرفت الرجل.. إنه ذلك الدعي الدجال الذي يريد أن يقوض صرح الجهاد الذي جاء به الدين، والذي لا يقوم الدين إلا عليه.. إنه ذلك الأفاك الأثيم الذي يريد أن يهدم التاريخ الإسلام المشرق المملوء بالأمجاد.. إنه ذلك الشيخ الخرف الذي لم يقنعه السلف ولا الخلف، فراح يتجاسر على القرآن يفسره بهواه.. ويل لك ما الذي تريد أن تسمعنا إياه.

قال السائق: تمهل يا بني.. فلا يحل لك أن تنهش عرض الرجل بهذه البساطة..

قال ربيع: وهل له عرض حتى أنهشه؟

قال السائق: لا تقل هذا يا بني.. فالرجل يعتمد في دعوته على القرآن الكريم.. فهو يستند إلى القصة التي قصها القرآن الكريم علينا عن ابني آدم، وكيف أثنى الله على المسالم منهما، والذي قال لأخيه: {لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ} [المائدة: 28]، ومثله قال نوح عليه السلام: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ} [يونس: 71]

وقد لاحظ من خلال دراسته للتاريخ الإسلامي امتلاءه بالدماء والمآسي.. ولاحظ من خلال دراسة حركة الدعوة الإسلامية ميلها إلى العنف والشدة.. ولاحظ من خلال دراسة الواقع الاجتماعي والسياسي للأمة تحوله إلى واقع مشحون بكل أصناف العنف.. فراح يدعو إلى السلام الذي جاء به القرآن الكريم، ودعا له الأنبياء.

قال ربيع: ويل للرجل.. أي ضلالة أوقع نفسه فيها.. ألا يعلم أن القرآن حمال وجوه، فكيف يستدل به؟

قال السائق: لقد ساق نصوصا من السنة تؤيد دعواه.. فقد ورد في الحديث: (إن بين يدي الساعة فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً ؛ القاعد فيها خير من القائم، والماشي فيها خير من الساعي، فاكسروا قسيَّكم، واقطعوا أوتاركم، واضربوا سيوفكم بالحجارة، فإن دُخِل ـ يعني على أحد منكم ـ فليكن كخير ابنيْ آدم)[1]

قال ربيع: إن هذا الرجل من الذين يريدون أن يقوضوا بنيان الدين من خلال بعض النصوص التي يسيء فهمها، لأنه لم يرجع فيها للسلف.

إنه يريد من مقولته تلك أن يهدم الجهاد الذي جاء به الدين.. لقد حصلت مناظرة بينه وبين رجل منا على شاشة قناة الجزيرة.. فمسح به الأرض، وجعله أثرا بعد عين.

لقد قام بطلنا (نادر التميمي) في تلك الجلسة بقوة

---

1) رواه مسلم.

وفصاحة وبلاغة، وقال: (الحمد لله الذي أعزنا بالجهاد وجعله ذروة سنام الإسلام.. الحمد لله الذي أذلنا بالقعود عنه.. الحمد لله الذي فتح بلادنا في الشام وفي العراق وفي شمال أفريقيا وفي مصر حتى الأندلس بالجهاد.. )، ثم استمر في حديثه يبين فضائل الجهاد، وأنه الحل الأمثل لكل مشاكلنا.. حتى أن معد الحلقة لم يستطع أن يوقفه.. وكان ذلك اليوم يوما من أيام الله التي نصر فيها جنده(1).

قال السائق: لقد تابعت الحلقة.. ولكني كنت أميل فيها إلى جودت سعيد.. فقد كان هادئا مسالما يطرح آراءه بكل أدب وهدوء..

قال ربيع: بل بكل ضعف وخور.. إن ديننا دين قوة وعزة.. وقد مثلهما نادر التميمي أحسن تمثيل.. لقد أعاد لنا سير أبطالنا الكبار الذين نفخر بهم.

قال السائق: تمهل يا بني.. فالرجل لا يريد أن يهدم الجهاد.. فالجهاد قيمة من قيم هذا الدين.. بل هو قمية من القيم الإنسانية الرفيعة .. إنه يريد أن يصحح مفهومه فقط.. لقد صار (الجهاد) عند بعض من لا يفقهون الدين وسيلة للتوسع والظلم والاستبداد.. وقد حصل بسبب ذلك الكثير من المآسي.. فلذلك دعا إلى التفريق بين جهاد المسلم المشروع، وجهاد الخوارج الممنوع؟

---

1) انظر موقع قناة الجزيرة على الرابط التالي:

http://www.aljazeera.net/programs/opposite-direction/

2010/8/26/.

قال ربيع: الجهاد هو الجهاد.. والخـوارج فرقـة انـدثرت، ولم يبق منهم إلا فلول، سيأتي اليوم الـذي نقضـي عليهم فيها.

قال السائق: الخوارج الذين حـذر منهم رسـول اللـه ﷺ أخطر من أن تمثلهم طائفـة من الطوائـف.. إنهم كـل من استعمل سلاح العنف الذي يسميه (جهادا) في غير محله.

ضحك ربيع بسخرية: وما محله أيها النكرة الرويبضة؟

قـال السـائق: لـه محلان ذكرهمـا القـرآن الكـريم، وطبقهما رسول الله ﷺ خير تطبيق.

أمـا الأول، فقـد نص عليـه قولـه تعـالى: {أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِـأَنَّهُمْ ظُلِمُـوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْـرِهِمْ لَقَـدِيرٌ الَّذِينَ أُخْرِجُـوا مِنْ دِيَـارِهِمْ بِغَيْـرِ حَـقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُـوا رَبُّنَـا اللَّهُ} [الحج: 39،ـ 40]، وقـد طبقـه رسـول اللـه ﷺ في أكـثر الحروب التي فرضت عليه ابتداء من بدر وانتهـاء بحـنين.. فمـا خـرج رسـول اللـه ﷺ إلا ليحمي المسـلمين من أذى المعتدين.

وأما الثاني، فقـد نص عليـه قولـه تعـالى: {وَمَـا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا} [النسـاء: 75]، وهـو الخـروج لنصـرة المستضـعفين في الأرض، لا لإكراههم في الدين، أو لجباية أمـوالهم، وسـبي نسائهم وأطفالهم، والتوسع في أراضيهم.

قـال ربيـع: وأين الجهـاد لإعلاء كلمـة اللـه، ونشـر دين

الإسلام؟

قال السائق: إن القرآن الكريم حصر الدعوة إلى الدين في هـذه المحـال الثلاث: {ادْعُ إِلَى سَـبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَـةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُـوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُـوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَـدِينَ} [النحـل: 125]، وإن كان للجهاد مجـال هنـا، فهـو الجهـاد بـالقرآن، كما قال تعالى: {فَلَا تُطِـعِ الْكَـافِرِينَ وَجَاهِـدْهُمْ بِـهِ جِهَـادًا كَبِيرًا} [الفرقان: 52]

قال ربيع: أتريد أن تذكر بأن كل الفتوحات التي حصلت في التاريخ الإسلامي كانت منحرفة عن القرآن الكريم؟

قال السائق: لا أقـول ذلـك.. ولا يقـول صـاحبي جـودت ذلك.. وإنما ننظر إليها من زاوية الشـروط القرآنيـة، فـإن توفرت فيها الشروط الشرعية كانت جهادا وفتحا، وإن لم تتوفر كانت غزوا واستعمارا وعدوانا.

قال ربيع: ويلك يا رجل.. أتريد أن تخرج من الملة؟

قـال السـائق: لم أكن أحسـب أن الموقـف من التـاريخ يخرج من الملة.. لقد علمنا قرآننا ونبينا أن نقف مع الحق مهمـا كـان، ولا تأخـذنا في اللـه لومـة لائم، قـال تعـالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَـوَّامِينَ لِلَّهِ شُـهَدَاءَ بِالْقِسْـطِ وَلَا يَجْـرِمَنَّكُمْ شَـنَآنُ قَـوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْـدِلُوا اعْـدِلُوا هُـوَ أَقْـرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُـوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِـيرٌ بِمَـا تَعْمَلُـونَ} [المائـدة: 8]، ولذلك إن فعل حكام المسلمين مـا فعلـه المفسـدون في الأرض، فلن أنزه المسلمين، بل سأقف مع المظلوم.

قال ربيع: إن هذا يخالف عقيدة الولاء والبراء.

قال السائق: لقد علمنا الله القيم التي نوالي من والاها، ونتبرأ ممن تبرأ منها.. وأول هذه القيم العدالة.. فنحن مع العدالة وضد الظلم.. وأول ظلم نقف في وجهه هو الظلم الذي يرتكب باسم الله، وباسم دين الله ليشوهه، ويقف حجابا بين الخلق وربهم.

قال ربيع: هذا دين الضعفاء والقاعدين لا دين رب العالمين.

قال السائق: لقد مكث رسول الله ﷺ ثلاث عشرة سنة في مكة، ولم يحمل سلاحا، ولم يواجه المعتدين عليه، فهل كان في ذلك الحين على غير دين الإسلام؟

وقد روي أن بعض الصحابة أتوه في ذلك الحين، فقالوا: يا نبيَّ الله، كنّا في عزة ونحن مشركون، فلما آمنّا صرنا أذلة، فقال ﷺ: (إني أُمرت بالعفو فلا تقاتلوا القوم)، وقد أشار الله تعالى إلى ذلك، فقال: { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا} [النساء: 77]

قال ربيع: ولكن كل ذلك نسخ.. كان ذلك مخصوصا بمكة حيث كانوا مأمورين بالصفح والعفو عن المشركين والصبر إلى حين، وكانوا يتحرَّقون ويودون لو أُمروا بالقتال ليشتفوا من أعدائهم، ولم يكن الحال إذ ذلك مناسباً لأسباب كثيرة.. فلما ذهبوا إلى المدينة، ومكن الله للمؤمنين وشرع الجهاد، ونزلت آية السيف نسخت

كل آيات الصفح والحلم والعفو.. فكل آية تأمر بالعفو والصفح والحلم هي من الآيات التي بقي رسمها ونسخ حكمها.

قال السائق: ما دام حكمها قد رفع، فما الحاجة لبقائها في المصحف.. ألا ترى أن في ذلك فتنة للقارئين، حيث يقرؤون شيئا، وينهون عن تطبيقه؟

انتفض ربيع غاضبا، وهو يقول: لا شك أنك رافضي تقول بتحريف القرآن[1].. لزوال الدنيا أهون عند الله من رفع حرف واحد من المصحف الشريف.. إنه كلام الله الذي {لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ } [فصلت: 42]

قال السائق: مهلا يا بني.. ليس هناك مسلم في الأرض يقول بتحريف ألفاظ القرآن .. فالمصحف واحد.. ولكن ما تقوله أنت الآن هو أعظم تحريف للقرآن..

قال ربيع: أنا لم أقل سوى بأن في القرآن ناسخا ومنسوخا.. وأن الآية الواحدة من القرآن قد تنسخ الآيات الكثيرة.. وقد ابتلانا الله تعالى بهذا حتى نعود لسلف الأمة ليفرقوا لنا بين الناسخ والمنسوخ.. وهذا ما جعلنا لا نكتفي بكتاب الله، ولا بسنة رسول الله ﷺ، بل نشترط

---

1) للأسف نجد الاتجاه السلفي يردد دائما من غير بينة ولا بحث ولا تحقيق هذه الشبهة الخطيرة التي لا تمس الشيعة فقط، بل تمس القرآن الكريم بالدرجة الأولى، لأنها تشعر أن هناك خلافا في ثبوته مثل الخلاف الواقع بين الكاثوليك والبروتسنت حول نسخ الكتاب المقدس.. وقد رددنا على هذه الشبهة بتفصيل في كتاب (الكلمات المقدسة)، وهو مطبوع بدار العواصم بالقاهرة، ومترجم إلى الإنجليزية.

مع ذلك فهم السلف الصالح، فهم أعقل الناس وأحكمهم وأعلمهم بدين الله..

لقد كان هذا أول درس لي تعلمته من مشايخي الكبار.. لقد قرأت بينهم يوما قوله تعالى: {وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ} [البقرة: 190]، فقال لي: لا يحل لك أن تستدل بهذه الآية، فهي منسوخة بآية السيف..

ثم قرأت قوله تعالى: { ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} [النحل: 125] فأخبرني بأنها منسوخة بآية السيف.

ثم قرأت قوله تعالى: {لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ } [الممتحنة: 8]، فأخبرني بأنها منسوخة بآية السيف.

وقرأت قوله تعالى: {فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ} [الحجر: 85] ، فأخبرني بأنها منسوخة بآية السيف.

وقرأت قوله تعالى: {اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (106) وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ (107)} [الأنعام: 106، 107] ، فأخبرني بأنها منسوخة بآية السيف.

وقرأت قوله تعالى: {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ } [الأعراف: 199] ، فأخبرني بأنها

منسوخة بآية السيف.

وقرأت قوله تعالى: {فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ} [الحجر: 94]، فأخبرني بأنها منسوخة بآية السيف.

وقرأت قوله تعالى: {فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ} [الزخرف: 89]، فأخبرني بأنها منسوخة بآية السيف.

وهكذا قرأت مائتي آية من القرآن الكريم، كلها يقولون لي: إنها منسوخة بآية السيف.

حينها أدركت أنني لا يمكنني بحال من الأحوال أن أستغني عن سلف هذه الأمة.. فهم أدرى الناس بناسخ القرآن ومنسوخه.. ولولاهم لعبدنا لله بما نسخ من أحكامه.

بعد أن انتهى ربيع من حديثه الطويل، نظر السـائق إلى السـاعة في يـده، ثم قـال: لم يبـق لنـا إلا وقت قليـل للانطلاق.. ولم يبـق في حقيبـتي إلا شـريط واحـد.. فـإن شئتم وضعته لكم لتسمعوه.. وإن شئتم سـرنا في صـمت مطبق.

قال ربيع: ويلـك أتريـد أن تضـعنا في موقـف حـرج.. أم تريد أن تقول لنا مقالة ابن زياد: البحر من أمامكم والعدو من ورائكم.. لا يمكننا أن نسمع شيئا يأباه ديننا وربنا.. فما الذي تريد أن تسمعنا إياه؟

قـال السـائق: هـذا الشـريط لشـيخ من أهـل التقـوى والصلاح.. وهـو مثـال العـارف الصـادق المخلص الزاهـد.. فهو بين كتبه ومصحفه ومسبحته..لا تشغله الدنيا ولهوها.. ولا يحجبه عن ربه اقـتراب النـاس منـه أو ابتعـادهم، فهـو منشغل بربه عن كل شيء.

قال ربيع: لا يهمنـا إن كـان من أهـل التقـوى أو لم يكن منهم.. ولا يهمنا إن كان زاهـدا أو مخلصـا.. لا يهمنـا إلا أن يكون سنيا.. فلأن نسمع لسكير عربيد خـير من أن نسـمع لمبتدع.

قال السائق: لا تخف يا بني.. فهذا الرجل حشـي تقـوى وإخلاصـا وعلمـا وهـو مرتبـط بالشـريعة ارتباطـا شـديدا.. وشغفه كله بكلام ربه.. فهو يقرؤه ويتدبره ويعيشه.

قال ربيع: فهو من القرآنيين المبتدعين إذن؟

قال السائق: هو يجمع بين القرآن والحديث والورثة..

قال ربيع: أي ورثة؟

قال السائق: ورثة القرآن الكريم وورثة النبوة.

قال ربيع: لم يرث القرآن ولا النبوة إلا أهل الحديث.

قال السائق: أهل الحديث أهل رواية.. والورثة أهل دراية.

قال ربيع: ويلك يا دعي.. كيف تتجرأ على لحوم أهل الحديث المسمومة.. إن لم يكن أهل الحديث هم أهل الدراية، فمن هم أهل الدراية؟

ألم يصلك ما وصف به الخطيب البغدادي أهل الحديث، لقد ذكر أنهم (حفظة الدين وخزنته، وأوعية العلم وحملته... ومنهم كل عالم وفقيه، وإمام رفيع نبيه، وزاهد في قبيلة، ومخصوص بفضيلة، وقارئ متقن، وخطيب محسن، وهم الجمهور العظيم، وسبيلهم السبيل المستقيم، وكل مبتدع باعتقادهم يتظاهر، وعلى الإفصاح بغير مذاهبهم لا يتجاسر)

قال السائق: أهل الحديث على عيني وعلى رأسي.. ولكني أرى أن كل الأمة أهل حديث.. فمن بلغه حديث لرسول الله ﷺ وفهمه وحاول أن يعيش معناه، فإن ذلك كاف لجعله من أهل الحديث..

قال ربيع: لا.. ذلك ليس بكاف.. لابد أن يعرف الأسانيد.. وإلا وقع في الضلالة.

قال السائق: فإن كان الأمر كذلك، وأنت تعلم أننا أقل من أن نشتغل بهذه الصناعة، فيكفينا إذن القرآن الكريم

الذي نقل إلينا متواترا.

قال ربيع: كيف أفهمك أيها المجادل العنيد.. أنا لم أكلفك أن تدرس الأسانيد.. ولكني كلفتك أن ترجع فيها لأهلها من المحدثين.. فهم أدرى الناس بحديث رسول الله ﷺ.. لا من تزعم له ذلك من مشايخك.

قال السائق: أنا مسلم لك في هذا.. وإن احتجت إلى التعرف على صحة حديث أو ضعفه فسألجأ للمحدثين الذي تصفهم.. لكني الآن أريد أن أسمع لهذا الشيخ الذي ذكرته لك.. إنه يعلمنا فيه كيف نسمع القرآن من ربنا.

قال ربيع: ويلك وويله.. أيدعي شيخك استمرار النبوة.. أهو قادياني مبتدع ضال مضل..

قال السائق: لا تقل ذلك.. فأنا لم أقصد ما فهمته.. لعلي لم أعرف كيف أشرح لك.. ولذلك سأدعك مع هذا الشريط ليشرح لك فهم أهل الله وورثة النبوة للقرآن، والحقائق التي تتنزل عليهم من خلال قراءتهم له.

قال ربيع: لقد عودنا سلفنا على الإسناد.. ونحن لن نقبل أن نسمع العلم إلا من أهله.. فمن هذا النكرة الذي تريد أن تفرض علينا أن نسمعه؟

قال السائق: إنه الشيخ العارف أحمد بن الصديق الغماري (1)..

---

1) عرفه ابن الحاج السلمي بقوله: (فقيه، علامة، صاحب مشاركة في كثير من العلوم الإسلامية، وضروب الثقافة العربية الرصينة الأصيلة، إلا أن لَه تخصصا وتبريزا وتفوقا في حلبة علوم الحديث على طريقة الحفاظ

ما نطق السائق بهذا حتى ثارت ثائرة ربيع، وقال: ويلك أتريد أن تسمعنا صوت ذلك الدعي الأفاك الذي ذلك الذي طعن في شيخ الإسلام ابن تيمية، فقال عنـه: (..فـإن كـل مبتدع وضال بعد المقلدة إنما ضل حتى كفر بقــراءة كتب ابن تيمية)(1)

وقال عنه: (أما مثل ابن تيمية فهو عـدو اللـه ورسـوله، مجرم خبيث ضال مضل، لم يقتصـر عـدو اللـه على بغض الصوفية، بل أبغض إلى قلبه الفاجر منهم آل رسـول اللـه ﷺ، وأولهم وأشــدهم ثقلا على قلبــه علي بن أبي طــالب عليـه السـلام، فثبت نفاقـه بنص الحـديث الصـحيح..فمن سماه بعد شيخ الإسلام فهو منافق ضال مثله قبحـه اللـه) (2)

وقــــال عن ابن عبـــد الوهـــاب: (.. ويكفي أن قــــرن الشـيطان النجـدي وأذنابـه من أولاد أفكـار ابن تيميـة، ولا يخفى شرهم وعظيم ضررهم على الإسلام وأهله)(3)

قال السائق: تلك آراء رآها، قد يكون مخطئا فيهـا، وقـد يكـون مصـيبا.. وابن تيميـة وابن عبـد الوهـاب أيضـا لهمـا

---

الأقدمين، متنا وسندا، ومعرفة تراجم الرواة، وطـرق الجـرح والتعـديل، وقـد كون فيها نفسه بنفسه، دون أن يتتلمذ لأحد)(إسعاف الإخـوان الراغـبين، ص: 38)

1) جؤنة العطار: 1/5. .

2) البحر العميق: 1/51..

3) جؤنة العطار: 1/5..

آراؤهما في رجال كثيرين.. وأنا إنسان بسيط لا يهمني هذا ولا هذا، فالله تعالى هو الذي يحكم بين عباده فيما يختلفون فيه.. ما يهمني الآن هو ما وجدته في كتبه من العلم والعرفان والحكمة.. فقد فتح الله عليه أسرار المعارف، وكشف له أغوارها.. فهو يبسط المعقد منها، ويحل المشكل، وكأن مفاتيح الغيب قد فتحت له، فهو يفسر عن رؤية لا عن تقليد، ويحكي عن عيان لا عن خبر.. وليس الخبر كالعيان.

قال ربيع: ويلك.. أرى أن ضلالاته قد انطلت عليك.. أنسيت أنه يقول بوحدة الوجود؟

قال السائق: لقد يسر الله، فقرأت ما كتبه حولها، فرأيت من الحقائق حولها ما ذكره القرآن.. وليس فيها ما يدعيه أصحابك.. لأنهم ينكرون ما لا يعرفون.. ويخوضون فيما لا يعلمون.

قال ربيع: وحدة الوجود واحدة.. وكل من قال بها ملحد وضال وكافر وزنديق.. ألا تعلم ما قال فيها شيخ الإسلام ابن تيمية؟

قال السائق: لقد كنت في يوم من الأيام أقول بأقوالهم، لكني عندما قرأت كتب الشيخ فتح الله علي فهمها ما أزال عني تلك الكدورات التي وضعها ابن تيمية في عقلي وقلبي.

قال ربيع: اتق الله.. ويلك.. لقد تجاوزت حدودك.. ألا تعلم أن لحم شيخ الإسلام ابن تيمية من اللحوم المسمومة.. ثم إياك أن تنطق باسمه من من دون أن تذكر (شيخ الإسلام)، فنحن نفرق بين السني والمبتدع

بذلك.

راح السائق يواصل حديثه بنشوة، وكأنه لم يسمع تعليقات ربيع: لقد قرأت فيما قرأت مما كتبه عنها قوله: (إذا تخلى العبد وتحلى.. ولازم عبادة ربه.. واتخذ الذكر شعاره وهجيراه.. فإن الله بفضله وكرمه يوصله إلى مقام يفنى فيه عن وجوده بوجود ربه.. ولا يصبح لوجوده الوهمي بقية)

قال ربيع: أتقصد أنه يصبح إلها.. أو يتحد في الإله.. أو يحل فيه.. ذاك هو الكفر بعينه.

قال السائق: بل أقصد قوله ﷺ: (إن الله قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه)(1)

قال ربيع: أرى أنك شيخك قد أضلك.. فالحديث لا يفيد ما فهمته منه إن رسول الله ﷺ يقصد أنه: (إذا أدى المسلم ما فرض عليه ثم اجتهد في التقرب إلى الله تعالى بنوافل الطاعات، واستمر على ذلك وسعه - بشرط أن يكون من أهل الحديث والسنة - أحبه الله تعالى - فالله تعالى لا يحب إلا سنيا- وإذا أحبه كان عونا له في كل ما يأتي ويذر.. حيث يصبح سمعه مسدداً من الله.. فلا يستمع إلا الخير ولا يقبل إلا الحق وينزاح عنه الباطل

(1) رواه البخاري.

الذي وقع فيه المبتدعة.. وإذا أبصر بعينه أو قلبه أبصر بنور من الله.. فكان في ذلك على هدى من الله وبصيرة يفرق بها بين السني والجهمي.. والمثبت والمعطل.. وإذا بطش بصاحب بدعة أو ضربه أو قتله أو ذبحه.. كان ذلك بقوة من الله.. وهكذا.

قال السائق: أي أن الله يصبح عبدا لأوليائكم.. يبطش بمن يريد أن يبطشوا به.. ويقتل من يريدون قتله.. ويدخل النار من لا يرضون عنه.

قال ربيع: أرى أنك تجاوزت حدك.. ولا ينفع معك إلا المباهلة..

قال السائق: لم يا بني تستعجل اللعنة علي أو عليك؟.. نحن نتحاور.. لقد ذكرت لي ما فهمته من الحديث.. وذكرت لك ما شرحه لنا شيخنا.. وأي حرج في ذلك.. فلك فهمك ولي فهمي.. والله يوم القيامة يحكم بيننا.

وأظن أنك لم تفهم فقط ما أراده الشيخ.. وقد كنت مثلك في يوم من الأيام إلى أن عرفت أن هذه المعاني الرفيعة لا يمكن إدراكها بالعبارة أو الألفاظ.. بل هذا مقام لايدرك إلا بالذوق.. والعبارة لا تزيده إلا تعقيدا كما قال ابن عربي في مقدمة الفتوحات: (كل علم إذا بسطته العبارة حسن وفهم معناه أو قارب وعذب عند السامع الفهم فهو علم العقل النظري لأنه تحت ادراكه ومما يستقل به لو نظر الا علم الأسرار، فإنه أخذته العبارة سمج واعتاص على الأفهام دركه وخشن وربما مجته العقول الضعيفة المتعصبة التي لم تتوفر لتصريف حقيقتها التي جعل الله فيها من النظر والبحث ولهذا

صاحب هذا العلم كثيرا ما يوصله إلى الأفهام بضرب الأمثلة والمخاطبات الشعرية)(1)

وقبله قال الغزالي عن الصوفية بعد أن طالع كتبهم: (فظهر لي أن أخص خواصهم، ما لا يمكن الوصول إليه بالتعلم بل بالذوق والحال وتبدل الصفات. وكم من الفرق أن تعلم حد الصحة وحد الشبع وأسبابهما وشروطهما، وبين أن تكون صحيحاً وشبعان؟ وبين أن تعرف حد السكر، وأنه عبارة عن حالة تحصل من استيلاء أبخرة تتصاعد من المعدة على معادن الفكر، وبين أن تكون سكران! بل السكران لا يعرف حد السكر، وعلمه وهو سكران وما معه من علمه شيء. الطبيب في حالة المرض يعرف حد الصحة وأسبابها وأدويتها، وهو فاقد الصحة. فكذلك فرق بين أن تعرف حقيقة الزهد وشروطه وأسبابه، وبين أن تكون حالك الزهد، وعزوف النفس عن الدنيا!. فعلمت يقيناً أنهم أرباب الأحوال، لا أصحاب الأقوال. وأن ما يمكن تحصيله بطريق العلم فقد حصلته، ولم يبق إلا ما لا سبيل إليه بالسماع والتعلم، بل بالذوق والسلوك)(2)

قال ربيع: أتريد أن أمارس الرياضة حتى أقع في الحلول والاتحاد.. إن هؤلاء هم أولياء الشيطان لا أولياء الرحمن كما قال ذلك شيخ الإسلام.

قال السائق: وهل رأيت الصوفية يقولون بالحلول

---

1) الفتوحات المكية - طبعة الميمنية الأولى (1/ 33)

2) المنقذ من الضلال (ص: 172).

والاتحاد.. إن أبعد الناس عنهما الصوفية.. فالاتحـاد معنـاه اتحـاد شـيء بشـيء آخـر.. أي أن هنـاك شـيئين اتحـدا.. وكذلك الحلول معنـاه حلـول شـيء في آخـر وتخللـه بـه.. والواصلون إلى مقام الوحدة لا يرون وجودهم مطلقـا، ولا يثبتـون حقيقتهم المفروضـة أبـدا حـتى يلـزمهم القـول بالاتحاد أو الحلول.. بل لا يكون عندهم الوجود إلا واحدا لا تعدد فيه، ولا ثاني له.

قال ربيع: ولكنك نسيت قول الملحد الضال المضل ابن الفارض:

وهامت بها روحي بحيث تمازجا اتحـادا ولا جُـرمٌ تخللـه جُرْمُ

قـال السـائق: إنـه يعـبر عن مشـاعره الوجدانيـة بلغـة الشعراء.. ثم ألا تراه ينفي اتحـاد جـرم بجـرم.. إن معـنى كلامـه أنـه لمـا هـام عشـقا، وعمـل على تـرك الشـواغل الصارفة عن الوصـول وجـد نفسـه أنـه كـان في الحضـرة وهـو لا يشـعر، لأن الحـق سـبحانه أقـرب إلينـا من حبـل الوريـد {وَهُـوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَـا كُنْتُمْ} [الحديـد: 4] {وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ} [الواقعة: 85]

قال ربيع: أرى أن شيخك هـذا قـد طمس بصـيرتك.. ولا أمل فيك.. ولا أرى إلا أنك وشيخك.. وكل المشـايخ الـذين تتعلق بهم ستصـلون نـار جهنم وبئس المهـاد.. وسيشـفى الله غليلنا منكم هناك حين نراكم تعذبون..

# الحافلة الثانية

بعد أن استفرغ السائق كـل جهـوده لإرضـاء ربيـع وجـد نفســه كمن يريــد أن يحــرث في اليبــاب، أو يشــرب من السراب.. التفت إليه، وقال: أظن أنك لن تجـد عنـدي مـا تريـد البحث عنـه.. أنـا أعـرف جيـدا مـا تبحث عنـه.. وقـد عشت فترة من عمري أنهل من المنابع التي تنهـل منهـا.. لكني بعد أن عاد إلي عقلي، وتداركتني رحمة ربي تركتهـا جميعا، وعـدت إلى المـورد العـذب الـذي أنزلـه اللـه على عباده لأستقي منه، وأدع ما ينفرني منه أو يبعدني عنه.

قال ربيـع: مـا تقـول يـا رجـل.. أتتهمـني في عقلي.. أم تحسب أنك هديت إلى الحكمة الـتي ضـللت عنهـا.. ويلـك لعلك ممن قال اللـه تعـالى فيهم: {وَاتْـلُ عَلَيْهِمْ نَبَـأَ الَّذِي آتَيْنَـاهُ آيَاتِنَـا فَانْسَـلَخَ مِنْهَـا فَأَتْبَعَــهُ الشَّــيْطَانُ فَكَـانَ مِنَ الْغَاوِينَ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَـعَ هَوَاهُ فَمَثَلُـهُ كَمَثَـلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِـلْ عَلَيْـهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْـهُ يَلْهَثْ} [الأعــراف: 175،ــ 176]، أو كمثــل من شــبههم بالحمير، فقال: { مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَـلُ الْقَـوْمِ الَّذِينَ كَـذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} [الجمعة: 5]

قال السائق: إن الله تعالى لم يحدد في هذه الآية لا أنـا ولا أنت.. ولا العلمـاء الـذين أرتضـيهم، ولا العلمـاء الـذين ترتضــيهم.. وإن من التــألي على اللــه أن أزعم أن تلــك الآيات تنطبق علي أو عليك.

إن الله تعالى بعدلـه ورحمتـه تـرك لنـا الفرصـة لنحـدد بكامـل حريتنـا مـا نـراه من مواقـف.. لأننـا نحاسـب يـوم القيامة على مواقفنا كما نحاسب على أعمالنا.

قال ربيع متهكمـا: أراك بارعـا في الوعـظ.. فهلا تـركت هذه المهنة وذهبت إلى المساجد لتخطب فيها.. لا ينقصك

سوى أن ترسل لحيتك، وترتدي ما أرتديه من ثياب.

قال السائق: أنا أحترم وظيفتي، وأحترم قدراتي، ولا أتجرأ على منصب لا أرى نفسي أهلا له.. أنا مجرد سائق.. وفقني الله لأشغل أوقات سفري بالتتلمذ على مجالس العلم..

قاطعه ربيع قائلا: بل مجالس الجهل.. فلو أنك بدلها وضعت أفلاما إباحية.. أو أغان خليعة لكان أجدى لك عند ربك.. لأنك ستموت حينها فاسقا.. أما الآن فلا أظن إلا أنك ستموت كافرا، فمن يستمع لمن تستمع إليه من الكفرة لن يطمع في نجاة.. ولن يشم يوم القيامة ريح الجنة..

قال السائق: لا بأس يا بني.. قل ما شئت.. وأنا أعذرك.. فلست أنت الذي تتحدث.. إن الذي يتحدث بدلك هم أولئك الذين أتيحت لهم كل الكراسي والمجالس والمنابر والمناصب ليحولوا الأمة جميعا إلى قطعان ذئاب ينهش بعضها لحم بعض، ويسفك بعضها دماء بعض.

قال ربيع: لا أرى هذه الجرأة منك على لحوم العلماء المسمومة إلا قائدا لك إلى جهنم، وبئس المصير..

ثم أشار إلي أن ننزل من الحافلة، وهو يقول: وأنا وأخي هذا أكرم على الله من أن نضيع وقتنا معك.. فلا أظن حافلتكم هذه ستصل بكم إلى بر الأمان.. فمن تجرأ على العلماء سيلقى وبال جرأته في الدنيا قبل الآخرة.

نزلنا من الحافلة.. وبقينا في المحطة مدة يسيرة وجدنا بعدها سائقا جلفا غليظا لا يختلف عن صاحبي.. اقتربنا منه، وسألناه عن نوع الأشرطة التي يضعها في الحافلة، فأجابنا بكل جفاء: أنا لا أعرف إلا الفرقة الناجية.. فداها أبي وأمي.. فنحن نبدأ بها، وننتهي بها، فمن أعجبه كان معنا، ومن لم يعجبه فإلى جهنم وبئس المصير.

امتلأ صاحبي سرورا، وقال: أرأيت كيف أخرجنا الله من ظلمات الجهلـة.. وزج بنـا في أنـوار العلمـاء المحققين؟.. لقد قلت لك دوما: سر معي مغمض العينين.. فالله تعالى يحيطنا بعنايته ما دمنا في رحاب الفرقة الناجية.

ركبنا الحافلة، وسرعان ما امتلأت بالركاب..

نظر السائق إلى الركاب، وفي يده شريط فيـديو، وهـو يقول: أبشركم.. اليوم تمكنت من إحضـار هـذا الشـريط.. إنه يتحدث عن المرحلة الأولى في التغيير.. المرحلة الـتي سماها شيخنا الألباني (مرحلـة التصـفية).. فلا يمكن لأحـد أن يضع قدمه في الإسلام قبل أن يمر بها.. أنـا شخصـيا – لـولا مـروري بهـذه المرحلـة – لكنت الآن ضـالا زنـديقا مبتدعا، فقد كنت أحسن الظن بكل من أراه يلبس لبـاس العلماء.. لكني أيقنت أن تسعة أعشارهم كفـار أو زنادقـة أو مبتدعـة..سـأدعكم مـع الشـريط، لتعرفـوا قيمـة هـذه المرحلة وأهميتها.. ركزوا جيـدا، لأنكم ستسـمعون أسـماء كثـيرة كنتم تحسـنون الظن بهـا.. من المستحسـن أن تحملوا أقلاما لتكتبوا بالقلم الأحمر الأسـماء الـتي يـذكرها حتى تحذروا منها، وتحذروا غيركم.

قال ذلك، ثم وضع الشريط..

ظهرت حلقة تحوي شيوخا وكهـولا كلهم بهيئـة واحـدة.. وكان يتوسطهم شاب يحمل بيده مجموعـة من الملفـات، ابتـدأ الحـديث بقولـه: نجتمـع اليـوم في مجلس التهـذيب والتصفية التاسع والتسعين بعد المائـة للنظـر في ملفـات بعض من صـار لهم صـيت في المجتمـع، أو أحـنى النـاس رؤوسهم ليستمعوا لهم، أو يستفيدوا منهم ظنـا منهم أنهم ثقـاة هـداة مهتـدين.. وبمـا أن منهجنـا – كمـا ينص عليـه شـيخنا الألبـاني وغـيره من أعلام السـلف – يبـدأ وينتهي باستئصال كـل من ليس لـه علاقـة بالـدين الصـحيح، فقـد اجتمعنا اليوم لدراسة هذه الملفات.

قال أحـد الشـيوخ: صـدقت.. لقـد تتلمـذت على الشـيخ

الألباني، وكان يأمرنا بأن نعطي أكثر أوقاتنا للتصفية(1).. حتى لا يخدعنا أحد من المنافقين والزنادقة..

قال آخر: صدقت.. أذكر ذلك جيدا.. ومن ذلك الوقت.. ونحن نحمل المناخل التي نصفي بها الدين من تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.

قال آخر: وقد أسسنا لذلك اللجان الكثيرة التي تراقب حركة كل علم يلتف الناس حوله لنحصي عليه أنفاسه.. فإن بدرت منه أي بادرة أخرجناه من الملة، أو زجرناه في جحيم أهل البدعة.. واعتبرنا التحذير منه طاعة.. والكلام في عرضه أقوم بضاعة.

قال آخر: صدقت.. فنحن نأتمر في هذا بقوله تعالى في كتابه الكريم: {إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ بِالحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ وَلا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا وَلا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا}(النساء: 109)، فهذه الآية العظيمة ونظائرها من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ جرح للخائنين، وأنه لا يجوز الجدال عنهم، وأن من جادل عنهم عليه التوبة إلى الله والاستغفار من ذنبه، لأنه جادل عن الخونة الآثمين الذين يبيتون مالا يرضاه الله من الأقوال المخالفة والأفعال المخادعة الماكرة وسواء كان فعله بدهاء ومكر، أو بغباوة وجهل.

قال آخر: بل إن الله تعالى علمنا كيف نقتدي به سبحانه وتعالى في هذه المهمة الخطيرة.. فالله تعالى قد جرح الكثير من المنحرفين عن دينه، فقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ}(التوبة: من الآية34)،

---

1) للاطلاع على بعض تصريحات الألباني حول ذلك انظر: موقع تراث الألباني، على: (http://www.alalbany.net/4954)

وقال: {مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ القَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ وَاللهُ لا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ}(الجمعة:5)، وقال: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ القَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ القَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ}(الأعراف: 176)، وغيرها من الآيات الكثيرة.

قال آخر: ونحن نأتمر في ذلك أيضا بأمر رسول الله ﷺ الذي كان يدعو إلى تجريح من يستحق التجريح، ففي الحديث قال ﷺ: (ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون سنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل)(1)، وقال: (إن الله لا يقبض العلم انتزعًا من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالمًا اتخذا الناس رؤوسًا جهالًا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا)(2)، وقال: (إن أخوف ما أخاف على أمتي كل منافق عليم اللسان)(3)، وغيرها من الأحاديث.

قال آخر: وأخبر رسول الله ﷺ عما يحصل في آخر الزمان، فقال: (يأتي في آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية، يمرقون من

---

1) رواه مسلم.

2) رواه البخاري.

3) رواه الطبراني في الكبير والبزار ورجاله رجال الصحيح.

الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجرًا لمن قتلهم يوم القيامة)(1)

قال آخر: وبناء على هذا، فقد التزم سلفنا من أهل الحديث هذه الوصايا من دون سائر الناس.. فكان لهم وحدهم - بحكم وراثة نبيهم والوصاية على دينه – حق الجرح والتعديل.. فمن جرحوه فهو المجروح.. ومن عدلوه فهو الثقة.

قال آخر: صدقت.. وقد رويت في ذلك عن أبي قلابة أنه كان يقول: (إن أهل الأهواء أهل ضلالة ولا أرى مصيرهم إلا إلى النار)

قال آخر: ورويت بسند صحيح عن أسماء بن عبيد قال: دخل رجلان من أصحاب الأهواء على ابن سيرين فقالا: يا أبا بكر نحدثك بحديث؟ قال: لا، قالا: فنقرأ عليك آية من كتاب الله؟ قال: لا، لتقومان عني أو لأقومن، قال: فخرجنا فقال بعض القوم: يا أبا بكر وما كان عليك أن يقرأ عليك آية من كتاب الله تعالى؟ قال: إني خشيت أن يقرأ علي آية فيحرفانها فيقر ذلك في قلبي.

قال آخر: صدقت.. وقد حدثني من أثق فيه بسنده عن سعيد عن سلام بن أبي مطيع أن رجلًا من أهل الأهواء قال لأيوب: يا أبا بكر أسألك عن كلمة؟ قال: فولى وهو يشير بأصبعه: ولا نصف كلمة، وأشار لنا سعيد بخنصره اليمنى.

قال آخر: صدقت(2)، فالذي يزهد في الجرح والتعديل إنما يزهد في السنة، فإذا لم يكن هنالك جرح وتعديل فإن

---

1) رواه أحمد، والترمذي، وابن ماجه، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

كلام السـني لن يختلـف عن كلام البـدعي.. لقـد فضـلنا معشر أهل الحديث بهذا.

قال آخر: صدقت، لا يزهد في هذا العلم إلا رجل جاهل، أو رجل في قلبه حقد، أو رجل يعلم أنه مجروح فهو ينفًـر عن الجرح والتعديل لأنه يعلم أنه مجروح.

قـال الشـاب الـذي يحمـل الملفـات: بـارك اللـه فيكم مشايخنا الكرام على هذه المقـدمات.. واسـمحوا لي الآن أن أعـرض أمـامكم بعض الملفـات الجديـدة لتنظـروا في تعديل أصحابها أو تجريحهم، مع العلم أنه قد وردتنا الأخبار أن لدى بعضهم الكثـير من الحسـنات والأعمـال الصـالحة والأقوال الطيبة..

قاطعه شيخ من المشايخ بقوة: لقد قلت لك ألف مـرة: لا عبرة بالحسنات أمام السيئات.. ألم تقـرأ قولـه تعـالى: {وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَـلٍ فَجَعَلْنَـاهُ هَبَـاءً مَنْثُـورًا } [الفرقان: 23].. فكذلك أعمال هؤلاء حتى لو كـانت جبـالا من الحسنات، فهي هباء منثور أمام بدعة واحـدة أو كلمـة واحدة يقولونها..

قال آخر: صدقت.. وقد سئل شيخنا مقبل الـوادعي عن هذا، فقال: (القوم يعرفـون أنهم مجروحـون فهم يريـدون أن يستروا على أنفسهم.. المبتدع الضال لا تذكر حسـناته ولا كرامة، وهكذا الكافر)

قال آخر: إن هـذا هـو منهج جميـع سـلفنا الصـالح، فقـد نقل الخطيب البغدادي في الكفاية قول نـافع بن أشـرس: (كان يقـال: من عقوبـة الكـاذب ألا يقبـل صـدقه)، وعلـق عليه بقوله: (وأنا أقـول : من عقوبـة الفاسـق المبتـدع ألا

---

2) هذه العبارات وما بعدها منقولة بتصرف من كلام للوادعي في كتابه نصائح وفضائح ص 115..

تذكر حسناته)(1)

قال آخر: وسئل الأوزاعي عن رجل يقـول: أنـا أجـالس أهل السنة، و أجالس أهل البدع، فقال : (هـذا رجـل يريـد أن يساوي بين الحق و الباطل)، وقد علق عليـه ابن بطـة بقوله: (صدق الأوزاعي)(2)

قـال شـاب في آخـر الحلقـة: لكن اللـه تعـالى قـال: {لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُـونَ آيَـاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ } [آل عمران: 113]

قام شيخ من المشايخ، وصـاح بقـوة: أخرجـوا من بيننـا هذا الصعلوك الدعي.. ما أوقحه.. كيف يستشـهد بـالقرآن في حضـرة من هم أعلم منـه.. أخرجـوه.. وحـذروا منـه الناس.. فلا شك أن به لوثة من جنون.

بمجرد أن قال ذلك قام جمع من الشباب بجـره بعنـف، وهو يصيح: أنتم لم تفهموني.. أنا فقط كنت أستفسر.. لم أكن أعترض.. دعوني أشرح لكم وجه استدلالي بالآية.

لكن أحدا لم يكن يستمع لصياحه.. لأن الفتـوى صـدرت في حقه، ولا تنفعه التوبة بعدها.

قال الشاب الذي يمسك الملفات: أرى أن نبدأ الآن في ذكر الأسماء لتعطوا آراءكم حولها.. ولنبدأ بالملف الأول.

فتح ملفا، ثم قال: هـذا ملـف إبـراهيم بن عقيـل مفـتي مدينة تعز السابق.. وهو..

قاطعـه شـيخ من المشـايخ، وقـال: أغلـق ملفـه.. إنـه زنديق صوفي قبوري مشرك حلولي.. وفوق ذلك لا يخرج

---

(1) الكفاية117.

(2) الإبانة لابن بطة 1/ 456.

إلى صلاة الجماعة.

فتح الشاب ملفا آخر، وقـال: هـذا ملـف أحمـد الخليلي مفتي عمان، وهو كما تعلمون..

قاطعـه شـيخ آخـر، وقـال: لا نعلم إلا أنـه ضـال مبتـدع منحرف عن السنة، قد هاجم و طعن في سنة رسول الله ﷺ وقلـده في بدعتـه من قلـده.. وهـو فـوق ذلـك إباضـي المـذهب.. وهــو مــذهب - كمــا تعلمــون - من مــذاهب الخـوارج كلاب النـار.. فليس هـذا الرجـل سـوى كلب من كلاب النار.

ضحك الجميـع.. ثم فتح الشـاب ملفـا آخـر، وقـال: هـذا ملف أمين رضوان، وهو صحفي..

قاطعه شيخ آخر، وقال: وهو فويســق.. ونحن - واللــه - نشـك في إسـلامه.. فمن هـو حـتى يتحكم في دين اللـه، ويقول: هذا جائز وهذا ليس بجائز!!.. وهو فوق ذلك حالق للحيته.

قال الشاب: ولكن ذكر في ملفه بأنه أزهري.

قاطعه الشيخ بقوة، وقال: وإن كان أزهريًا، فإنهـا تعتـبر وصمة عار في جبين الأزهر.. وليس هو بأول واحـد تخـرج من الأزهــر من المنحــرفين، فمــا أكــثر المنحــرفين في الأزهـر، وإن كـان يوجـد فيـه حفظـة قـرآن ويوجـد رجـال أفاضل إلا أن الغالب على الأزهرين الانحراف.

فتح الشاب ملفـا آخـر، وقـال: هـذا ملـف جمـال الـدين الأفغاني، وهو..

قاطعه شيخ، وقال: هذا الرجل أخبث من المعتزلة، هــو ومحمد عبده وأحمد أمين.. وهـو إلى الكفـر أقـرب.. وهـو ضال مضل هو ومحمـد عبـده.. وهـو الـذي أنشـأ مدرسـة

الهـــوى فلا أقـــول المدرســـة العقليـــة، فهي مدرســـة الهوى(1)...

فتح الشاب ملفا آخـر، وقـال: هـذا ملـف محمـد رشـيد رضا.. وهو سلفي الهوى كما تعلمون..

قاطعه شيخ، وقـال: بـل هـو تلفي الهـوى.. عقلاني إلى النخاع.. لقد تأثر بالمدرسة العقليـة تـأثراً كبـيراً، وكيـف لا يكون الأمر كذلك وهو التلميذ البار لمحمد عبده الـذي هـو نتاج مدرسة جمال الدين الأفغاني؟

قال شيخ آخر: أجل.. لقد رأيته يشذ شذوذاً بيناً، ويرمي كعب الأحبار ووهب بن منبه بما هما بريئان منه، لقـد قـال في ذلك: (إن كعب الأحبار كـان من زنادقـة اليهـود الـذين أظهروا الإسلام والعبـادة لتقبـل أقـوالهم في الـدين، وقـد راجت دسائســه وانخــدع بهــا بعض الصــحابة فــرووا عنــه وتناقلوا مروياته بدون إسناد إليه حـتى ظن بعض التـابعين ومن بعدهم أنها مما سمعوه من النبي ﷺ)(2)

قال آخر: أجل.. وقد قرأت له قوله: (إن شر رواة هــذه الإسرائيليات أو أشـدهم تلبيسـاً وخـداعاً للمسـلمين وهب بن منبــه وكعب الأحبــار، فلا تجــد خرافــة دخلت في كتب التفسـير والتـاريخ الإسـلامي في أمـور الخلـق والتكـوين والأنبيــاء وأقــوالهم والفتن والســاعة والآخــرة إلا منهمــا مضرب المثل)(3)

فتح الشاب ملفا آخر، وقال: هذا ملف محمود أبو ريــة..

---

(1) انظر: قمع المعاند (332) وصعقة الزلـزال (1/46)، وكلاهمـا للوادعي.

(2) مجلة المنار (27 / 541)

(3) مجلة المنار (27 / 783)

وهو -كما تعلمون – من الذين ألفوا في الحديث..

قاطعه شيخ، وقال: ويله.. ثم ويله.. والويل واد في جهنم.. لقد صنف هذا الرجل كتاباً أسماه (أضواء على السنة المحمدية)، وما هو إلا ظلمات وترهات، قال فيه بشناعات كثيرة وخزعبلات ساقطة حتى انبرى للرد عليه جماعة من أهل العلم، كالعلامة محمد عبد الرزاق حمزة، والعلامة عبد الرحمن بن يحي المعلمي في (الأنوار الكاشفة لما في كتاب أضواء على السنة من الزلل والتظليل والمجازفة)، والأستاذ الدكتور محمد بن محمد أبو شهبه في (دفاع عن السنة)

قال آخر: أظن أنه اقتات على فتات الرافضة والمستشرقين، وقد شحن كتابه بثلب عدد من الصحابة الكرام والتابعين لهم بإحسان.. وكان لكعب الأحبار نصيب وافر وقسط كبير من سبه واتهامه بالنفاق.

قال آخر: أجل.. وقد قرأت له قوله في كعب وإخوانه من أئمة العلم: (أخذ أولئك الأحبار يبثون في الدين الإسلامي أكاذيب وترهات يدعون مرة أنها في كتابهم ومن مكنون علمهم، ويدعون أخرى أنها مما سمعوه من النبي ﷺ وهي في الحقيقة من مفترياتهم)(1)، وقال: (لما قدم كعب إلى المدينة في عهد عمر وأظهر إسلامه أخذ يعمل في دهاء ومكر، ولما أسلم من أجله من إفساد الدين وافتراء الكذب على النبي ﷺ)(2)، وقال: (وقد استطاع أن يدس من الخرافات والأوهام والأكاذيب في الدين ما امتلأت به كتب التفسير والحديث فشوهتها وأدخلت الشك إليها)(3)

---

1) أضواء على السنة. (ص 110)..

2) أضواء على السنة. (ص 115)..

فتح الشاب ملفا آخر، وقال: هذا ملف حسن السقاف.. وهو كما تعلمون..

قاطعه شيخ، وقال: لا نعلم إلا أنه صوفي ضال مضل داع إلى الضلال وإلى التمسح بتربة الموتى وإلى تضليل العلماء، وقد جمع بين التصوف وبين محاربة السنة وهو رجل لا يعتمد عليه(1).

فتح الشاب ملفا آخر، وقال: هذا ملف خالد محمد خالد، وهو..

قاطعه شيخ، وقال: أعرفه جيدا.. إنه رجل مضل، وهو الذي ألف كتاب (رجال حول الرسول)، فهو شخص لا يعتمد عليه.. ثم إننا لا ينبغي أن نقلد رجلا عصريًا ضائعًا مائعًا.

فتح الشاب ملفا آخر، وقال: هذا ملف أحمدزيني دحلان.. وهو..

قاطعه شيخ، وقال: من علماء السوء.. أعرف أنه زائغ وداعية إلى الضلال ومدافع عن الضلال، وله كتاب (الدرر السنية في الرد على الوهابية).. ولأخينا في الله (أبي عبد الله) كتاب قيم في الرد عليه اسمه (صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان).. وقد كان مقلدًا؛ وداعية إلى التقليد(2).

فتح الشاب ملفا آخر، وقال: هذا ملف محمود شلتوت، وهو..

---

3) أضواء على السنة. (ص 126)..

1) غارة الأشرطة (2/272 276).

2) غارة الأشرطة (2/426).

قاطعه شيخ، وقال: هذا الرجل من أفراخ الملاحده.. وقد كتب فيه بعض إخواننا كتابا سماه (إعلام الانام بمخالفة شيخ الأزهر شلتوت للإسلام)(1).. وفوق ذلك هو صاحب تلك الفتوى الملعونة في جواز التعبد بدين الشيعة.. والتي حاولنا بكل الوسائل طمسها، لكنها لا تزيد إلا انتشارا.

فتح الشاب ملفا آخر، وقال: هذا ملف عبد الله بن محفوظ الحداد.. مفتي حضرموت، وهو..

قاطعه شيخ، وقال: دجال ضال صوفي مبتدع زائغ منحرف.. كتب في بعض الجرائد - بالخط العريض – بأن الديمقراطية لا تتنافي مع تعاليم الإسلام، ولم يكتف بهذا حتى أصبح يحارب أهل السنة وله طامات غير ذلك.

فتح الشاب ملفا آخر، وقال: هذا ملف عبد الله الأهدل.. وهو..

قاطعه شيخ، وقال: مغفل كذاب.. أخشى أن يكون صوفيًا مدسوس في صفوف السلفية، فكلامه ليس كلام رجل يخاف الله، ويعلم أنه محسوب عليه.. هو الآن خارجي معتزلي شيعي.. فالمعتزلة هم الذين يحثون الناس على الخروج على الحكام.. وهو ليس من العلماء ولا كرامة، بل لا يجوز أن يحضروا محاضراته ومجالسه فهو كذاب أشر.

قال شيخ آخر: صدقت.. فهو رجل محترق، وسيحترق اليوم أو غدا إن شاء الله، فلم يفتر أحد مثلما افترى على أهل السنة(2).

---

1) اسكات الكلب العاوي ص (125)

2) فضائح ونصائح ص 140، 142، 160.

فتح الشاب ملفا آخر، وقال: هذا ملف عبد الباسط عبد الصمد.. وهو..

قاطعه شيخ، وقال: أنا أنصح بقراءة القراء المتقنين الذين يقرؤون قراءة سليمة، ولا يمططون كما يصنع عبد الباسط عبد الصمد.. لأن قراءته يكرهها السلف.

قال آخر: وقد سمعت أنه ذهب إلى إيران وقال في أذانه (أشهد أن عليًا ولي الله)؛ فهو يعمل بالبدعة المنكرة، ولا يبالي(1).. فكيف يسمع القرآن من مثل هذا الآبق؟

فتح الشاب ملفا آخر، وقال: هذا ملف عبد الرحمن عبد الخالق.. وهو كما تعلمون من إخواننا السلفيين..

قاطعه شيخ، وقال: لا جزاه الله خيرًا.. كان سلفيًا.. لكنه الآن أصبح سلفطيًا، لأنه قد أخذ بالانتخابات والانتخابات من الديمقراطية.

قال آخر: يجب عليه أن يتقي الله، وأن يترك الدعوة إلى الله، فإني أرى أن مثله ينبغي أن يتقاعد وإن كان صغيرًا فقد صار ضرره أعظم من نفعه، وينبغي أن يحجر عليه لكثرة فساده على الدعوات الأخرى القائمة على الكتاب والسنة وننصحه أن يتوب إلى الله ويبتعد عن هذه الحزبيات المغلفة(2).

فتح الشاب ملفا آخر، وقال: هذا ملف عبد الرحيم البرعي.. وهو..

قاطعه شيخ، وقال: ضال من كبار المخرفين وديوانه منشور مشهور فيه الاستغاثة بغير الله وفيه البدع

---

1) المخرج من الفتنة ص ـ19..

2) فضائح ونصائح ص 49، 54..

والمنكرات[1].

فتح الشاب ملفا آخر، وقال: هذا ملف عبد الرحيم الطحان.. وهو..

قاطعه شيخ، وقال: ما هو إلا بدعة، ويأتي بالبدعة، ويجادل عن الضلال.. وأنا الآن أسود كتابا في التحذير منه بعنوانه (إقامة البرهان على ضلال عبد الرحيم الطحان)

قال آخر: صدقت.. هو جويهل مجادل بالباطل دساس كذاب خائن.. لا يجوز لأحد يحضر دروسه ومحاضراته.

قال آخر: صدقت.. ففيه نزعة صوفية.. ولاشك أنه مبتدع.. وأبشركم بأن أهل العلم طحنوا الطحان، وسلموا منه، وهو الآن خامد في قطر[2].

فتح الشاب ملفا آخر، وقال: هذا ملف عبد الرحيم الشرعبي.. وهو..

قاطعه شيخ، وقال: عندي كلمة كبيرة تجلجل في صدري، ولا أحب أن ألطمه بها؛ ولكن إذا كتب في مجلة الفرقان فإن شاء الله سأوجهها إليه[3].

فتح الشاب ملفا آخر، وقال: هذا ملف عبد الكريم زيدان.. وهو..

قاطعه شيخ، وقال: ديمقراطي.. لا بارك الله فيه.. فويسق حالق للحيته.. لابس البنطلون والكرفتة.. لا تميز بينه وبين النصراني.. شكله شكل نصراني.. لو كان لي حكومة لرحلت هذا المنبوذ من اليمن.. هو قمامة أتى به

---

1) غارة الأشرطة (2/242).

2) فضائح ونصائح ص 249 250..

3) تحفة المجيب ص 200..

إلى اليمن(1).

فتح الشاب ملفا آخر، وقال: هذا ملف محمد الغــزالي.. وهو..

قاطعه شيخ، وقال: ضال ملحـد ملبس لا يعتمـد عليـه.. انحرف على علم.. خبيث وكتابه كتاب ضـلال.. وهـو رجـل داعية كبير إلى الضلال.. وكتبـه كأنهـا مجلات.. لقـد رأيتـه يسخر من طلبة العلم، ويعتبر السنة ركامًا..

قال آخر: والأخطر من ذلك أنـه من دعـاة التقـارب مـع الرافضــة، وقــد ســاهم في بعض كتبــه في نشــر فتــوى محمود شلتوت الخطيرة، والتي نص فيها على أن (مذهب الجعفريــة المعــروف بمــذهب الشــيعة الإماميــة الإثــني عشرية، مذهب يجوز التعبـد بـه شـرعاً كسـائر المـذاهب، فينبغي للمســلمين ان يعرفــوا ذلــك وان يتخلصــوا من العصبية بغير الحق لمذاهب معينة)(2)

قـال آخـر: أجـل.. وقـد علـق على تلـك الفتـوى بقولـه: (واعتقد ان فتوى الأستاذ الأكـبر الشـيخ محمـود شـلتوت، قطعت شوطاً واسـعاً في هـذا السـبيل، واسـتئناف لجهـد المخلصين من أهل السلطة وأهـل العلم جميعـاً، وتكـذيب لمـا يتوقعـه المستشـرقون، من أن الأحقـاد سـوف تأكـل الأمة، قبل ان تلتقي صـفوفها تحت رايـة واحـدة... وهـذه

---

1) تحفة المجيب ص276، 320، 321..

2) وقد صرّح مفتي مصر السابق الشيخ علي جمعة –كما ورد في شبكة إشارة الأخبارية، بتأريخ 5/2/2009م- بنفس الفتوى قائلاً: (يجوز التعبّد بالمذاهب الشـيعيّة ولا حـرج، وقـد أفـتى بهـذا شـيخ الأزهـر الراحـل محمـود شلتوت، فالأمّة الإسلامية جسد واحد، لا فرق فيه بين سـنّي وشـيعي، طالمـا أنّ الجميع يصلّي صلاة واحدة ويتّجـه لقبلـة واحـدة، وأنّ الشـيعة كـانوا دائمـا جزء لا يتجزأ من الأمة الإسلامّية)

الفتوى في نظري، بداية الطريق وأول العمل)(1)

قال آخر: بل إنه داعا إلى نفس ما دعا إليه الشيخ شلتوت من إتاحة الحرية الدينية بين المسلمين، فقال: (إن السلف والخلف وأهل السنة والشيعة والمتصوفة والمتفلسفة كلهم يرى أنه يخدم الإسلام ويناصر نبيه ﷺ، ويرفع رايته، ومن الصعب إقناع الحرفيين من أهل النص بأن مذهب العقليين أولى بالحق وكذلك العكس، ومن الصعب إقناع العاطفيين من أصحاب القلوب أن مذهب أهل الفقه أدق وأجدر بالاستمساك، وكذلك العكس، ومن الصعب إقناع الشيعة الذائبين فى محبة آل البيت أن النظام الجمهورى فى اختيار الإمام وعزله أولى من الالتفاف حول قريب للرسول ﷺ تضفى عليه العصمة، وكذلك العكس، ونحن نرفض فى التعليق على مذاهب أولئك جميعا قول الشاعر: وكل يدعى وصلا لليلى وليلى لا تقر لهم بذاكا ،كما نرفض اعتبار الحق سائلا يتلون مع كل إناء، وأنه ليست له حدود قائمة عرفها من عرفها وجهلها من جهلها)(2)

قال آخر: بل إنه في موقف آخر صرح تصريحا لا يقل عن تصريح محمود شلتوت، فقال: (ولقد رأيت أن أقوم بعمل إيجابي حاسم سدا لهذه الفجوة التي صنعتها الأوهام، فرأيت أن تتولى وزارة الأوقاف ضم المذهب الفقهي للشيعة الإمامية إلي فقه المذاهب الأربعة، وستتولى إدارة الثقافة تقديم أبواب العبادات والمعاملات فى هذا الفقه الإسلامي لمجتهدين من إخواننا الشيعة، وسيرى أولو الألباب عند مطالعة هذه الجهود العلمية أن الشبه قريب بين ما ألفنا من قراءات فقهية، وبين ما

1) دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين، محمد الغزالي، دار نهضة مصر، الطبعة : الأولى، ص257.

2) المرجع السابق، ص173.

باعدتنا عنه الأحداث السيئة)[1]

قال آخر: بعد كل هذه الجرائم أرى أن نخرج هذا الرجل من الملة تماما.. فنرتاح منه.. فلا يحل لمثله أن يكون من المسلمين.

فتح الشاب ملفا آخر، وقال: هذا ملف محمد زاهد الكوثري.. وهو..

قاطعه شيخ، وقال: مخرف وينصر الباطل ويعطل الأسماء والصفات.. لا كثر الله بالرجال من أمثاله.. يطعن في الإمام مالك.. زاهد في السنة بل محارب للسنة ولأهل السنة.

قال آخر: صدقت.. فهو رجل ضال مضل من أضل علماء الأمة.. وقد كتبت في الرد عليه كتابي (التنكيل لما في تأنيب الكوثري من الأباطيل)

***

بقينا نستمع لأمثال هذه الحديث ساعتين كاملتين إلى أن من الله علينا بالوصول إلى محطة في الطريق لنستريح.. وقد رأيت الكلل والملل في وجوه الركاب..

وعندما نزلنا اقتربت من بعضهم، لأرى موقفه، فسمعته يقول لصاحبه: أهذا هو الإسلام؟.. لقد كنت أحسب أن المسلمين يحترم بعضهم بعضا .. لكني اليوم، وفي هاتين الساعتين الثقيلتين غيرت رأيي تماما.

قال صاحبه: صدقت .. وقد قررت في خلال هاتين الساعتين أن أمنع أولادي من الذهاب إلى المساجد أو الاستماع للقنوات الدينية حتى لا يقعوا في أي شيء

1) كيف نفهم الإسلام، محمد الغزالي، دار نهضة مصر، الطبعة الأولى، ص118.

يخرجهم عن دينهم .. فما أكثر الدجالين في هذا العصر.

اقتربت من مجموعة أخرى، فسمعت بعضهم يضحك بسخرية، ويقول: ألم أقل لكم: إن الحل في بلادنا هو العلمانية.. فلا يمكن للمسلمين أن يحققوا مجتمعا متماسكا.. ألا ترون كيف يحاربون بعضهم بعضا؟

قال آخر: صدقت .. واليوم .. وفي هاتين الساعتين اقتنعت تماما بكل ما تقول .. لقد كنت أخالفك لأني كنت أرى الدين بعيون القرآن الذي ملك علي كل قلبي .. لكني بعد أن رأيت رجال الدين أيقنت أنه لا حل لنا إلا في العلمانية.. فلو تسلط هؤلاء علينا لعلقونا في حبال المشانق.

بعد أن انتهت الاستراحة، وركب الركـاب الحافلـة، وقـد نقص منهم نفر، آثروا البقاء في الصحراء على مـا يفـرض عليهم سماعه ومشاهدته.. أخرج السـائق شـريطا جديـدا، ثم قـال: بعـد أن نلتم حظكم من الراحـة اسـمحوا لنـا أن نضع شريطا آخر.. يخرجكم من ظلمـات الجهـل والغوايـة إلى نور العلم والهداية.. إنه يبين دورنا سـلفنا الصـالح في نصرة النقل، وحـرب العقـل.. ونصـرة المنطـق القـرآني، ونقض المنطق اليوناني.

قـال ذلـك، ثم أدخـل الشـريط.. ليبـدو مشـهد لقاعـة محاضرات فاخرة، يقف على منصتها مجموعة من النـاس لا يختلفـون في هـيئتهم عن المجموعـة الـتي رأيناهـا في الشـريط السـابق إلا أنهم أكـثر شـبابا، وأجمـل هنـداما، وأقرب إلى عصرنا هذا منهم إلى العصور السابقة.

تكلم أحدهم، ويبدوا أنه المقـدم فيهم، فقـال: يشـرفني اليـوم، ومن هـذا المجلس أن أزف إليكم بشـارة تأسـيس جمعيتنا الجديدة، والتي سميناها (الجمعيـة النقليـة لحـرب العلوم العقلية)، والحمد لله، فقد تمكنا في وقت قصـير - وبواسـطة بعض المحسـنين داخـل البلاد وخارجهـا - أن نشتري لها الكثير من المقـار، بمـا فيهـا هـذا المقـر الـذي تجلسون فيه.

لن أطيل عليكم.. سيتقدم أعضـاء الجمعيـة، ليعرفـوكم بأهـدافها وسياسـتها ومشـاريعها المسـتقبلية.. كـل في المجال الذي تخصص فيه.

## المسؤول الشرعي:

تقدم الأول، وقال: أنا المسؤول الشرعي في الجمعيـة، ودوري فيهـا واضـح، وهـو تسـليط النقـل على العقـل، أو تسـليط سـيف الفتـوى الشـرعية على أصـحاب المنـاهج

العقلية.. وقد رأيت من خلال تتبعي لآثار أسـلافنا في هـذا أن هناك ثلاث واجبات علي وعلى الفريق المسـاند لي أن نقوم بها([1]).

**أولها**: رفض الفلسـفة وتكفـير رجالهـا والتحـذير منهم، باعتبارهم من أكبر منابع العقلانية..

ولنا في هذا - بحمد الله - الكثـير من الفتـاوى الجـاهزة من كبار أعلام الأمة، وليس علينا سـوى نشـرها وإذاعتهـا، بـل وتحفيظهـا للصـبيان حـتى يشـبوا، وهم يبغضـون العقلانيين من أول نشأتهم.

قلب بعض الصفحات أمامه، ثم قال: لدينا - مثلا - فتوى العلامة الحافـظ أبي عمـرو بن الصـلاح الـذي أصـدر هـذه الفتوى المهمة، والتي تنص على أن (الفلسفة أس السفه والانحلال، ومادة الحيرة والضلال، والزيغ والزندقـة.. ومن تفلسـف عميت بصـيرته عن محاسـن الشـريعة المؤيـدة بـالبراهين، ومن تلبّس بهـا قارنـه الخـذلان والحرمـان، واستحوذ عليه الشيطان، وأظلم قلبه عن نبوة محمـد ﷺ)([2])

ولم يكتف بذلك، بل راح يكفر الفلاسفة، ومن سار على نهجهم، ويرميهم بالعظائم، ومن ذلك قولـه في ابن سـينا: (لم يكن من علماء الإسلام، بل كان شيطانا من شـياطين الإنس)([3])

---

1) كثير من المادة العلميـة في هـذا الفصـل رجعت فيهـا لمرجـع معتمد لدى التيارات السـلفية: مقاومـة أهـل السـنة للفلسـفة اليونانيـة خلال العصـر الإسـلامي، ق:2-13هـ-، الـدكتور خالـد كبـير علال، دار المحتسـب، 2008.

2) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 23، ص: 143.

3) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج5 ص: 137.

قلب صفحات من الملف الذي يحمله، ثم قال: هناك فتاوى أخرى كثيرة هنا.. سنحاول نشرها.. منها فتاوى لشيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية الذي اشتد في انتقاد الفلاسفة وذمهم، وفضحهم في كثير من مصنفاته.. وقد وصف ابن سينا وأمثاله بالمرتدين والمنافقين، واعتبر نصير الدين الطوسي من رؤوس الملاحدة المسلمين الصابئة عبدة النجوم والكواكب(1).

ومنها فتاوى للحافظ شمس الدين الذهبي الذي حرّم الاشتغال بكثير من علوم الأوائل كالإلهيات والكيمياء.. وأطلق على الفلسفة (الحكمة المشؤومة)، واعتبر الجهل خيرا منها، ووصفها بأنها بلاء وهذيان، ومن طلب فيها الهدى أضله الله(2).

ومنها فتاوى للحافظ ابن كثير الذي لعن الفلاسفة، ونسبهم إلى الجهل وقلة العقل.. وذكر عن الفارابي أن له أفكارا يخالف فيها المسلمين، (فإن كان مات على ذلك فعليه لعنة الله)(3)

ومنها فتاوى لعبد المؤمن الجرجاني الذي قال عن الفلاسفة ذما لهم وتحذيرا منهم: (فأعرض عن الفلاسفة، وغض بصرك عن تلك الوجوه الكاسفة، فأكثرهم عبدة الطبع، وحرسة الكواكب السبع)(4)

**الثاني**: إقصاؤهم من كل شيء له علاقة بالدين، وخصوصا رواية الحديث.. فهم - حتى لو كانوا أصدق

1) ابن تيمية: مجموع الفتاوى، ج2 ص: 92 .

2) سير أعلام النبلاء، ج 8 ص: 359.

3) البداية والنهاية، ج2 ص: 71.

4) ابن تغري بلدي : النجوم الزاهرة، ج6 ص: 309 .

الناس - متهمون في رواياتهم، فلا تقبل أحـاديثهم.. وذلـك لأن علماءنـا من السـلف الصـالح اتفقـوا على تكفـير الفلاسفة المشائين لمعتقداتهم المناقضة لدين الإسلام؛ و هذا وحده كاف لرفض رواياتهم الحديثية.

ولهـذا جـرح يحـيى بن معين أحمـد بن صـالح المصـري المعروف بابن الطبري بقوله : كـذاب يتفلسف(1).. وقـال الحافظ ابن ناصر السلامي البغدادي في الفقيه محمـد بن زبيبـة البغـدادي: (كـان على عقيـدة الفلاسـفة لا تجـوز الرواية عنه)(2)

ولا يغيب على بالكم أن هذا المسلك اسـتخدمه سـلفنا الصالح مع كل المنحرفين من أهل الأهواء، ولم يخصوا بـه الفلاسـفة دون غـيرهم، وهـذا مشـهور عنهم.. ولنـا فيهم أسـوة حسـنة.. ولهـذا فـإن جمعيتنـا سـتتبنى هـذا المنهج التحذيري حـتى يفـر كـل عقلاني إلى جحـره، لا يتكلم في الدين، وإن تكلم فيه لا يسمع له أحد.

**ثالثها**، وهو الأخطر، التحذير من المنطق الأرسطي الـذي تسـرب إلى علـوم الإسـلام بسـبب قبـول بعض المبتدعة له، كابن حزم الذي دافع عنه في كتابه (التقريب لحدود المنطق)، وأبي حامد الغزالي، وهـو الأخطـر، حيث أدخـل المنطـق في علم أصـول الفقـه، فـألحق بكتابـه (المستصـفى) مقدمـة منطقيـة، اعتبرهـا (مقدمـة العلـوم كلها، ومن لم يحط بها فلا ثقة له بعلومه أصلا)(3)

وقد تصدى سلفنا الصـالح من العلمـاء لهـذه الهرطقـة، ومنهم الحافظ أبو عمرو بن الصلاح الـذي حـرّم الاشـتغال

---

1) الذهبي : السير، ج12 ص: 165.

2) ابن رجب البغدادي : الذيل على طبقات الحنابلة، ج1ص: 167.

3) المستصفى في علم الأصول، ج 1 ص: 327.

بالمنطق، وقد قال حين سُئل عن المنطق: (واستعمال الاصطلاحات المنطقية في مباحث الأحكام الشرعية من المنكرات المستبشعة والرقاعات المستحدثة وليس بالأحكام الشرعية افتقار إلى المنطق أصلا، هو قعاقع قد أغنى الله عنها كل صحيح الذهن، فالواجب على السلطان أعزه الله، أن يدفع عن المسلمين شر هؤلاء المشائيم – ويُخرجهم من المدارس و يُبعدهم)(1)

ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية الذي حمل حملته الشديدة على المنطق والمناطقة، وذكر أن (المناطقة هم من أجهل أهل الأرض بالطرق التي تُنال بها العلوم العقلية والشرعية، إلا من علم منهم علما من غير طرقهم المنطقية، فتكون علومه من تلك الجهة، لا من طريق المنطق؛ الذي فيه كثرة التعب في البرهان، وضيق العلم والبيان، والعجز في التصّور والتعبير)(2)

ومنهم العلامة ابن قيم الجوزية الذي حرّم الاشتغال بالمنطق، بل هجاه بقصيدة ينبغي أن نحفظها لصبياننا كما يحفظ القرآن، ومما جاء فيها:

وعجبا لمنطق اليونان كم فيه من إفك ومن بهتان

مخبّط لجيد الأذهان ومفسد لفطرة الإنسان

مضطرب الأصول و المباني على شفا هار بناه الباني

أحوج ما كان إليه العاني يخونه في السر و الإعلان

أما فقهاء الأندلس، فقد كان موقفهم شديدا، حيث أنهم

---

1) الذهبي: السيّر، ج23 ص: 143 .

2) مجموع الفتاوى،، ج9 ص: 114، 158.

كانوا يمنعون أهل العلم من الاشتغال بـالمنطق، حـتى أن المناطقة كانوا يُعبرون عن المنطق بغير اسمه، فيسـمونه (المفعل) خوفا من صولة الفقهاء(1).

## المسؤول العلمي:

تقدم الثاني، وقال: أنا المسـؤول العلمي في الجمعيـة، ودوري فيها واضح إنه يشبه دور المباحث والمخابرات..

لقـد شـكلت لجنـة تبحث في جميـع التـاريخ الإسـلامي، لتحصي كل من فيه رائحة فلسفة، أو عقلانية ونحـو ذلـك، لتقوم بما يجب عليها نحوه.

لـدي هنـا ملفـات مفصـلة بكـل ذلـك ابتـداء من القـرن الثاني الهجري إلى عصرنا الحديث:

فمن رجالهـا الأوائـل في القـرن الثـاني الهجـري: أبـو الفضل صالح بن عبد القدوس الأزدي المتفلسف الزنديق، وجابر بن حيان الذي صنف كتبـا كثـيرة في علـوم الأوائـل كالكيمياء والهيئـة والطب والفلسـفة.. وقـد كفـره سـلفنا وخلفنا، وحرموا صناعة الكيمياء التي كان يشتغل بها(2).

ومن رجالهـا في القــرن الثـالث: الفيلســوف يعقــوب الكندي البغدادي.. وهو من الضالين المنحرفين، وقـد كتب المصنفات الكثـيرة في الـدعوة للفلسـفة والعقـل، ومنهـا (الحث على تعلّم الفلسـفة)، و(كتــاب الفلســفة الأولى)، و(كتاب لا تنال الفلسفة إلا بالرياضيات)، وغيرها.

ومن رجالها الضالين في القرن الرابع الهجـري الطـبيب أبو بكر بن زكريا الرازي الذي كتب كتبـا كثـيرة في الطب والهندسة والفلك والمنطق والإلهيات.

---

1) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج2ص: 1862.

2) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية )) (29/368).

ومنهم أبــو نصــر الفــارابي الــذي أعــاد تلخيص وتهــذيب علوم الأوائل، وعلى مؤلفاتــه تخــرّج الفيلســوف ابن ســينا ومن جاء بعده من الفلاسفة.

ومنهم أبو حيان التوحيدي الذي كتب في جميع ضــلالات الأدب والفلسفة، منهــا كتــاب كبــير في تصــوّف الحكمــاء والفلاسفة.

ومن رجالها في القرن الخامس الهجري الضال المضــل أبو علي بن سيناء الذي كتب كتاب الشفاء، الذي جمع فيه كل علوم الفلسفة.

ومن رجالها في القرن السادس الهجري شــهاب الــدين السهروردي المقتول الذي، كان جامعا للفنــون الفلســفية، وبارعا في أصول الفقه، لكنه كان أحمق منحلا مغرورا.

ومن رجالهــا في القــرن الســابع الهجــري عــز الــدين الإربلي الضرير الشيعي الذي كان رأسا في علوم الأوائل، وأقرأ الفلسفة في بيته للمسلمين وأهل الذمة.

ومنهم نصير الدين الطوسي الذي كــان وزيــرا لهولاكــو، وفي زمانه أقام دولة للفلاسفة، فبنى لهم مدرسة بمدينــة مراغة، وأغدق عليهم الأموال والامتيازات.

**المسؤول الأمني:**

بعــد أن ذكــر المســؤول العلمي الكثــير من أســماء الفلاســفة وغــيرهم في العصــور المختلفــة، تقــدم الثــالث، وقــال: أنــا المســؤول الأمــني في الجمعيــة، ودوري فيهــا واضح.. إنه أهم دور في الجمعية.. إنني عبد ســميع مطيــع للمسؤول الشرعي، ولجنة الفتوى التابعة له.

وقــد رأيت - من خلال تتبــع آثــار ســلفنا الصــالح في الموقــــف من هــــؤلاء العقلانــــيين المجــــرمين – أن لي وللجماعة التابعين لي سبعة أدوار، سأشرحها لكم إجمــالا،

أما التفاصيل، فلا يمكن ذكرها هنا.

أما **الأول**: فهـو **حرق كتب الفلسـفة ومـا يتصـل بها من العلوم العقلية ومنع بيعها**..

لقد كان سلفنا الصالح يسـتعينون – أحيانـا – ببـذل مـاء وجوههم لدى الملـوك والأمـراء لتحقيـق ذلـك.. لكن ذلـك ليس شرطا في عصرنا.. فيمكننا أن نحقـق ذلـك بسـهولة بدون الحاجة لأحد من الناس.. لدي خطط ناجعـة لتحقيـق ذلك.

من الأمثلة التاريخية على ذلك أن السلطان محمــود بن سبكتكين الغزنوي – وبتوجيه من سلفنا الصالح - لما ملـك مدينــة الــري، أحــرق كتب الفلسـفة والفلــك.. وبمــا أن المعتزلة كانوا عقلانيين، فقد أحرق كتبهم أيضا(1).

ومن الأمثلة على ذلك أن المستنجد باللـه أمـر بـالقبض على الطبيب المتفلسف أبي الوفاء بن المرخم، ثم أحرق من كتبـه مـا كـان في علـوم الفلسـفة، كرسـائل إخـوان الصفا، وكتاب الشفاء وغيرها(2).

ومن الأمثلة على ذلك أنـه لمـا أُتهم المتفلسـف الـركن عبــد الســلام بن عبــد الوهــاب بن عبــد القــادر الجيلاني باستعمال عقله في الدين جمع الوزير ابن يونس البغدادي الحنبلي كتبـه، وعقـد لـه محاكمـة حضـرها أعيـان النـاس، وفيها كان الطبيب أبو بكر بن المارستانية يقـرأ بعض كتب عبد السلام على الحاضرين، ويقول: (العنوا من كتبها ومن يعتقـدها)، فيصـيح العـوام بـاللعن حـتى تعـدى إلى جـده الشيخ عبد القادر الجيلاني(3).

---

1) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج 8 ص: 170.

2) المرجع السابق، ج9 ص: 439.

ومن الأمثلة على ذلك أن السـلطان المـرابطي العظيم أبا الحسن علي بن يوسف ين تاشفين كـان شـديد الكـره للفلسفة وعلم الكلام، فأمر بحرق كتبهما، ومعها كتب أبي حامد الغزالي، لما فيها من كلام وفلسـفة، وتوعّـد بالقتـل لمن يُخفي تلك الكتب(1).

ومثله السلطان الموحدي أبو يوسف يعقوب بن يوسـف بن عبد المؤمن الـذي غضـب على الفيلسـوف ابن رشـد، وأمر بحرق كتب الفلسفة، ونهى عن الاشتغال بها، وتوعّد من وجـدها عنـده بالعقـاب الشـديد، واسـتثنى منهـا كتب الطب والحساب وما ينفع من علم النجوم في الصلاة(2).

وأما **الثاني**، **فـالحجر على كتب الفلسـفة ومنـع تدريسـها**، ومن السـهل علينـا تطـبيق ذلـك في عصـرنا بالقيـام بالتظـاهرات والمسـيرات وحـوادث الشـغب.. ويمكننا الاستعانة في هذا بـالتزلف لأصـحاب القـرار، ولـو برشوتهم.. الحمد للـه لـدينا مولـون من أنحـاء العـالم لا يبخلون علينا.

ومن الأمثلة على ذلك أن الحافظ أبا عمـرو بن الصـلاح أفـتى بـأن من الـواجب على السـلطان أن يُخـرج أهـل الفلسفة المشـائيم من المـدارس ويُبعـدهم عنهـا، ويـدفع شرهم عن المسلمين(3).

وقـد اسـتجاب الحكـام الصـالحون - بحمـد اللـه - لهـذه

---

(3) جمال الدين القفطي : تاريخ الحكماء من أخبار العلماء، ص: 288.

(1) سير أعلام النبلاء: ج 19، 334 .

(2) الـذهبي : المصـدر السـابق، ج21 ص: 217.و ابن أبي أصـيبعة : عيـون الأنبـاء، ج1 ص: 523 .و عبـد الواحـد المراكشي: المعجب ، ج1 ص: 306-307.

(3) الذهبي : السيّر، ج23 ص: 143 .

الفتوى المقدسة.. فقد طرد الملك الأشرف موسى بن العادل الأيوبي المتكلم المتفلسف العقلاني سيف الدين الآمدي من المدرسة العزيزية بدمشق، فأقام الآمدي في بيته خاملا إلى أن مات(1).

ومما يبين إدراك سلفنا لخطر العلوم العقلية أن ابن الصلاح ذكر للملك الأشرف أن أخذ المدرسة العزيزية من هذا العقلاني، أفضل من استرجاع مدينة عكا التي كانت آنذاك بيد الصليبيين(2).

وقد علق بعض الأثريين على هذا تعليقا حسنا، فقال: (مدينة عكا أمرها واضح، يحتلها الكفار الصليبيون، وسيسترجعها المسلمون منهم يوم يقدرون عليهم. لكن ما يقوم به السيف الآمدي من تدريس للفلسفة في المدارس السنية هو –في نظر ابن الصلاح – عمل داخلي خطير جدا، يؤدي إلى إفساد الدين وتخريب الفكر الإسلامي السني، والتمكين للفلسفة بأباطيلها وضلالاتها في المجتمع الإسلامي)(3)

ومن الأمثلة على ذلك أنه لما استولى الملك الأشرف موسى بن العادل على مدينة دمشق نادى مناديه بأنه لا يشتغل أحد من الفقهاء بشيء من العلوم سوى التفسير والحديث والفقه، ومن اشتغل بالمنطق وعلوم الأوائل

---

1) الذهبي : نفس المصدر، ج22 ص: 366.

2) وقد ذكر ابن تيمية ذلك، واستحسنه، فقال: من الحكايات المشهورة التي بلغتنا : أن الشيخ أبا عمرو بن الصلاح أمر بانتزاع مدرسة معروفة من أبي الحسن الآمدي وقال : أخذها منه أفضل من أخذ عكا. مع أن الآمدي لم يكن أحد في وقته أكثر تبحرا في العلوم الكلامية والفلسفية منه وكان من أحسنهم إسلاما وأمثلهم اعتقادا. مجموع الفتاوى (9/ 7)

3) مقاومة أهل السنة للفلسفة اليونانية خلال العصر الإسلامي، ص 84.

نُفي من البلد(1).

وأما **الثالث، فإهدار دم رجال الفلسفة ومن يستخدمون العقل في الدين**، وتنفيذ ذلك، إما بأمر السلطان، أو بأمر المفتي حين يقصر السلطان.

ومن أحسن الأمثلة على ذلك وأجودها ما فعله الحاكم الصالح العادل خالد بن عبد الله القسري الذي كان واليا علي العراق لهشام بن عبدالملك، والذي سن سنة حسنة بذبح هؤلاء العقلانيين، فقد ذبح الجعد بن درهم بعد أن خرج به إلي مصلي العيد بوثاقه ثم خطب الناس وقال: (أيها الناس! ضحوا، تقبل الله ضحاياكم، فإني مضح بالجعد بن درهم، إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا، ولم يكلم موسي تكليما)(2)، ثم نزل وذبحه.

وقد أثنى على سلوكه هذا كل سلفنا الصالح ومن تبعهم بإحسان، فقد قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين معقبا على ثناء ابن تيمية على خالد القسري: (جزاه الله خيرا، فالناس يضحون بالغنم والشاة والمعز والبعير والبقر.. وهذا ضحي بشر منها، فإنه شر من الإبل والغنم والحمير والخنازير، لأن الله يقول: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ} [البينة: 6]، ويقول: {إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا} [الفرقان: 44]، وإني أسأل الآن: البعير عن سبع، والبقر عن سبع، وهذا الرجل عن كم.. عن آلاف آلاف وقي الله شرا كبيرا، لكن بعض الناس _ والعياذ بالله_ يقولون إن هذا العمل من خالد بن عبد الله القسري ليس دينا، ولكنه سياسي، ونقول لهم هذا كذب، لأن الرجل صرح أمام الناس أنه قتله من أجل هذه

---

1) الذهبي : السيّر، ج 22 ص: 366.و ابن كثير : البداية والنهاية، ج 13 ص: 148 .

2) البخاري في (خلق أفعال العباد) ص 69.

البدعة)

وقد مدح ابن القيم هذا السلوك العظيم من خالد القسري في (النونية) التي عرض فيها عقيدة السلف، فقال:

ولأجل ذا ضحي بجعد خالد القسري يوم ذبائح القربان

إذ قال إبراهيم ليس خليله كلا *ولا موسي الكليم الداني

شكرا الضحية كل صاحب سنة *لله درك من أخي قربان

ومن الأمثلة على ذلك – أيضا - ما حصل للمتفلسف الصوفي عبد الله عين القضاة الهمداني الذي قتله وزير من الصالحين بعد أن رأى في بعض كتبه ألفاظا شنيعة ينبو عنها السمع، ويُحتاج إلى مراجعة قائلها فيما أراد بها؛ وقد عمل الوزير محضرا وأخذ فيه خطوط جماعة من العلماء، بإباحة دمه بسبب تلك الألفاظ، فقبض عليه وحمله مقيدا إلى بغداد، ثم أرسله إلى همدان وصلبه بها(1).

ومن الأمثلة على ذلك ما حصل للفيلسوف الإشراقي شهاب الدين السهروردي الذي أفتى علماء حلب بقتله، وما أسرع ما استجاب الملك الظاهر بن صلاح الدين الأيوبي لذلك، ثم جاءه أمر من والده صلاح الدين يأمره بقتله(2).

ومن الأمثلة على ذلك، وهو عجيب يبين مدى حنق سلفنا الصالح على الفلاسفة والعقلانيين، ما فعله سلطان

1) ابن حجر: لسان الميزان، ج4 ص: 411.

2) الذهبي : السيّر، ج 21 ص: 10، 211 ..

يُعرف بمحمد بن المظفر بجثة الفيلسوف أبي علي بن سينا، فقد نبش قبره، وأخرج رفاته وأحرقها بعد أكثر من 140 سنة من وفاته(1).

وأما **الرابع، وهو مهم جدا، فهو توظيف الرأي العام لمقاومة الفلاسفة ومن يستخدمون العقل في الدين**، وتنفيذ ذلك سهل لا يحتاج إلى سلطان أو مفت، بل قد يكفي فيه خطباء الجمعة والمدرسون واستخدام شبكات التواصل الاجتماعي، وكل وسائل الإعلام الجديد.

وقد طبق سلفنا الصالح هذا خير تطبيق حيث كانوا يتولون شحن الرأي العام بالحقد على المبتدعة والمنحرفين عن السنة، ليتولى العامة بعد ذلك أمرهم إما بقتلهم أو تهديدهم أو تخويفهم.

ومن الأمثلة على ذلك ما رُوي أن بعض أهل الحديث كان يُشنّع على الفيلسوف يعقوب الكندي اشتغاله بعلوم الفلاسفة ،و يُغري به العوام(2).

ومن الأمثلة أنه عندما حوكم المتفلسف الركن عبد السلام بن عبد الوهاب وأحرقت كتبه، جُمعت العامة لحضور محاكمته، فكانت تصيح بلعنه حتى تعدّى اللعن إلى جده الشيخ عبد القادر الجيلاني(3) .

ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره المقري الأندلسي عن عوام الأندلس وحرصهم على السنة، وحربهم للفلاسفة والعقلانيين، وقد وصف ذلك، فقال: (وكل العلوم لها

---

1) محمد بن يعقوب الفيروز أبادي : البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، ج1 ص: 90 .

2) ابن النديم : الفهرست، ج1 ص: 386.

3) ابن رجب : الذيل، ج2 ص: 72.

عندهم حظ واعتناء إلا الفلسفة والتنجيم [علم الفلك]، فإن لهما حظا عظيما عند خواصهم ولا يتظاهر بهما خوف العامة، فإنه كلما قيل فلان يقرأ الفلسفة، أو يشتغل بالتنجيم أطلقت عليه العامة اسم زنديق، وقيدت عليه أنفاسه، فإن زل في شبهة رجموه بالحجارة، أو حرقوه قبل أن يصل أمره للسلطان، أويقتله السلطان تقربا لقلوب العامة، وكثيرا ما يأمر ملوكهم بإحراق كتب هذا الشأن إذا وجدت)(1)

ومن الأمثلة على ما ذكره المقري أن الفيلسوف علي بن جودي الأندلسي - تلميذ ابن باجة - اشتهر بين الناس باشتغاله بالفلسفة، فاتهموه في دينه وطاردوه للقبض عليه، ففرّ منهم والتحق بجماعة من قطاع الطرق(2).

**المسؤول السياسي:**

تقدم الرابع، وقال: أنا المسؤول السياسي في الجمعية، ودوري فيها واضح.. إنني أعرف الأحزاب السياسية، وأتقرب إليها لأرى مواقفها، فمن وقف معنا، فنحن معه، وسينجح في الانتخابات لا محالة، ومن رفضنا أو رفض مواقفنا، فسأحيل أوراقه إلى المسؤول الشرعي، وهو من يتولى أمره برفقة لجنة الفتوى التي تتبعه..

وقد مارس أعلام من السلف هذا حين تقربوا من السلطان لينشروا مذهب أهل السلف، والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى ابتداء من العصر الأموي، وانتهاء بعصرنا.

***

---

1) نفح الطيب (1/ 221).

2) ابن سعيد المغربي: المغرب، ج2 ص: 109-110 .

بعد أن وصل الحديث إلى هذا الحد وصلنا إلى محطة أخرى لنستريح، وهناك اقتربت من رجلين من الركاب لأسمع تحاورهما:

قال الأول: هل رأيت.. ألم أكن أقول لك دائما: إن كنت تريد أن تتدين، فعليك أن تلغي عقلك .. فلا يمكن أن يجتمع العقل مع الدين؟

قال الثاني: لست أدري ما أقول لك .. لكني لم أشعر في حياتي بألم كما شعرت وأنا أستمع وأشاهد تلك الحرب المقامة على العقل .. لست أدري أهؤلاء لا يقرؤون القرآن .. أم أنني أنا الذي أفهم القرآن على غير ما يفهمونه .. لست أدري يا صديقي .. أنا الآن في حيرة عظيمة .. ولا أحسبني أستطيع أن أستقل هذه الحافلة من جديد.

قال الأول: أتريد أن تبقى في الصحراء .. ما بك يا رجل؟

قال الثاني: لقد كانت كل أماني معقودة على ما ورد في القرآن من قيم وجمال .. لكني الآن أشعر أن كل شيء بدأ ينهار .. فكل شيء صار مظلما بالنسبة لي .. ولا فرق عندي أن أبقى في هذه الصحراء القاحلة، أو أنتقل إلى أي محل آخر.

تركتهما، وانتقلت إلى مجموعة أخرى لأسمع الضحكات والسخرية بالإسلام ونبيه .. وكأنهم كانوا يتفرجون على فلم كوميدي.

أما أنا فقد كنت كالأبله لا هم لي إلا البحث عن ربيع، والاستماع لموقفه .. فلم يكن لي حينها عقل أفكر به إلا عقل ربيع.

بعد أن انتهت الاستراحة، وركب الركاب الحافلة، وقد نقص منهم نفر كما في المرة السابقة.. أخرج السائق شريطا جديدا، ثم قال: بعد أن نلتم حظكم من الراحة اسمحوا لنا أن نضع شريطا آخر.. يوضح لكم سنة من سنن الإسلام، وهديا من هدي السلف الصالح .. إنه هدي المخالفة والتميز والاستقلالية.

قال ذلك، ثم أدخل الشريط.. ليبدو مشهد لخيمة جلس فيها مجموعة شباب أمام شيخ، وكأنه يحدثهم عن ذكرياته.. وكانت القهوة تجول بينهم.

قال الشيخ، وهو يرتشف فنجان القهوة، وكأنه يواصل حديثه: بعد أن عوفيت من إدماني، أخبروني أنني لو لم أتدين فإنني قد أعود إلى الإدمان من جديد، ولهذا كان أول عمل لي بعد الخروج من المستشفى مع أصدقاء لي تعرفت عليهم هناك، أن سألنا عن أكثر الناس تدينا في قريتنا، فدلونا على رجل كان صيته ذائعا، وسمعته تخترق الآفاق، فذهبنا إليه، وأخبرناه بحالتنا، وأننا نحب أن نتدين ونرتبط بربنا.

فقلب النظر في هيئتنا، وقال: أبهذه الهيئة تريدون أن تتدينوا؟

قلنا له: وما علاقة الهيئة بالتدين؟

قال: هل رأيتم في حياتكم رجلا يلعب كرة القدم.. وفي الملعب.. وفي مباراة رسمية ببذلة ورابطة عنق؟

قلنا: لا..

قال: أفترون التدين أهون من اللعب.. فإن كان للعب لباس رسمي.. فكيف بالتدين؟

قلنا: صدقت.. اعذرنا لجهلنا.. ولكن ما سمة الهيئة، وما ضرورتها.. فقد علمنا أن لكل مهنة اللباس الـذي يتناسـب معها؟

قال: المخالفة..

تعجبنا لقوله هذا، فقال: لا تتعجبوا.. فمخالفة الآخــر من اليهـود والنصـاري والمجـوس والشـيوعيين والرأسـماليين والوجــوديين.. والصــوفية والرافضــة.. وكــل من عــدا المسلمين أصل من أصول التميز.. فبقدر مخالفتهم يكون التدين كاملا.

قلنا: ولكن لم ذلك؟

قال: لذلك أسباب كثيرة ذكرها سلفنا الصالح، وقد جمع منهـا شـيخنا التـويجري(1) نتفـا منهـا (أن المشـاركة في الهدي الظاهر تورث تناسبًا وتشاكلاً بين المتشابهين يقــود إلى الموافقة في الأخلاق والأعمال، وهـذا أمـر محسـوس فـإن اللابس لثيـاب أهـل العلم مثلا يجـد من نفسـه نـوع انضمام إليهم، واللابس لثياب الجند المقاتلة مثلا يجـد في نفسه نوع تخلق بأخلاقهم، ويصير طبعه مقتضـيا لـذلك إلا أن يمنعه من ذلك مانع)

---

1) انظر في هذه المخالفات والتشدد فيها من باب المثـال لا من بـاب الحصـر كتـاب (الإيضـاح والتبـيين لمـا وقـع فيـه الأكـثرون من مشـابهة المشركين)، لحمود بن عبد الله بن حمود التويجري، وقد قال ابن بـاز مقـدما له: (أني لا أعلم أنه ألف في منواله مثله مع وضـوح العبـارة والعنايـة بالأدلـة والعلـل المهمـة والحكم الشـرعية والأضـرار الكثـيرة الناجمـة عن مشـابهة المشـركين، والاقتـداء بهم المفضـية إلى نسـيان الكثـير من السـنة وطمس الكثير من أعلام الحق، ولا سيما في هذا العصر الذي قد استحكمت فيه غربة الإسلام وفشت فيه البدع والمنكرات، وقلَّ فيه العلم وغلب فيه الجهل وكـثر فيه أنصار الهوى)

ومنها أن (أن المخالفة في الهدي الظاهر توجب مباينة ومفارقة تتوجب الانقطاع عن موجبات الغضب وأسباب الضلال والانعطاف إلى أهل الهدى والرضوان وتحقق ما قطع الله من الموالاة بين جنده المفلحين وأعدائه الخاسرين.. وكلما كان القلب أتم حياة وأعرف بالإسلام كان إحساسه بمفارقة اليهود والنصارى باطنًا وظاهرًا أتم، وبعده عن أخلاقهم الموجودة في بعض المسلمين أشد.)

ومنها (أن مشاركتهم في الهدي الظاهر توجب الاختلاط الظاهر حتى يرتفع التميز بين المهديين المرضيين وبين المغضوب عليهم والضالين)

قلنا: ولكن ألا ترى أن في ذلك كثيرا من الحرج؟

قال: وهل تريدون أن تدخلوا الجنة بالمجان.. أنسيتم قوله تعالى: { أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا } [البقرة: 214]

انظروا كيف طبق سلفنا الصالح هذه السنة العظيمة.. لقد سئل أحمد عن نعل سندي يخرج فيه، فكرهه للرجل والمرأة، وقال: إن كان للكنيف والوضوء فلا بأس، وأكره الصرار، وعلل ذلك بأنه من زي الأعاجم.

وروي أن سعيد بن عامر سئل عن لباس النعال السبتية فقال: (زي نبينا أحب إلينا من زي باكهن ملك الهند، ولو كان في مسجد المدينة لأخرجوه من المدينة)

قلنا: ما دام الأمر بهذه الأهمية فلا بأس.. نحن طوع أمرك.

قال: شكرا لكم.. سأرسلكم لصديق لي.. وسيجعلكم وكأنكم قضيتم حياتكم كلها في التدين.. سيجعلكم وكأنكم السنة تمشي.

خرجنا من عنده إلى صديقه الذي ذكره لنا، وقد كان ممتلئا هيبة ووقارا.. عندما دخلنا عليه قلب النظر فينا، ثم نظر إلى شاربي الذي كنت أطيله في ذلك الحين كأهل قريتنا جميعا، وقال: ألا تعلم أن من التشبه بأعداء الله تعالى إعفاء الشوارب، حف شواربك، فلا يصح أن تتدين وهي في وجهك، فإن ذلك من سنن الأكاسرة وقومهم المجوس، ومن أعمال قوم لوط.. وقد أمرنا بمخالفتهم، وفي الحديث قال ﷺ : (من تشبه بقوم فهو منهم)(1)

ثم نظر إلى ذقني، وقال: إياك أن تمس ذقنك مرة أخرى.. لا تحليقا.. ولا تقصيرا.. فالتقصير الذي يقع فيه بعض المبتدعة لا يقل حرمة عند الحلق، وقد كتب في ذلك شيخنا الجليل العلامة حمود بن عبد الله التويجري كتابه العظيم الذي لم يؤلف مثله في الآفاق (الرد على من أجاز تهذيب اللحية)، وقد رد في كتابه هذا على بعض المبتدعة من العصرانيين، والذي زعم أن اللحية لا تعني في الإسلام شيئًا مميزًا للمسلم.

نظر إلى صاحب لنا كان يرتدي برنيطة، فقال: لابد أن تخلع هذه.. فإن (من التشبه بأعداء الله تعالى لبس البرنيطة التي هي من لباس الإفرنج ومن شابههم من أمم الكفر والضلال، وتسمى أيضًا القبعة، وقد افتتن بلبسها كثير من المنتسبين إلى الإسلام في كثير من الأقطار الإسلامية ولا سيما البلدان التي فشت فيها الحرية الإفرنجية، وانطمست فيها أنوار الشريعة المحمدية)(2)

نظر إلى صاحب لنا آخر يرتدي سترة وسروالا، وقال: وأنت أيضا.. لا بد أن تخلع هذين، فـ (الاقتصار على لبس

---

1) رواه أحمد وأبو داود.

2) كتاب (الإيضاح والتبيين) الذي سبق ذكره.

السترة والبنطلون.. فهـو من ملابس الإفـرنج، والبنطلـون اسـم للسـراويل الإفرنجيـة، وقـد عظمت البلـوى بهـذه المشابهة الذميمة في أكثر الأقطار الإسلامية.. ومن جمـع بين هذا اللباس وبين لبس البرنيطة فـوق رأسـه فلا فـرق بينه وبين رجال الإفرنج في الشكل الظاهر، وإذا ضم على ذلك حلق اللحية كان أتم للمشابهة الظاهرة.. ومن تشـبه بقوم فهو منهم)(1)

قـال صـاحبنا: ولكـني لم أضـع القبعـة على رأسـي إلا لحاجتي إليها، فأنا أتأذى من الـبرد في الشـتاء والحـر في الصـيف.. وألبس السـروال والقميص لأن عملي لا يسـمح لي بلباس آخر.

انتفض الرجل غاضبا، وقـال: (هـذه الـدعوى حيلـة على استحلال التشبه المحرم، والحيل لا تبيح المحرمـات، ومن استحل المحرمات بالحيل فقد تشبه باليهود) (2)

وفي الحديث الذي رواه ابن بطة قال ﷺ: (لا ترتكبوا ما ارتكبت اليهود، فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل)

وقد قال شيخنا التويجري مجيبا على هذه الشبهة: (وقد جعل الله سبحانه وتعالى للمسلمين مندوحة عن مزاحمـة أعـداء اللـه تعـالى في لباسـهم والتشـبه بهم، فمن أراد وقاية لرأسه ففي لبـاس المسـلمين مـا يكفيـه، ومن أراد ثيابًـا للأعمـال فكـذلك، ومن أراد ثيابـاً للزينـة والجمـال فكـذلك، ومن رغب عن زي المسـلمين ولم يتسـع لـه مـا اتسـع لهم من الملابس المباحـة فلا وسـع اللـه عليـه في الدنيا ولا في الآخرة)(3)

---

1) الكتاب السابق.

2) الكتاب السابق.

3) الكتاب السابق.

وقال الشيخ أحمد محمد شاكر: (ولم يختلف أهـل العلم منذ الصدر الأول في هذا أعني: في تحريم التشبه بالكفار حتى جئنا في هذه العصور المتأخرة فنبتت في المسلمين نابتة ذليلة مستعبدة، هجيراها وديدنها التشـبه بالكفـار في كـل شـيء والاسـتخذاء لهم والاسـتعباد، ثم وجـدوا من الملتصـقين بـالعلم المنتسـبين لـه من يـزين لهم أمـرهم ويهـون عليهم أمـر التشـبه بالكفـار في اللبـاس والهيئـة والمظهر والخلق وكل شيء حتى صرنا في أمـة ليس لهـا من مظهر الإسلام إلا مظهـر الصـلاة والصـيام والحج على ما أدخلوا فيها من بدع بـل من ألـوان من التشـبه بالكفـار أيضًا، وأظهر مظهـر يريـدون أن يضـربوه على المسـلمين هو غطاء الرأس الذي يسمونه القبعة (البرنيطة)، وتعللـوا لها بالأعاليل والأباطيل، وأفتاهم بعض الكـبراء المنتسـبين إلى العلم أن لا بأس بها إذا أريد بها الوقاية من الشـمس، وهم يأبون إلا أن يظهروا أنهم لا يريدون بها إلا الوقاية من الإسلام)(1)

رأى على صـاحبي شـعرات بيض، فقـال: لابـد أن تصـبغ شعرك حتى تبدو أكثر شبابا.

قال صاحبي: ألهذا علاقة بالتدين؟

قال الرجل: أجل.. هـل تـرون شـعر رأسـي.. وهـل هـو يتناسب مع سني.. أنا ابن سـبعين سـنة، ومـع ذلـك أبـدو، وكأني ابن عشرين.. ذلك لأني اتبعت سنة رسول اللــه ﷺ في عدم التشبه بأعداء الله من اليهود والنصاري، لقد ورد في الحديث عن أبي هريرة قال: قال رسول اللـه ﷺ: (إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم)(2)، وقد علق على ذلك شـيخ الإسـلام ابن تيميـة، فقـال: (قـد تـبين أن نفس

---

1) نقلا عن الكتاب السابق.

2) رواه البخاري ومسلم.

مخالفتهم أمر مقصود للشارع في الجملة، ولهذا كان الإمام أحمد بن حنبل وغيره من الأئمة يعللون الأمر بالصبغ بعلة المخالفة، قال ابن حنبل: سمعت أبا عبد الله يقول: ما أحب لأحد إلا أن يغير الشيب ولا يتشبه بأهل الكتاب)(1)

نظر إلى خاتم لي كنت وضعته بمناسبة خطوبتي، وكان في يدي اليمنى، فقال: انزعه، وضعه في يدك الأسرى.

قلت: أهكذا فعل رسول الله ﷺ؟

قال: لا.. ولكن نحن نتأسى في هذا بما فعل سلفنا الصالح، فقد قال ابن عبد البر: (وقد كان التختم في اليمين مباحا حسنا، لأنه قد تختم به جماعة من السلف في اليمين ،كما تختم منهم جماعة في الشمال وقد روي عن النبي ﷺ الوجهان جميعا، فلما غلبت الروافض على التختم في اليمين ولم يخلطوا به غيره كرهه العلماء منابذة لهم، وكراهية للتشبه بهم، لا أنه حرام ولا أنه مكروه وبالله التوفيق)(2)

قلت: ما دام في الأمر سعة، فدعه في يميني.. فإني لا أحب أن أضعه في يساري.. وأنت تعلم أنني قد أستعملها عند قضاء حاجتي.

غضب الرجل غضبا شديدا، وقال: ويلك.. أتنكر على السلف.. أم تريد أن تتشبه بالرافضة الخبثاء.. افعل ما أمرتك به وإلا فاخرج عني.. فلا يصل مجادل أبدا إلى السنة.. أنسيت قوله تعالى: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [النور: 63]

---

1) اقتضاء الصراط المستقيم (1/ 199)

2) التمهيد (6|80).

قلت: ولكنك ذكرت أن رسول الله ﷺ تختم بيمينه، ولهذا فأنا لم أقم بأي مخالفة لرسول الله ﷺ.

قال: اسمعني جيدا.. لقد سن سلفنا أصلا في هذا لابد أن تراعيه إن كنت تريد أن تكون من الفرقة الناجية.. وهو ينص على أنه إذا صار الأمر المباح شعارا لأهل البدع شرع للمسلم مخالفتهم فيه، وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية يؤصل لهذا: (وهذا القول يقوله سائر الأئمة، فإنه اذا كان في فعل مستحب مفسدة راجحة لم يصر مستحبا، ومن هنا ذهب من ذهب من الفقهاء إلى ترك بعض المستحبات إذا صارت شعارا لهم فلا يتميز السنى من الرافضي، ومصلحة التميز عنهم لأجل هجرانهم ومخالفتهم أعظم من مصلحة هذا المستحب)(1)

وقد ضرب هو وغيره الأمثلة الكثيرة على ذلك.. ومنها عدم لبس السواد كالعمامة السوداء مع أنه صح عن النبي ﷺ لبسها، لكن لكونها صارت شعارا للرافضة يشرع مخالفتهم في لبسها.. ومثل ذلك لبس العمامة الخضراء التي أصبحت شعارا للصوفية، فشرع مخالفتهم في ذلك.

بل إن هذه المخالفة حتى في الأمور التعبدية، فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وإنما كثر الكذب في أحاديث الجهر لأن الشيعة ترى الجهر، وهم أكذب الطوائف، فوضعوا في ذلك أحاديث لبسوا بها على الناس دينهم، ولهذا يوجد في كلام أئمة السنة من الكوفيين كسفيان الثوري أنهم يذكرون من السنة المسح على الخفين وترك الجهر بالبسملة كما يذكرون تقديم أبي بكر وعمر ونحو ذلك لأن هذا كان من شعار الرافضة، ولهذا ذهب أبو علي بن أبي هريرة أحد الأئمة من أصحاب الشافعي إلى ترك الجهر بها قال : لأن الجهر بها صار من شعار المخالفين كما ذهب من ذهب من أصحاب الشافعي إلى تسنمة

---

1) منهاج السنة (4|155).

القبور لأن التسطيح صار من شعار أهل البدع)(1)

ومن ذلك تخصيص آل البيت بالصلاة والسلام، فمع أنه مشروع، وفي الصلاة نفسها، وقد علمنا ذلك رسول الله ﷺ لكنه لما صار شعارا للرافضة شرع مخالفتهم، وقد قال ابن حجر في فتح الباري: (اختلف في السلام على غير الأنبياء، بعد الاتفاق على مشروعيته في تحية الحي، فقيل : يشرع مطلقا، وقيل : بل تبعا، ولا يفرد لواحد، لكونه صار شعارا للرافضة)(2)

ونقل عن عبد الله المغربي المالكي في كتابه ( المعلم بفوائد مسلم ) قوله: (إن زيدا كبر خمسا على جنازة، قال : وكان رسول الله ﷺ يكبرها. وهذا المذهب الآن متروك، لأنه صار علما على القول بالرفض)

ونقل عن الشافعي وأحمد والحكم قولهم: (المسح على الخفين أولى من الغسل، لما فيه من مخالفة الشيعة) (3)

***

قال الرجل بعد أن أنهى حديثه: وهكذا عملت بكل ما طلب مني، وما هو إلا شهر واحد حتى تغيرت تماما.. لقد كان الكل يسلم علي، ويكيل لي كل أنواع الاحترام.. بل قد كان بعضهم يأتي ويستفتيني.. وهذا كله ببركة مفهوم المخالفة الذي علمني إياه الشيخ..

حينها كنت بطالا لأنه لا أحد يقبل أن يوظف مدمنا أو سبق له الإدمان، ولهذا اقترح علي بعض المشايخ أن

---

1) الفتاوى الكبرى (2|166).

2) فتح الباري - ابن حجر (11/ 170)

3) الصراط المستقيم 2 / 510.

أحيي سنة الرقية في قريتي مستفيدا من حال الإدمان التي كنت أعاني منها.. وقد طبقت اقتراحه.. وها أنا أرفل في نعيم الدنيا بسبب إحيائي لتلك السنة العظيمة.. وأسأل الله أن يديم لي نعمته في الآخرة كما أدامها لي في الدنيا، وأن يحشرني مع السلف الذي كانوا سببا لكل البركات التي أنعمها الله علي.

***

بعد أن وصل الحديث إلى هذا الحد وصلنا إلى محطة أخرى لنستريح، وهناك اقتربت من رجلين من الركاب لأسمع تحاورهما:

قال الأول: لا يمكنني أن أركب في هذه الحافلة المشؤومة مرة أخرى.. لقد ذكرتني بمآسي حصلت لي في شبابي كنت نسيتها .. وكل ذلك بسبب هؤلاء اللئام المتاجرين بالدين.

قال الثاني: ما الذي حصل لك؟

قال الأول: تصور .. لقد تركت إكمال دراستي بسبب رفضي للباس الرسمي الذي كان مفروضا علينا .. وقد حاول والدي كل جهده ليقنعي، لكن عقلي كان مغلقا تماما، فقد كنت تابعا لشيخ من المشايخ يحذرنا من كل شيء، ويصور لنا على أن الكل أعداؤنا.

قال الأول: صدقت.. وقد حصل لي بسبب أمثال هؤلاء مآسي لا تقل عن مآسيك .. ولا أظنني أستطيع أن أركب هذه الحافلة من جديد .. فالصحراء أرحم من هؤلاء.

بعد أن انتهت الاستراحة، وركب الركـاب الحافلـة، وقـد نقص منهم نفـر كمـا في المـرتين السـابقتين.. أخـرج السائق شـريطا جديـدا، ثم قـال: بعـد أن نلتم حظكم من الراحـة اسـمحوا لنـا أن نضـع شـريطا آخـر.. يفنـد شـبهة لطالما رددها المغرضون المبتدعون، أولئك الذين يكرهون السـنة والسـلف.. وهي أننـا - أتبـاع السـنة والسـلف – منغلقـون على أنفسـنا، متقوقعـون على ذواتنـا، لا ننتفح على الآخر.. لا تسـمعوا لهـذا.. فكلهـا أباطيـل وخـزعبلات نشرها أعداؤنا ليشـوهوا سـمعتنا.. ليس الأمـر كمـا يقـول أعـداؤنا أعـداء اللـه.. وهـذا الشـريط يوضـح لكم ذلـك.. فأصيخوا آذانكم له.. وارموا بأبصاركم إليه.

قـال ذلـك، ثم أدخـل الشـريط.. ليبـدو مشـهد لحديقـة جميلة مزدانة بأصناف الأشجار والزهور.. وقـد ظهـر فيهـا بعض المشـايخ، ومعهم شـباب يبـدون من جنسـيات مختلفـة.. والعجيب أن أكـثرهم لم يكن ملتحيـا، ولا تبـدو عليهم علاقة بالتشدد والتطرف.

بدأ الحديث شيخ من المشايخ، وقال: سنبدأ الآن بتفنيـد الشـبهة الـتي عرضـتموها علي، وهي أننـا – معشـر أهـل السـنة والحـديث – منغلقـون على أنفسـنا، لا نسـتفيد من الآخر، ولا ننفتح عليه..

قـال شـاب من الحاضـرين: أجـل.. ويـدل لـذلك مـا تنشرونه في كتبكم من التحذير من اتباع الآخر أو تقليده.. بل إنكم تعتبرون مجـرد تهنئـة الآخـر بعيـده الـديني بدعـة خطيرة، وقد قال في ذلك مشايخكم ما قالوا.

ابتسم الشيخ ابتسامة عريضة، وقال: صدقت في هـذا.. ولكن كل هذا شكليات.. القصد منها ألا نـذوب في الآخـر،

ولا يذوب فينا.. القصد فقط أن نتميز.. أما الحقيقـة فنحن منفتحـون على الآخـر أكـثر من أي فرقـة من الفـرق أو طائفة من الطوائف حتى من الرافضة أنفسهم.. والـذين نـزعم بـأنهم أخـذوا بعض المبـادئ المتعلقـة بالوصـية والإمامة من عبد الله بن سبأ اليهودي.. نحن اسـتفدنا من الآخر، وانفتحنا عليه أكثر منهم.

سأبرهن لكم على ذلك بطريقـة عجيبـة.. أجيبـوني أولا: أليس الانفتاح ينطلـق من قبـول مصـادر الآخـر والاهتمـام بها؟

قالوا: بلى.. ومن فعل ذلك فقد انفتح انفتاحا كبيرا.

قال: لا يكفي ذلك عندنا.. بـل هنـاك انفتـاح آخـر.. وهـو قبول رجال الآخر ومفكريه وعلمائه والاستفادة منهم.

قـالوا: من فعـل ذلـك فقـد كـاد يـذوب في الآخـر.. ولم ينفتح عليه فقط.

قـال: مـا دام الأمـر كـذلك، فسـأنطلق من كلا الأمـرين لأبـرهن لكم أننـا – معشـر السـلفيين، وأسـلافنا من أهـل الحديث – أكثر طوائـف المسـلمين انفتاحـا، وخاصـة على أهل الكتاب الأول من اليهود.

**المصادر:**

قالوا: ما ذكرته منطقي.. فهات حـدثنا عن الأول.. فهـل قبل سلفكم التوراة والكتاب المقدس؟

قال: لم يقبلوا التوراة والكتاب المقدس فقط، بـل إنهم استفادوا منها أيضا، وبنوا الكثـير من الأحكـام في القضـايا الكبرى عليها.

قالوا: ولكن القرآن الـذي تعتبرونـه المصـدر الأول ينص على تحريـف التـوراة، ويحـذر من الانجـرار وراء أهـل

الكتاب.

ابتسم الشيخ ابتسامة عريضة، وقال: نحن في العادة نتبرك بالقرآن.. ونجمع الأجور والحسنات من خلال قراءته.. تصوروا أننا كلما قرأنا حرفا واحدا نلنا عشر حسنات، وخاصة إن رتلناه ترتيلا جميلا.. أما المعاني التي فيه.. فنحن نرجع فيها إلى سلفنا.. فهم أدرى بالناسخ والمنسوخ، والخاص والعام، والمطلق والمقيد.. وغيرها كثير.

ولهذا فهم اعتبروا تلك النصوص من باب التشديد في خطاب اليهود.. أما الحقيقة فهي أن علماءنا ينظرون إلى التوراة كما ينظرون إلى القرآن نفسه، وقد قال بعض مشايخنا في ذلك: (وأيضًا فمن المعلوم أن هذه النسخ الموجودة اليوم بالتوراة ونحوها قد كانت موجودة على عهد النبي ﷺ فلو كان ما فيها من الصفات كذبًا وافتراء ووصفًا لله بما يجب تنزيهه عنه كالشركاء والأولاد لكان إنكار ذلك عليهم موجودًا في كلام النبي أو الصحابة أو التابعين كما أنكروا عليهم ما دون ذلك، وقد عابهم الله في القرآن بما هو دون ذلك فلو كان هذا عيبا لكان عَيب الله لهم به أعظم وذمهم عليه أشد)(1)

قال شاب من الحاضرين: أهذا صحيح؟.. أعقيدتكم في الله، والتي هي أهم قضية في الدين كله تتفقون فيها مع اليهود؟

ابتسم الشيخ، وقال: لا نتفق معهم فيها فقط.. بل نحن نقبل منهم ما يذكرونه من صفات الله.. لأن الله لم ينكرهم عليها.

---

1) عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن، التويجري، طبع دار اللواء – الرياض ، الطبعة الثانية ، ص 77.

قال الشاب: ولكن تلك الكتب - بحسب ما أعلم – مشحونة بالحديث عن الله باعتباره جسما مركبا من أعضاء لا تختلف عنا.. إنها تذكر أن لله صورة، وأنها تشبه صورة الإنسان.. لقد ورد في الإصحاح الأول من سفر التكوين (عدد: 26، 27): (وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا. فيتسلطون على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم وعلى كل الأرض وعلى جميع الدبابات التي تدب على الأرض.. فخلق الله الانسان على صورته.على صورة الله خلقه. ذكرا وانثى خلقهم)

قال الشيخ: وهذا نفس ما قاله سلفنا من أهل الحديث، لقد رووا في ذلك آثارا كثيرا في ذلك، وكثير منها من أهل الكتاب، وقد كتب الشيخ (حمود التويجري) – وهو من خيرة علمائنا- كتابا سماه (عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن)، وهو كتاب من الكتب المهمة عند جميع أصحابنا، وقد زكاه شيخنا الجليل ابن باز.. بل إنه قال في أثناء حديثه عنه: (وأيضًا فهذا المعنى عند أهل الكتاب من الكتب المأثورة عن الأنبياء كالتوراة فإن في السفر الأول منها ( سنخلق بشرًا على صورتنا يشبهها)(1)

قال الشاب: يا شيخ انظر ما تقول.. إن اليهود تنسب إلى الله تعالى الجلوس والقعود والاستقرار والثقل والوزن والحجم.. ففي (سفر الملوك)( 22: 19-20) : (وقال فاسمع إذاً كلام الرب قد رأيت الرب جالسًا على كرسيه وكل جند السماء وقوف لديه عن يمينه وعن يساره)

وفي سفر مزامير (47/8) يقول اليهود: (الله جلس على كرسي قدسه)

---

1) عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن، طبع دار اللواء – الرياض، الطبعة الثانية، ص/ 76:.

قال الشيخ: ونحن كذلك.. لقد استفدنا بانفتاحنا عليهم كل هذه الصفات.. وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (فما جاءت به الآثار عن النبى من لفظ القعود والجلوس فى حق الله تعالى كحديث جعفر بن أبي طالب وحديث عمر أولى أن لا يماثل صفات أجسام العباد)، وقال: (إذا جلس تبارك وتعالى على الكرسي سُمِع له أطيط كأطيط الرَّحل الجديد)(1)

قال الشاب: ولكن الكتاب المقدس ينسب – أحيانا – بعض الأوصاف القبيحة والشنيعة إلى الله كالمكر والخداع والملل.

قال الشيخ: وما في ذلك.. نحن منفتحون عليهم في هذا أيضا.. لقد قال أحد أئمتنا المعاصرين: (لا يوصف الله بالمكر إلا مقيداً، فإن قيل كيف يوصف الله بالمكر مع أن ظاهره أنه مذموم قيل إن المكر في محله محمود)(2)، وقال: ( إن الله له مَلَلٌ وأما مَلَلُ الله فإنه ملل يليق به عز وجل)(3)، وقال:( وأما الخداع فهو كالمكر يوصف الله به حين يكون مدحًا)(4)

فغر المحيطون به بأفواههم، وقالوا: أهذا صحيح؟.. إنكم لا تختلفون أبدا عن اليهود.

قال الشيخ: أجل.. فالتوراة والقرآن.. كلاهما من الله.. سأزيدكم شيئا يزيل عنكم شبهة انغلاقنا على أنفسنا.. لاشك أنكم تعلمون أننا نعظم السنة.. بل نقدمها أحيانا

---

1) (مجموع الفتاوى) (4/374)

2) (فتاوى العقيدة) للعثيمين (ص 50).

3) المرجع السابق، ص51.

4) المرجع السابق، ص52.

كثـيرة على القـرآن نفسـه.. لا من جهـة المرتبـة، بـل من جهـة الاسـتدلال.. فالحـديث الواحـد قـد ينسـخ عشـرات الآيات.

قالوا: أجل.. سمعنا منك وممن معك هذا.

قـال: فأضـيفوا إلى معلومـاتكم بـأن الكثـير من هـذه الأحـاديث الـتي نرويهـا عن نبينـا ﷺ قـد يكـون مصـدرها يهوديا.. بل أكثر مشـايخنا يـتيقنون أن ذلـك هـو مصـدرها، ومع ذلك يرفعونهـا إلى رسـول اللـه ﷺ.. باعتبـار انفتاحنـا الشـديد على الآخـر.. فنحن تهمنـا المعلومـة، ولا يهمنـا مصدرها.

تعجبت الجماعة، فزاد ذلك في حماسـته، وقـال: لعلكم تعلمـون أن السـنة النبويـة اختلطت بالأحـاديث اليهوديـة، فهناك الكثير من الأحـاديث منتشـرة بين المسـلمين على أنها أحاديث رسول الله ﷺ مع أنها أحاديث كعب الأحبار أو غيره من اليهود.

قالوا: أهذا صحيح؟

ابتسم ابتسـامة عريضـة، وقـال: أجـل.. وسأضـرب لكم أمثلـة على ذلـك تـدلكم على مـدى انفتاحنـا على الآخـر.. وخصوصا اليهود.

خـذوا المثـال الأول: لقـد روى مسـلم عن أبي هريـرة، قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال: (خلق الله، عز وجل، التربة يوم السبت. وخلق فيها الجبـال يـوم الأحـد. وخلـق الشجر يوم الاثـنين. وخلـق المكـروه يـوم الثلاثـاء. وخلـق النور يوم الأربعاء. وبث فيها الدواب يوم الخميس. وخلــق آدم، عليه السلام، بعد العصـر من يـوم الجمعـة. في آخـر الخلـق. في آخـر سـاعة من سـاعات الجمعـة. فيمـا بين

العصـر إلى الليـل)(1).. إن هـذا الحـديث الـذي يعظمـه العلماء والعوام ويتعبدون الله بـه باعتبـاره حـديثا لرسـول الله ﷺ ليس سوى حديث لكعب الأحبار، فقد ذكر ابن قيم الجوزية في (المنار المنيف في الصـحيح والضـعيف) هـذا، فقـال: (ويشـبه هـذا مـا وقـع فيـه الغلـط من حـديث أبي هريرة خلـق اللـه التربـة يـوم السـبت الحـديث، وهـو في صحيح مسلم، ولكن وقع الغلـط في رفعـه، وإنمـا هـو من قول كعب الأحبار، كذلك قال إمام أهل الحديث محمـد بن إسـماعيل البخـاري في تاريخـه الكبـير. وقالـه غـيره من علماء المسلمين أيضا وهو كمـا قـالوا، لأن اللـه أخـبر أنـه خلق السماوات والأرض ومـا بينهمـا في سـتة أيـام، وهـذا الحديث يقتضي أن مدة التخليق سبعة أيام) (2)

قالوا: أهذا هو المثال الوحيد؟

قـال: مـا بكم.. لم تسـتعجلون.. الأمثلـة أكـثر من أن تحصى.. ومنهـا مـا روي عن ابن عمـر يرفعـه إلى رسـول الله ﷺ: (إن الملائكة قالت يا رب كيـف صـبرك على بـني آدم في الخطايا والذنوب قال إني ابتليتهم وعافيتكم قالوا لو كنـا مكـانهم مـا عصـيناك. قـال فاختـاروا ملكين منكم. قال فلم يألوا جهدا أن يختاروا فاختاروا هاروت ومـاروت) (3)، وقد علق ابن كثير على هذا الحديث بقوله: (أقرب ما يكون في هذا أنـه من روايـة عبـد اللـه بن عمـر عن كعب الأحبار لا عن النبي ﷺ)(4)

ومثله ما حدث به سمرة عن النبي ﷺ قال: (لما ولـدت

1) رواه مسلم.

2) المنار المنيف في الصحيح والضعيف (ص: 84)

3) تفسير الطبري (2/433)

4) تفسير ابن كثير (1/ 354)

حواء طاف بها إبليس وكان لا يعيش لها ولد فقال سميه عبد الحارث فإنه يعيش فسمته عبد الحارث فعاش وكان ذلك من وحي الشيطان وأمره)(1)، وقد قال ابن كثير معلقا عليه: (فهذا يدلك على أنه موقوف على الصحابي ويحتمل أنه تلقاه من بعض أهل الكتاب من آمن منهم مثل كعب أو وهب بن منبه وغيرهما) (2)

تعجب الجمع، فازداد سروره، وقال: هذه مجرد أمثلة.. وهي أكثر من أن تحصى.. هذا ما فطنوا له، وصرحوا به أما ما لم يفطنوا أو لم يصرحوا، فلا يعلمه إلا الله.

قال شاب من الحاضرين: انتظر يا شيخ.. لقد قرأت في بعض مصادركم أن أن عمر أتى نبيكم بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب، فغضب، وقال: (أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب؟! والذي نفسي بيده، لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده لو أن موسى - ﷺ - كان حيا ما وسعه إلا أن يتبعني)(3)

قال الشيخ: اسمع يا بني.. ليس من السهل عليك أن تستدل بالحديث.. ففيه هو الآخر الناسخ والمنسوخ.. والمطلق والمقيد.. وهناك أحاديث قالها رسول الله ﷺ بوصفه بشرا كسائر الناس.. ولذلك ليس من الضرورة أن نأخذ بها.

قال الشاب: ولكن نبيكم غضب غضبا شديدا، وهذا يدل على خطورة الأمر.

---

1) رواه الحاكم في مستدركه من حديث عبد الصمد مرفوعا ثم قال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

2) تفسير ابن كثير (3/ 527)

3) مسند الإمام أحمد بن حنبل: 3/387 ح(15195).

قال الشيخ: ألم أقل لـك: إنـك تفتقـر إلى علم الأصـول لتفهم أمثال هـذه الحقـائق.. نبينـا يغضـب كسـائر البشـر، ولذلك قد يخطئ عندما يغضـب.. لقـد روى أهـل الحـديث في هذا عنه ﷺ قوله: (اللهم إني اتخـذت عنـدك عهـدا لن تخلفنيه، وإنما أنا بشر، فأي المؤمـنين آذيتـه أو شـتمته أو لعنته فاجعلها زكاة وصلاة وقربة إليك يوم القيامة)(1)

قال الشاب: فأنت ترفض هذا الحديث إذن؟

انتفض الشيخ غاضبا، وقال: معاذ الله.. أتحسبني زنديقا حتى أرد حديثا ورد في الصحيحين.

قال الشاب: ولكنك لا ترى العمل به.

قال الشيخ: أراه ﷺ ذكره من بـاب التشـدد، لا من بـاب التشريع.. أو من باب النصـيحة لعمـر، لا من بـاب تعميمـه للأمة.. أو من باب كونه واليا على المدينة أو قاضيا فيها لا من باب كونه نبيا .. أو من أبواب أخـرى لن تفهمهـا حـتى تطالع أصول الفقه(2).

قال الشاب: وما دليلك على ذلك؟

قـال الشـيخ: الـدليل سـهل جـدا.. وهـو قبـول السـلف لروايات أهل الكتاب ورجوعهم إلى الكتاب المقدس.. ولو أنهم علموا أن ذلـك يخـالف رسـول اللـه ﷺ لمـا فعلـوه.. بالإضافة إلى ذلك فقـد ورد في حـديث صـححه ثقاتنـا: (لا تكتبوا عني شيئا غـير القـرآن، فمن كتب عـني شـيئا غـير

---

1) رواه البخاري ومسلم.

2) للأسف نجد هذا في أصول الفقه، وهو وصف بعض أفعال النبي ﷺ بكونها ليست بلاغا نبويا، مع أن الله تعالى اعتبر كل تصـرفاته ﷺ من اللـه تعالى إلا ما ورد تخصيصه.

القرآن فليمحه.. وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج)(3)، وقد صار العمل بهذا الحديث، بدل الحديث السابق.

قال الشاب: ألا ترى في الحديث الذي ذكرته خطرا على الدين؟.. فنبيكم – على حساب روايتك- ينهاكم فيه عن كتابة حديثه، وفي نفس الوقت يأذن لكم في الرواية عن اليهود.

قال الشيخ: وهذا من دلائل انفتاح ديننا.. ولهذا تجد تراث اليهودية في كتبنا جميعا.. التفسير والحديث والعقيدة.. وكل شيء.. ألا يكفي هذا على رد شبهة انغلاقنا على أنفسنا التي يرمينا بها عدونا؟

**الشخصيات:**

قالوا: ما ذكرته من الدليل قوي جدا، وهو يدل على أنكم منفتحون كثيرا..

ابتسم الرجل ابتسامة عريضة، ثم قال: ليس ذلك فقط.. أنتم تعلمون أننا نحترم السلف كثيرا، بل نعتبرهم مراجع للدين، ونقدم فهمهم على كل فهم، وعلمهم على كل علم.

قالوا: هذا صحيح.. ولهذا تطلقون على أنفسكم، أو يطلق عليكم أعداؤكم لقب (السلفية)

قال: فهل تعلمون أن من كبار سلفنا وأئمتهم كثير من اليهود؟

قالوا: أجل.. وما الضرر في ذلك.. فقد أسلموا.. وذهب عنهم وصف اليهودية.

قال: نعم هم أسلموا.. ولكن وصف اليهودية وعلوم اليهود وأهل الكتاب كانت في عقولهم، وقد بثوها إلينا

---

3) رواه أحمد.

جميعا، وكنا نرجع إليهم فيها.. ولذلك فإن جـزءا مهمـا من ثقافتنا يرجع لهم.

قالوا: ما تقول يا رجل.. إن هو إلا واحد أو اثنان.

ابتسم، وقـال: نعم كـانوا محـدودين.. ولكن لكـل واحـد منهم تلاميذ كثـيرون، كـانوا يلقنـونهم ويعلمـونهم ويـروون عنه.. وقد صار كل واحد منهم بعشرة أو عشرات..

قال أحد الحاضرين: مهلا يا رجـل.. لا تحسـبنا حمقى أو مغفلين.. فقد رأيت بعض الباحثين يتهم كعبا، ويعتـبره من الكـاذبين.. بـل يتهمـه بأنـه دس الإسـرائيليات في السـنة النبوية.

قال الرجل: لا يقول ذلك إلا الرافضـة أو من تـأثر بهم.. ونحن لا نعتبر الرافضـة مسـلمين أصـلا، فلهم دينهم، ولنـا ديننا.. وهم يحنقون عليه لسبب بسيط، وهو أن كعبـا ومن معـه من اليهـود الـذين أسـلموا آثـروا بعـد اجتهـادهم في المسألة أن يكونوا إلى جنب معاويــة.. ولا ذنب عليهم في ذلك حتى لو كانوا مخطئين، فكل مجتهد مأجور.. ولو أنهم كانوا إلى جنب علي لقبلوه.. وهذا من المكاييل المزدوجة للرافضة الخبثاء.. بينمـا نحن نـروي عن أتبـاع علي وأتبـاع معاويــة لا نفـرق بين أحــد منهم.. فكلهم صـحابة.. وكلهم لهم حرمتهم التي لا يجوز انتهاكها.

وقد رد علماؤنـا من السـلف والخلـف على هـذا[1]، بـل إنهم اعتبروا من يتهم كعبـا كمن يتهم الصـحابة أنفسـهم.. والشـواهد الكثـيرة تشـهد لكعب الأحبـار بصـدق إسـلامه وقـوة إيمانـه، ومن أبـرز هـذه الشـواهد شـهادة كثـير من الصحابة له بذلك.

---

1) نقلنا هذا، وبتصرف من موقع معتمد لدى التيارات السلفية، وهو موقع بيان الإسلام.

فإذا تتبعنا حياة كعب في الإسلام، ورجعنا إلى مقالات بعض أعلام الصحابة فيه، وأحصينا من تحمل منهم عنه وروى له، ومن أخرج له من شيوخ الحديث في مصنفاتهم.. لو فعلنا ذلك لوجدنا ما يدحض ويبطل هذه الفرية، ويشهد له بقوة دينه وصدق يقينه، وأنه قد طوى قلبه على الإسلام المحض والدين الخالص، ولغزارة علمه وكثرة معارفه لهج بعض أعلام الصحابة بالثناء عليه، فقال عنه أبو الدرداء: (إن عند ابن الحميرية لعلما كثيرا)(1)

أما خال المؤمنين معاوية، فقد وضعه مع كبار الصحابة، وأثنى عليه من بينهم، فقال: (ألا إن أبا الدرداء أحد الحكماء، ألا إن كعب الأحبار أحد العلماء، إن كان عنده لعلم كالبحار، وإن كنا فيه لمفرطين)(2).. انظر كيف اعتبر نفسه مفرطا في التلقي عنه.. وهذا يدل على انفتاحهم وحرصهم على العلم والحكمة.

وهكذا نجد جماهير المحدثين على توثيق كعب؛ وأنى يكون ذلك وقد جلس الكثير من الصحابة بين يديه، ورووا عنه كما رووا عن رسول الله ﷺ سواء بسواء.. وهذا سر ما اختلط من رواياتهم عنه برواياتهم عن رسول الله ﷺ.. لقد حدث عنه من أعلام الصحابة كأبي هريرة، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، ولم يكن هؤلاء ولا غيرهم ممن رووا عنه سذجا ولا مخدوعين فيه، وإنما أيقنوا أنه صدوق فيما يروي، فرووا عنه؛ لذلك قال عنه ابن حجر في التقريب: (ثقة مخضرم)(3)، وقد روى له مسلم في صحيحه، وأبو داود والترمذي والنسائي

---

1) الطبقات الكبير، ابن سعد، تحقيق: د. علي محمد عمر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2002م، (9/449)

2) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر، القاهرة، د. ت، (5 /650)..

وغيرهم، وهو دليل على أن كعبا كـان ثقـة غـير متهم عنـد هؤلاء جميعا(1).

قال شاب من الحاضرين: ولكني قرأت في بعض كتبكم أن خالكم معاوية رمى كعبا بالكذب، وقال عنـه: (إن كـان من أصـدق هـؤلاء المحـدثين الـذين يحـدثون عن أهـل الكتاب، وإن كنا - مع ذلك - لنبلو عليه الكذب)(2)

قال الشيخ: مهلا يا فتى.. أنت لم تفهم مراد خالنا.. فلـو رجعنـا إلى شـراح قـول معاويـة لوجـدناهم جميعـا يشرحونه بما يبعد هذه الوصمة الشنيعة عن كعب الأحبار، وقـد قـال ابن حبـان في كتـاب الثقـات: (أراد معاويـة أنـه يخطئ أحيانا فيما يخبر به، ولم يرد أنه كان كـذابا)، وقـال عياض: (يصح عوده على الكتاب، ويصـح عـوده على كعب وعلى حديثه، وإن لم يقصد الكذب ويتعمده؛ إذ لا يشـترط في مسـمى الكـذب التعمـد، بـل هـو الإخبـار عن الشـيء بخلاف مـا هـو عليـه، وليس فيـه تجـريح لكعب بالكـذب)، وقال ابن الجوزي: (المعنى: أن بعض الذي يخـبر بـه كعب عن أهل الكتاب يكون كذبا لا أنه يتعمـد الكـذب، وإلا فقـد كان كعب من أخيار الأحبار)(3)

أضف إلى هذا، فإن معاوية الذي قـال هـذا القـول،

---

3) تقريب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: أبي الأشبال صغير أحمد شاغف، دار العاصمة، الرياض، ط1، 1416هـ، ص812..

1) الطبقات الكبير، ابن سعد، تحقيق: د. علي محمد عمر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2002م، (9/ 449).

2) صحيح البخاري.

3) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محب الدين الخطيب وآخرين، دار الريان للـتراث، القـاهرة، ط1،ـ 1407هـ/ 1987م، (13/346)..

هو نفسه الذي قال: (ألا إن كعب الأحبار أحد العلماء، وإن كان عنده علم كالثمار، وإن كنا لمفرطين)، فهو قد شهد له بالعلم وغزارته، وحكم على نفسه بأنه فرط في علم كعب، فهل يعقل أن معاوية يشهد هذه الشهادة لرجل كذاب؟! وهل يعقل أن يتحسر ويندم على ما فاته من علم رجل يدلس في كتب الله، ويحرف في وحي السماء؟ (1).

***

بعد أن وصل الحديث إلى هذا الحد وصلنا إلى محطة أخرى لنستريح، وهناك اقتربت من رجلين من الركاب لأسمع تحاورهما:

قال الأول: اذهب وحدك .. أما أنا فسأبقى هنا، فعقلي يكاد يطيش .. فأي منطق يفكر به هؤلاء؟

قال الثاني: أنا معك في هذا .. ألا ترى التناقض العجيب.. فهم يتشددون في القبعة والسروال.. ثم يتراخون في العقيدة والتفسير .. أي عقول هذه؟ .. أي منطق هذا؟ .. أدركني يارب .. فإني أكاد أجن.

اقتربت من جماعة أخرى، فسمعت ضحكات ساخرة:

قال أحدهم: ألم أقل لكم: إن الإسلام ليس سوى نسخة مشوهة من اليهودية والنصرانية؟

قال آخر: نعم .. قلت لنا ذلك كثيرا .. لكنك لم تستطع أن تأتي بدليل واحد .. ولولا أنا وفقنا لركوب هذه الحافلة المباركة لما ظفرنا بهذه البينات.

قال آخر: لقد كنت أسجل كل ما قيل .. وقد فتح لي

---

1) الإسرائيليات في التفسير والحديث، محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط5، 1425هـ/2004م، ص82..

أبوابا من العلم، سأكتب فيها مقالات محترمة، ترضي أصدقاءنا من العلمانيين والملحدين واللادينيين.

اقتربت من مجموعة ثالثة، فوجدتهم يبكون، وقد غلب عليهم التأثر:

قال أحدهم: لم لم ننهض ونكسر عليها تلفازه، بل شيطانه.. لقد صبرنا عليه كثيرا.

قال آخر: ألا ترى قسوته وشدته؟

قال آخر: أنخاف على أنفسنا منه؟

قال آخر: لا .. بل نخاف من الفتنة .. ألا تعلمون ما قال هارون عليه السلام لأخيه؟ لقد قال له: {يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي } [طه: 94].. ونحن كذلك.

قال آخر: لا بأس .. فنحن نعيش في دولتهم .. ولابد أن نصبر.. وسيبدلنا الله في يوم من الأيام بدولة أوليائه التي تظهر الإسلام على الدين كله بقيمها وسلامها وتحضرها وربانيتها.

بعد أن انتهت الاستراحة، وركب الركاب الحافلة، وقد نقص منهم نفر كما في المرات السابقة.. أخرج السائق شريطا جديدا، ثم قال: بعد أن نلتم حظكم من الراحة اسمحوا لنا أن نضع شريطا آخر.. يوضح لكم مدى عقلانية توجهنا السلفي المبارك.. ولتعلموا علم اليقين أننا وحدنا الفرقة الناجية.. وأن من عادانا ليس سوى حطب لجهنم.

قال ذلك، ثم أدخل الشريط.. ليبدو مشهد لثلاثة رجال، يبدون وكأنهم في مناظرة، أما أحدهم، فكان يجلس بينهما، يظهر عليه أنه مدير الجلسة، وعلى يمينه يجلس شيخ يشبه من رأيناهم من المشايخ في الأشرطة السابقة، وفي الطرف الآخر يجلس شيخ يرتدي عمامة خضراء، مثل العمامات التي يرتديها بعض رجال الطرق الصوفية.

ابتدأ رئيس الجلسة حديثه بقوله: يسرنا أن نلتقي اليوم في مناظرة بين رجلين ذوي توجهات مختلفة، أما أحدهما فوصف لي نفسه أنه سني سلفي أثري، وأما الثاني، فوصف لي نفسه أنه مسلم سني صوفي من طريقة من الطرق الصوفية.. وهذه الجلسة مرتبطة بناحية دقيقة، وهي اعتماد الرؤى والأحلام في الدين(1).

ونبدأ كالعادة بصاحب الدعوى، صاحبنا السلفي الأثري، وسأترك الحوار بينهما من غير تدخل مني إلا إذا اقتضى المقام ذلك..

ابتدأ السلفي الأثري بمقدمة طويلة شملت بسملة

---

1) أردنا من خلال هذا الفصل بيان مدى تناقض السلفيين في موقفهم من الأحلام، وقد رجعنا من مراجعهم في هذا إلى كتاب لحمود بن عبد الله بن حمود التويجري بعنوان: (كتاب الرؤيا)

وحمدلة وقراءة بعض آيات القـرآن، ثم قـال: أبـدأ– أولا – بأن أقول لهذا الدعي الذي وصف نفسه بكونه سـنيا: أنت لست سنيا.. والسنة تبرأ منك.. السنة حكـر على السـلف وأتباع السلف.. وكل من عداهم مبتدعة..

أراد الصوفي أن يتحدث، فأوقفه المذيع، وقـال مخاطبـا السـلفي: أرجـو أن تكتفي بـدعواك حـتى لا نخـرج عن الموضوع.

قال السلفي: أجل.. دعواي واضـحة.. ويـدل عليهـا كـل البراهين.. فهـؤلاء القـوم نتيجـة ابتعـادهم وإعراضـهم عن كتاب ربهم وسنة نبيهم وهدي سـلفهم الصـالح وقعـوا في الخرافـة.. فصـاروا يعتمـدون على الـرؤى والأحلام، ويسـتمدون منهـا دينهم ومـواقفهم.. وكـل ذلـك ضـلال وانحراف وبعد عن المنهج الذي جاء به هذا الـدين.. فاللـه تعالى قال: {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [آل عمران: 132].. ولم يقل أطيعوا المنامات والأحلام.

قال الصوفي: صدقت.. ونحن لا نستمد ديننا من الـرؤى والأحلام، بل نستمده من كتاب ربنا وسنة نبينا، فهل رأيت صلاتنا أو صيامنا أو أي شعيرة من الشعائر التعبديـة الـتي نمارسـها تختلـف عن سـائر مـا يفعلـه المسـلمون.. وهـل رأيتنا نحلل الحرام، ونحرم الحلال بالرؤى والأحلام.. وهـل رأيت عقائـدنا الـتي كتبناهـا أو كتبهـا أسـلافنا تختلـف في شـيء عن سـائر المسـلمين.. إننـا ننتمي لمـذاهب فقهيـة وعقدية كسـائر المسـلمين.. ولم نـر للأحلام أي دخـل في هذه الجوانب من ديننـا.. وكـل مشـايخنا متفقـون على أن العصـمة في الكتـاب والسـنة، وليسـت في الكشـف أو الرؤى أو أي باب آخر، وقد قال شيخ الطريقة الـتي أنتمي إليهـا الشـيخ أبـو الحسـن الشـاذلي: (إذا عـارض كشـفُك الصـحيح الكتـابَ والسـنة فاعمـل بالكتـاب والسـنة ودع الكشف، وقل لنفسك: إن اللـه تعـالى ضـمن لي العصـمة

في الكتـاب والسـنة، ولم يضـمنها لي في جـانب الكشـف والإِلهام)(1)

ضحك السـلفي بسـخرية، وقـال: ولمـاذا تولـون الأحلام والرؤى كل تلـك الأهميـة، فلا يكـاد يخلـو كتـاب من كتبكم من الرؤى والأحلام.. وكأنكم تعيشون عالم النوم، لا عـالم اليقظة؟

قـال الصـوفي: رويـدك.. لا تحتقـر شـيئا عظمـه اللـه ورسوله ﷺ.. لقد أخبر رسول اللـه ﷺ عن أهميـة الرؤيـا.. ونحن نعظم مـا عظمـه اللـه ورسـوله.. ونحن نـروي تلـك الـرؤى باعتبارهـا مبشـرات تـدعونا إلى العمـل الصـالح، وطلب القرب من الله، وقد أشـار إلى ذلـك قولـه تعـالى: {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَـاءَ اللَّهِ لَا خَـوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُـونَ (62) الَّذِينَ آمَنُـوا وَكَـانُوا يَتَّقُـونَ (63) لَهُمُ الْبُشْـرَى فِي الْحَيَـاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِـرَةِ لَا تَبْـدِيلَ لِكَلِمَـاتِ اللَّهِ ذَلِـكَ هُـوَ الْفَـوْزُ الْعَظِيمُ } [يونس: 62 -ـ 64]، وقـد ذكـر رسـول اللـه ﷺ مصداقا من مصاديق هذه البشرى، وهـو الرؤيـا الصـالحة، فقـال: (أيهـا النـاس إنـه لم يبـقَ من مبشـرات النبـوة إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو تُرى له)(2)

قال السلفي: لقد اعتبرها رسول الله ﷺ مبشرات، ولم يعتبرها معلمات أو مفقهات أو مبينات لأحكام الله.

قال الصوفي: ونحن نتعامـل معهـا بتلـك الصـورة، فقـد ذكرت لك أننا نتمسـك بالشـريعة كمـا يتمسـك بهـا سـائر المسـلمين.. وليس لـدينا أي شـريعة مبنيـة على الـرؤى والأحلام.

قلب السلفي أوراقا بين يديه، وقـال: لـدي أدلـة كثـيرة

---

1) إِيقاظ الهمم، (2/302)

2) رواه مسلم.

على دعواي.. وهذه أولها : لقد حدث بعض الصوفية، فقال: رأيت النبي ﷺ في المنام، فقلت: ادع الله ألا يميت قلبي، فقال: (قل كل يوم أربعين مرة، يا حي يا قيوم لا إله إلا أنت)؛ أليس في هذا تشريعا؟

قال الصوفي: وما الحرج في هذا.. لقد طلب من رسول الله ﷺ حلا لمشكلة، فأعطاه الحل، وهو ذكر مشروع بصيغ مشروعة.

قال السلفي: والعدد.. أليس بدعة؟

قال الصوفي: أنتم تعتقدون أنه بدعة.. ونحن لا نعتقد ذلك.. والمسألة أطول من أن نناقشها هنا.. وأرى أنها من الخلاف الفقهي المشروع.. كالاختلاف في سائر المسائل الفرعية.

قال السلفي: هذا هروب منك.

قال الصوفي: لا.. ليس هروبا.. ولكن المسألة تعتمد على أصول فقهية كثيرة، ووقتنا لا يسمح بالتفاصيل الكثيرة.. ولكني أقول لك من باب الاختصار: إن هذا الذي أقول به هو قول أكثر الفقهاء والمحدثين في أزمنة كثيرة، فإن بدعتنا في هذا، فأنت تبدع أكثر الأمة.

قلب السلفي صفحات أخرى، وقال: فلندع هذا.. هذه رؤيا خرافية لصوفي آخر، يقول فيها: رأيت ربي في المنام، فقلت: كيف الطريق إليك؟ فقال: اترك نفسك وتعالَ.. انظروا كيف يتجرأ هذا الرجل، فيرى ربه في المنام.. ثم كيف يستفيد أحكاما في منامه.

ابتسم الصوفي، وقال: بالنسبة للأحكام الجديدة، فأنا لا أرى في الرؤيا أي أحكام جديدة، لأنها تتفق تماما مع قوله تعالى: {وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (40) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى} [النازعات: 40، 41]

وأما بالنسبة لرؤية الله.. فهذا عـالم رؤى.. والأمـر فيهـا متسع.. وقد وجدت في مراجعكم فيمـا رواه ابن الجـوزي في (مناقب الإمام أحمد) عن أحمد قال: رأيت ربّ العـزة عز وجل في المنام فقلت: يا ربّ ما أفضل مـا تقـرب بـه المتقربون إليك؟ فقال: كلامي يا أحمد، قال: قلت: يا ربّ بفهمٍ أو بغير فهمٍ؟ قال: بفهمٍ وبغير فهمٍ.

ألا تـرى هـذه الرؤيـا تطـابق تمامـا مـا ذكرتـه من رؤيـا الصـوفي؟ ففيهـا رؤيـة اللـه، وفيهـا اسـتفادة أحكـام هي أخطـر بكثـير من الأحكـام الـتي ذكرهـا الصـوفي، لأني لا أراها تتفق مع مـا ورد في القـرآن الكـريم من الحث على التـدبر والفهم.. وقـد رأيت الكثـير يزهـد في فهم القـرآن وفي تـدبره ويسـتدل لـذلك بهـذه الرؤيـا، وكأنهـا حـديث لرسول الله ﷺ ، وليست مجرد رؤيا لفقيه من الفقهاء.

قال السـلفي: ويلـك.. أتعقب على ناصـر السـنة وقـامع البدعـة الإمـام أحمـد بن حنبـل.. صـاحب أكـبر محنـة في التاريخ..

قــال الصــوفي: أنــا أعقب على رؤيــاه، وليس عليــه.. فرؤياه تحتاج إلى عرضها على القرآن الكريم كـأي شـيء آخر.. لأن الله ضـمن لنـا العصـمة في كتابـه وفي نبيـه ﷺ ولم يضمنها في أحد من الفقهاء.

قــال السـلفي: ويلـك.. أأنت أعلم بـالقرآن من الإمـام أحمد.. ذلك الذي كان يحفظ ألف ألف حديث؟

قال الصوفي: لعلك لم تفهمني.. أردت فقـط أن أوضـح لك أن رؤية الله ممكنة ولا حرج فيها، وقد تحققت لإمامك وإمامي.

قـال السـلفي: ويلـك.. أتقـارن إمامـك البـدعي الملحـد الكافر بإمامي السني السلفي الأثري؟

أراد الصوفي الحديث، فتدخل مدير الجلسة، وقال: نرجو العودة للموضوع.

قال الصوفي: لا أرى من المنطق أن ننكر شيئا، ثم نأت مثله.. إن هذا يخالف ما ورد في القرآن الكريم، فقد قال تعالى: { يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (2) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ} [الصف: 2، 3]

قال السلفي: ألي تشير بهذه الآية؟

قال الصوفي: لك ولأصحابك.. فأنتم تنكرون على الصوفية وتزعمون أنهم يتلقون دينهم من الرؤى والأحلام، بينما نجد مصادركم التي تعتمدونها تطفح بذلك.

قال السلفي: هذه دعوى.

قال الصوفي، ولدي أدلتها.

قال السلفي: فهاتها..

قلب الصوفي بعض الأرواق، ثم قال: انظر.. هذا ما رواه القاضي أبو الحسين في (طبقات الحنابلة) عن أحمد قال: رأيت رسول الله ﷺ في المنام فقلت: يا رسول الله كل ما روى عنك أبو هريرة حق؟ قال: (نعم)

ألا ترى أن هذه الرؤيا تحكم بعصمة أبي هريرة في الرواية عن رسول الله ﷺ مع أن الكثير من مشايخ الحديث، بل من مشايخ الإمام أحمد يرمونه بالتدليس، ولذلك اختلطت رواياته بروايات كعب الأحبار(1).. فأيهما

1) من الأمثلة على ذلك ما رواه البيهقي في السنن الكبرى عن أبي سلمة : أنه سمع أبا هريرة يقول : خير يوم طلعت فيه الشمس يوم جمعة، فيه خلق الله عز وجل آدم، وفيه إدخل الجنة، وفيه أخرج منها، وفيه تقوم الساعة، ورواه الأوزاعي، عن يحيى زاد قال : قلت له : شيء سمعته من رسول الله ﷺ، قال : بل شيء حدثناه : كعب، وفي نفس الوقت نرى هذا

نصدق: هل رؤيا الإمام أحمد، أم قول المحدثين؟

قـام السـلفي غاضـبا، وقـال: أتطعن في أبي هريـرة.. أتسب أبا هريرة؟

قـال الصـوفي: هـذا ليس طعنـا، ولا سـبا.. فأنـا أحـترم جميع الصحابة، كما أحترم أي شيء له علاقة برسول الله ﷺ .. لكن الاحترام شيء، والدين شيء آخر .. فالدين من اللـه .. ولهـذا نحتـاج إلى الاحتيـاط فيـه .. والاحتيـاط في الدين يقتضي التشدد في قبـول الروايـة عن رسـول اللـه ﷺ، لأن حـديثا واحـدا قـد يهـدم الـدين من أساسـه.. وقـد اعترضت أم المؤمنين عائشة على كثـير من الصـحابة في روايته، ومن ذلك أنها لما سمعت حديث (إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه!) أنكرته، وحلفت أن الرسول ﷺ ما قالـه، وقالت ـ بيانـا لرفضـها إيـاه ــ (حسـبكم القـرآن {وَلَا تَـزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى} [الأنعام: 164](1)

قال السلفي: أهذا ما عندك من الأدلة؟

قـال الصـوفي: الأدلـة أكـثر من أن تحصـر.. انظـر هـذا المثال الخطير.. لقد حدث ابن الجـوزي عن عبـد الوهـاب الوراق قال: رأيت النبي ﷺ أقبـل فقـال لي: (مـا لي أراك محزونًـا؟) قـال: قلت: وكيـف لا أكـون محزونًـا وقـد حـلّ بأمتك مـا قـد تـرى، قـال: فقـال لي: (لينتهين النـاس إلى مذهب أحمد بن حنبل لينتهين الناس إلى مذهب أحمـد بن

---

الحديث رواه عبد الرحمن بن هرمز الأعرج، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ.

1) الحـديث في الصـحيحين بهـذه الصـيغة: أنكـرت ذلـك عائشـة وقـالت : (رحم اللـه عمـر، واللـه مـا حـدث رسـول اللـه ﷺ أن اللـه ليعـذب المؤمن ببكاء أهله عليه، ولكنه قال : إن الله ليزيـد الكـافر عـذابا ببكـاء أهلـه عليه. وقالت : حسبكم القرآن : {وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى} [الأنعام: 164]

حنبل) (1)

وحدث عن أبي عبد الله السجستاني قال: رأيت رسول الله ﷺ في المنام فقلت: يا رسول الله من تركت لنا في عصرنا هذا من أمتك نقتدي به في ديننا؟ قال: (عليكم بأحمد بن حنبل)

قال السلفي: وما في هذه الرؤيا.. إنها بشارة بأن مذهب الإمام أحمد حق.. وأنه السنة.. وأن الناس لا محالة سينتهون إليه.. وذلك هو الواقع.

قال الصوفي: ولكن كل هذه تشريعات.. وكأنكم من خلال الاستدلال بهذه الرؤيا تحرمون مناقشة ما جاء به إمامكم.. لأن رسول الله ﷺ قد وقع لكم عليه.

قال السلفي: وأنتم أيضا.. لقد تلاعب الشيطان بكم بما زعمتموه من تأييد النبي ﷺ لكتاب الإحياء.. فقد روى اليافعي أنه رأى النبي ﷺ في المنام فناوله كتاب الإحياء، فتصفحه ورقة ورقة من أوله إلى آخره ثم قال: والله إن هذا الشيء حسن، ثم ناوله الصديق، ثم ناوله الفاروق، فأثنيا عليه، وأمر النبي ﷺ بتجريد الفقيه علي بن حرزهم الذي أمر بإحراق كتاب الإحياء عن القميص وأن يضرب ويحد حد المفتري فجرد وضرب إلى آخر هذه الفرية (2).

ومثله قول الساوي أنه رأى النبي ﷺ عليه زي أهل التصوف، وقرأ عليه قواعد العقائد الذي صنفه الغزالي، فأذن له في القراءة فقرأ عليه الكتاب(3).

---

1) هذه الرؤيا وغيرها من الرؤى التالية منقولة من كتاب الرؤيا للتويجري، وهو من مشايخ السلفية المعتمدين، بل من المجمع عليه عندهم، والذين زكاهم ابن باز كثيرا.

2) انظر: تعريف الأحياء بفضائل الإحياء (5/3، 4) ملحق بالإحياء، دار المعرفة، وطبقات السبكي (4/131، 132).

قـال الصـوفي: لا بـأس.. ولـو أن هـذه الرؤيـا يمكن توجيهها لكني مع ذلك أتنازل، فأذكر لك بأن هذه الرؤيـا لا يمكن قبولها جملة، فليس الإحياء قرآنا حتى نقبل كـل مـا فيه.. فهل تتنازل أنت أيضا عن رؤيا الإمام أحمد؟

قال السلفي: ويلك.. أبك لوثة من جنـون؟.. كيـف تضـع الإمام أحمد ناصر السنة في مرتبـة واحـدة مـع أبي حامـد الغزالي الضال المبتدع الذي أحرق سلفنا كتبه؟

قال الصوفي: أنـا لا أتحـدث عن الـرجلين.. بـل أتحـدث عن الرؤى والأحلام.

قال السلفي: ولو.. فأحلام السنيين السـلفيين الأثـريين هي التي ينطبق عيها حديث البشـارة، أمـا أحلام الصـوفية فأبعد من أن ينطبـق عليهـا ذلـك.. لقـد روى ابن الجـوزي عن بندار بن بشار قال: رأيت أحمـد بن حنبـل في المنـام شبه المغضب فقلت: يا أبا عبد اللـه أراك مغضـبًا، فقـال: وكيـف لا أغضـب وجـاءني منكـر ونكـير يسـألان مَنْ ربـك فقلت لهما: ولمثلي يقال مَنْ ربك، فقالا لي: صدقت يا أبا عبد الله ولكن بهذا أمرنا فاعذرنا.

أرأيت هذه الرؤيا، وكيف تدل على مبلـغ معرفـة الإمـام أحمـد باللـه.. فكيـف تقيس بـه الغـزالي ذلـك الصـوفي الأشعري الجهمي الملحد المعطل.

ألم تعلم ما ورد في حق المعطلة من الجهمية وغـيرهم من الآثـار الصـحيحة الصـريحة.. لقــد حــدث الخطيب البغـدادي في تاريخـه عن يحـيى بن يوسـف الـزمي قـال: (رأيت في المنـــام إبليس رجلاه في الأرض ورأســـه في السماء أسود مثل الليل وله عينان في صدره، فلما رأيتــه قلت: من أنت؟ قال: هو إبليس فجعلت اقرأ آية الكرسي، قال: فقلت له: ما أقدمك هـذه البلاد؟ قـال: إلى بشـر بن

---

3) انظر: تبيين كذب المفتري (297-299)

يحـيى رجـل من الجهميـة، قـال: قلت: من اسـتخلفت بالعراق؟ قال: ما من مدينة ولا قرية إلا ولي فيها خليفـة، قلت: ومن خليفتك بالعراق؟ فقـال: بشـر المريسـي دعـا الناس إلى أمر عجزت عنه. وفي رواية قـال: دعـا النـاس إلى ما عجزت عنه قـال القـرآن مخلـوق، وقـال في هـذه الرواية، إن بشر بن يحيى كان بمرو يرى رأي المريسي)

وروى الخطيب أيضًا بسند صحيح كله ثقاة عن أحمد بن الـدورقي قـال: (مـات رجـل من جيراننـا شـاب رأيتـه في الليـل وقـد شـاب فقلت: مـا قصـتك؟ قـال: دفن بشـر المريسي في مقبرتنا زفرت جهنم زفـرةً شـاب منهـا كـل من في المقبرة)

وروى الخطيب وابن الجـوزي بسـنده عن عبـد اللـه بن المبارك الـزَّمِن قـال: (رأيت زبيـدة في المنـام فقلت: مـا فعـل اللـه بـك؟ قـالت: غفـر لي بـأول معـول ضـرب في طريق مكة، قلت: فما هـذه الصـفرة في وجهـك؟ قـالت: دفن بين ظهرانينا رجـل يقـال لـه بشـر المريسـي زفـرت عليه جهنم زفرة فاقشـعر لهـا جلـدي، فهـذه الصـفرة من تلـك الزفـرة، قلت: فمـا فعـل أحمـد بن حنبـل؟ قـالت: الساعة فارقني أحمـد بن حنبـل في طبـار من درة بيضـاء في لجة حمراء يريد زيارة الجبار عز وجل، قلت: بمـا نـال ذلك؟ قلت: بقوله القرآن كلام الله غير مخلوق.

وحدث الخطيب عن سفيان بن وكيـع قـال: (رأيت كـأن جهنم زفـرت فخـرج منهـا اللهب فقلت: مـا هـذا؟ قـال: أُعِدَّت لابن أبي دؤاد)

وحـدث ابن رجب عن علي الضـرير قـال: رأيت صـدقة الناسخ في المنام فقلت له: ما فعل الله بـك؟ قـال: غفـر لي بعد شدة فسألته عن علم الكلام، فقال: لا تشـتغل بـه فما كان شيء أضرّ عليّ منه وما نفعني إلا خمس تميرات تصدقت بها على أرملة.

وقد علق ابن رجب على هذه الرؤيا بقوله: (هذا المنام حق، وما كانت مصيبته إلا من علم الكلام، ولقد صدق القائل ما ارتدى أحد بالكلام فأفلح)

التفت السلفي إلى الصوفي، وقال: هذه حجتي.. فهات حجتك.

قال الصوفي: ليس لدي ما أقوله.. فقد كفيتني وشفيتني.

هوى السلفي إلى الأرض ساجدا، وقد تهلل وجهه استبشارا، وهو يقول: الحمد لك يا رب.. لقد نصرت السنة، وقمعت البدعة.. ولا نسألك إلا أن تشفي غليلنا بحرق هؤلاء في الآخرة، وذبحهم وتجميد الدماء في عروقهم في الدنيا.. فيعز علينا أن يقابلوا نعمك بالشرك والضلال.

ثم جلس، وقال: بالمناسبة أذكر رؤيا رآها بعض إخواننا من السلفيين فيها الأمر بذبح بعض المبتدعة، أريد أن أختم بها[1]: لقد رأى رسول الله ﷺ في المنام، فقال: (يا رسول الله فلان يطعن في بعض أصحابك)، فقال له ﷺ : (خذه هذه المدية فاذبحه بها)، قال الرجل: فأخذتها، فأضجعته، وذبحته، على الهيئة التي يمارسها إخواننا أصحاب الدولة، ورأيت كأن يدي أصابها من دمه، فألقيت المدية وأهويت بيدي إلى الأرض لأمسحها، فانتبهت وأنا أسمع الصراخ من نحو داره فقلت: ما هذا الصراخ؟ قالوا: فلان مات فجأة فلما أصبحنا جئت فنظرت إليه فإذا خط موضع الذبح.

تحسس مدير الجلسة رقبته، وقال: هنيئا لأخينا السلفي الأثري.. فقد انتهت الجلسة.. وقد انتصر فيها كما عودنا

1) ذكر هذه الرؤيا ابن القيم وغيرها، وهي في كتاب الرؤيا للتويجري، وهم يستدلون بها.

في كل مرة نستضيفه فيها.

***

بعد أن وصل الحديث إلى هـذا الحـد وصـلنا إلى محطـة أخـرى لنسـتريح، وهنـاك اقـتربت من رجلين من الركـاب لأسمع تحاورهما:

قـال الأول: هـل رأيت.. ألم أكن أقـول لـك دائمـا إن المجتمـع الـذي يعتمـد على الأحلام لن يعيش أبـدا حالـة اليقظة.. وأن المجتمع المسلم سيبقى متخلفا ما دام أهل الرؤى والأحلام هم الذين يتحكمون فيه.

قال الثاني: صدقت.. واليوم سلمت لك.. وأنا في حاجة بعد الآن إلى مراجعة الكثير من أفكاري..

انتقلت إلى مجموعـــة أخـــرى، فســـمعت ضـــحكات وهمسات، فلم تطـق نفسـي أن تقـترب منهم، ولم تطـق أذني أن تتصنت عليهم.

بعد أن انتهت الاستراحة، وركب الركـاب الحافلـة، وقـد نقص منهم نفر كما في المرات السـابقة.. أخـرج السـائق شـريطا جديـدا، ثم قـال: بعـد أن نلتم حظكم من الراحـة اسـمحوا لنـا أن نضـع شـريطا آخـر.. يوضـح لكم الجهـل والخرافة والشـعوذة الـتي يقـع فيهـا كـل من انحـرف عن الصراط المستقيم صراط السلف الصـالح.. الـذين جعلهم الله لنا منارة نهتدي بها حـتى لا نقـع في سـراديب الـدجل والجهل التي وقع فيها المنحرفون عنـا.. ومـا سـترونه هـو حلقـة من حلقـات برنـامج (نحن والآخـر) الـذي يـذاع في قناتنـا المشـهورة (البربهاريـة)، وغرضـه تبـيين فضـائل السـلفية والسـلفيين، والانحرافـات الـتي يقـع فيهـا مخالفوهم، للشباب حتى لا تجذبهم الفرق الضالة.

قال ذلك، ثم أدخل الشريط.. ليبدو مشـهد لشـيخ يقـف بين مجموعة من الشباب يحدثهم.

قال الشيخ: بعد هذا تعالوا بنا لنرى الصـوفية وادعـاءهم الاتصال بعالم الغيب.. ولعل أحسن عبـارة نسـوقها لتعـبر عنهم في هذا هو ما قاله عالمهم الذي يرجعـون إليـه كـل حين أبو حامد الغزالي في كتابه الـذي سـماه (المنقـذ من الضـلال) بينمـا التسـمية الحقيقيـة لـه هي (المنقـذ من الهدى) أو (الموقع في الضلال) (1)

لقد أطلق الغـزالي في كتابـه هـذه الـدعوى الخطـيرة.. لقـد قـال: (ومن أول الطريقـة تبتـدئ المكاشـفات والمشاهدات، حتى أنهم في يقظتهم يشـاهدون الملائكـة، وأرواح الأنبياء ويسمعون أصـواتاً ويقتبسـون منهم فوائـد.

---

1) يمارس السلفيون ابتداء من أوائلهم كثيرا هـذا السـلوك الـذي يعتبر من التنابز بالألقاب، وقد كان ابن تيمية يسمي مـؤمن الطـاق، شـيطان الطاق، والشواهد على ذلك كثيرة جدا.

ثم يترقى الحال من مشاهدة الصور والأمثال، إلى درجات يضيق عنها النطق)(1)

إن هذه العبارة تختصر سبب ما وقع فيه الصوفية من خروج عن السنة وهدي السلف الصالح.. إنه تلك الخرافات والأباطيل التي يزعمون أنهم يتلقونها عن الملائكة والأنبياء.

ضحك بصوت عال، وقال: وهل يمكن لأحد من غير الأنبياء أن يرى الملائكة.. إن أمر هؤلاء عجيب.

والأعجب منه اعتقادهم بحياة الرسل والأولياء وقربهم، وأن الموت لم يصب منهم إلا أجسادهم، وأن أنوارهم ساطعة قريبة، يمكن لكل من تطهر أن يتصل بهم، ويستفيد منهم، ويتربى على أيديهم، ويستلهم من إرشاداتهم.. حتى أن بعضهم، وهو الشيخ ( إبراهيم المتبولي ) ذكر عنه الشعراني أنه (كان من أصحاب الدوائر الكبرى في الولاية، ولم يكن له شيخ إلاّ رسول الله ﷺ، وكان يرى النبيّ ﷺ في المنام فيخبر أمّه فتقول: يا ولدي إنّما الرجل الذي يجتمع به في اليقظة، فصار يجتمع به في اليقظة ويشاوره على أموره، قالت له : الآن شرعت في مقام الرجولة)(2)

وروي عن الشيخ أبي العباس المرسي أنّه قال : ( لو حجب عنّي رسول الله ﷺ طرفة عين ما عددت نفسي من المسلمين)، وفي لفظ آخر : ( لو حجبت عنّي جنّة الفردوس طرفة عين أو رسول الله ﷺ وفاتني الوقوف بعرفة سنة واحدة ما عددت نفسي من جملة الرجال)(3)

---

1) المنقذ من الضلال (ص: 178)

2) الطبقات الكبرى (لوافح الأنوار في طبقات الأخيار) (2/75)

3) المرجع السابق (2/13)

وروي عن الشيخ أبي السعود أبي العشائر، قـال: (كنت أزور شيخنا أبـا العبـاس البصـير أحمـد بن محمـد بن عبـد الرحمن الأنصاري الخـزرجي الأندلسـي رضـي اللـه عنـه، الّـذي بـرع في علـوم الشـرع ببلـده ثمّ سـافر على قـدم التجريد فدخل الصـعيد، ثمّ أقـام بالقـاهرة يقـرىء النـاس وينفعهم، أجاز سبعة آلاف رجـل بـالقراءات السـبع، وكـان بارعا في الحديث حافظا لمتونه عارفا بعلله ورجاله حسن الاستنباط بذهن وقّاد، مات سنة ثلاث وعشرين وسـتمائة، فلمّـا انقطعت واشـتغلت وفتح عليّ لم يكن لي شـيخ إلاّ النبيّ ﷺ، وذكر أنّـه كـان يصـافحه عقب كـل صـلاة وذلـك يقظة وحسبه بذلك شرفا)(1)

وروي عن الشيخ (خليفة بن موسـى النهـر ملكي) (أنّـه كان كثير الرؤية لرسـول اللـه ﷺ يقظـة ومنامـا، ورآه في ليلة واحدة سبع عشرة مرّة، قال في إحداهن : يـا خليفـة لا تضجر منّي، فكثير من الأولياء مات بحسرة رؤيتي )

ويـذكر الشـيخ (محمـد بن أحمـد النبهـان الحلـبي) عن نفسه أنّه تشرّف بهذه الرؤية، وممّا قالـه في هـذا الشـأن (.. وكنت أجلس معـــه ﷺ لا أريـــد مفارقتـــه ولا يريـــد مفارقتي، وكـان يمشـي معي في الطريـق ويعلمـني كـلّ شـيء، فـإذا أردت أن أنفـك عنـه لا أقـدر، وكنت أجتمـع بالرسـول ﷺ يقظـة وأكلّمـه كمـا يكلّم الجليس جليسـه، فالرسـول ﷺ إمامنـا وصـديقنا وإذا صـدقتم فهـو يمشـي معكم في الطريق)(2)

---

1) عبد الوهاب الشَّعْراني، الطبقات الكبرى (لوافح الأنوار في طبقات الأخيار)، (1/137)

2) انظر: الموقع المخصص له في الإنترنت، موقع العارف بالله محمد بن أحمد النبهان الحلبي على هذا الرابط: (http://alsayed-alnabhan.com/)

بل إن الأمر عند الصوفية تجاوز هذا فهم يرون الرجوع إلى رسول الله ﷺ في كل محل، وقد نقل النبهاني عن كتاب (العهود المحمدية) للشعراني قوله نصيحة لمن رغب في المجاورة في أحد الحرمين: (فإن كان من أهل الصفاء فليشاوره ﷺ في كل مسألة فيها رأي أو قياس ويفعل ما أشار به ﷺ بشرط أن يسمع لفظه ﷺ صريحا يقظة، كما كان عليه الشيخ محي الدين بن عربي رحمه الله قال : وقد صححت منه ﷺ عدة أحاديث قال بعض الحفاظ بضعفها فأخذت بقوله ﷺ فيها، ولم يبق عندي شك فيما قاله وصار ذلك عندي من شرعه الصحيح أعمل به وإن لم يطعني عليه العلماء بناء على قواعدهم)(3)

التفت إلى الجمع، وقال: هل رأيتم خرافات أكثر من هذه الخرافات؟ هل رأيتم ضلالة أكبر من هذه الضلالة؟

فمع أن رسول الله ﷺ مات، وقد قال الله تعالى عنه: { إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ} [الزمر: 30] إلا أن هؤلاء، ولغوايتهم لا يزالون يصرون على أنه حي.

ولذلك نجدهم يقعون في الشرك الأعظم حين يتوسلون به ويستغيثون..

تصوروا الطامة التي تقع فيها الأمة الإسلامية نتيجة انحرافها عن هدي سلفها الصالح.. لقد تحول رسول الله ﷺ الذي جاء بنفس التوحيد الذي جاء به محمد بن عبد الوهاب إلى صنم يعبد من دون الله.

لقد صار الحجاج يخرجون من بيوتهم، ويقطعون المسافات الطويلة.. وكل قلوبهم وعقولهم نحو قبر رسول الله ﷺ.. كيف يمكن اعتبار هؤلاء حجاجا؟

قال له بعض الحاضرين: لكنا مع ذلك نرى الصوفية لا

3) النبهاني، سعادة الدارين، ص 440.

يذكرون في لقاءاتهم التي يزعمونها إلا خيرا.. فبعضهم يذكر أن رسول الله ﷺ وجهه نحو عمل خيري، وبعضهم يذكر أنه وجهه إلى طاعة من الطاعات، أو عبادة من العبادات أو ذكر من الأذكار.. ألا ترى شيخنا الفاضل أنه حتى لو كانت الوسيلة خاطئة، فالنتيجة طيبة؟

قام الشيخ من مكانه، والغضب يملأ وجنته، وقال: هذا ما كنت أخافه عليكم أيها الشباب الأغرار.. إنهم يكذبون عليكم.. إنهم دجالون فلا تستمعوا لهم.. ليس في ديننا القاعدة التي وضعها الكفار (الغاية تبرر الوسيلة).. لابد أن تكون الغاية والوسيلة كلاهما مشروعان حتى يعتبر العمل شرعيا.. ولهذا فإن الاتصال بعالم الغيب دجل وخرافة.. وكل ما نتج عن ذلك خرافة.. وكل الأوراد التي يزعمون أنهم يفعلونها ليتصلوا بعالم الغيب ضلال وشرك وبدعة وخرافة.

لقد قال شيخنا العربي التبسي الجزائري عند رده على الأوراد التي تمارسها الطرق الصوفية: (من البين لجميع من عرف الطرائق التي غصت بها الجزائر؛ أنها اشتركت في أمور وامتازت كل واحدة بخواص تجعلها منفصلة عن البقية تستحق بها اسم: طريقة فلان، وقد وضعوا طرائقهم كالشرع الموضوع المتبع، وبنوا هذه الأذكار على أوضاع وهيآت وألحقوا بها أدعية أحدثها من أسس الطريقة.. ومن الشائع الذائع: أن هذه الأذكار يعطيها رؤساء الطرائق أو من يقيمونه، ويسمى بأخذ الورد أو رفع السبحة ويعينون أعدادها وصيغها وأوقاتها وما يرتئونه من آدابها، ونحن نعرض عملهم هذا ونقيسه بالهدي النبوي وعمل السلف فذلك الدين، وما لم يعرف في هذه الأيام بعموم أو خصوص فليس من الدين، وما دام ليس من الدين فإنكاره قربة والاعتراف به بدعة)(1)

---

1) العربي التبسي، بدعة الطرائق في الإسلام، ص10.

وقد ذكر الشيخ بعد بحثه في تراث سلفنا الصالح أنه لم يجد شيئا من ذلك، فـ (السلف رضي الله عنهم لما لم ينقل عنهم تحديد ولا توقيت وهم أهل الدين صدقا وأصحاب الذكر حقا دل على أنهم فهموا من الشرع عدم التحديد والتوقيت، ولن يستطيع آخر الأمة أن يأتي بهداية لم يأت بها أولها) (2)

***

ما وصل الشيخ إلى هذا الحد من كلامه حتى صاح بعض الشباب صيحة عظيمة ارتجت لها القاعة، ثم سقط على الأرض، وهو يصيح: ماء.. ماء.

اجتمع الحضور عليه، وأراد بعضهم أن يحضر له ما طلب.. فنادى الشيخ بصوت عال: توقفوا.. توقفوا.. ابتعدوا عنه.. سأتولى أمره أنا.. أحضروا لي ماء وملحا وسوطا.. وسترون كيف يعود إلى وعيه.

ابتعد الحضور عنه، وذهب بعضهم ليحضر له ما طلب، وفي تلك الأثناء اقترب الشيخ منه، وراح يصيح فيه بصوت عال: أعرفك جيدا أيها الوقح.. لقد كلفك سحرة الصوفية بأن تفسد علي جلستي ككل مرة.. ولن أسكت عنهم ولا عنك، وسترى ما أفعل بك.

كان الشاب يرتجف بشدة، ويصيح طالبا الماء.. أراد بعض الحضور أن يقدمه له، فدفعه الشيخ، وهو يقول: ويلك أتريد أن تسقي الجن ماء عذبا.. نحن لا نسقيهم إلا ماء مالحا ليتعذبوا به.

قال الرجل: أنا لا أرى جنا.. أنا لا أرى أمامي إلا هذا الشاب المسكين.. وأريد أن أقدم له ما طلب.

قل الشيخ: هو الآن ليس الشاب الذي تعرفون.. إنه

---

(2) المرجع السابق، ص12.

مسكون من عفريت من العفاريت.. أعرفه جيدا.. وأعرف البلاد التي جاء منها.. وكم من مرة هممت بحرقه لكنه كان يفر.. إنه يتبعني حيث سرت ليفسد علي توجيهاتي ومواعظي.. لكني اليوم لن أتركه.. إما أن يسلم وإما أن أحرقه.. أحضروا لي بسرعة ماء مالحا شديد الملوحة.. وأحضروا لي سوطا أو عصا أو أي شيء.

قدم له بعض الحاضرين ما طلب، فأخذ يصيح في الشاب: إما أن تخرج يا عدو الله.. وإما أن أسقيك ما يجعلك رمادا.

لم يجد الشاب ما يقول، فأخذ الشيخ العصا، وراح يضربه بها بقوة، وهو يقول: هذا هو جزاؤك يا عدو الله.. في كل مرة تفسد علي مجلسي.. أخبرني من أرسلك من الصوفية إلي..

كان الشاب يتألم، ولا يستطيع الحديث.. وكان الشيخ يضربه بقوة.. ثم يأخذ الماء المالح ويسقيه إياه فيتقيأ الشاب المسكين..

قرأ الشيخ بعض آيات القرآن، ثم قال: تكلم وإلا أحرقتك.. أنت تعلم أني صادق فيما أقول.. أخبرني من أرسلك إلي وإلا أوجعتك ضربا.

بدأ الشاب يستعيد وعيه.. وأخذ ينظر إلى الجموع مستغربا ما يحصل له.. لكن الشيخ لم ير ذلك، بل راح يصيح فيه بقوة: هيا أخبرني من أرسلك من الصوفية لتفسد علي جلستي.

قال الشاب: أنا لا أعرف شيئا.. ما الذي يحصل؟

قال الشيخ: أنت عفريت محتال.. تريد أن تحتال علي ككل مرة لتفر بجلدك.. لن أتركك هذه المرة حتى تخبرني.. انظر إلى هذه العصا ستقطعك إربا إربا إن لم

تخبرني من أرسلك من الصوفية.

قال الشاب: أنا لا أعرف شيئا.. لقد أغمي علي فقــط.. وهذا يحصل لي أحيانا ثم أفيق بعدها.

قال الشيخ: لقد عدت لكذبك.. ولن أرحمك هذه المرة.. أمسكوه.

أمسكه الشباب المحيطون به، فراح الشيخ ينهـال عليـه ضـربا بالعصـا، وهـو يتـألم ألمـا شـديدا، ويقـول: واللـه لا أعــرف شــيئا.. لقــد جئت فقــط إلى هنــا للاســتماع إلى محاضرتك.

قـال الشـيخ، وهـو يضـربه: كـذاب.. لقـد أرسـلك بعض الصوفية لتشوش علي.. أعرف أنك من العفاريت الحمر.. لقد أخـبرني بعض الوسـطاء عن ذلـك.. ولن أدعـك اليـوم حتى تجيبني أو أحرقك.

قال الشاب: والله لا أعرف شيئا.. وأنا إنسي، ولا علاقة لي بالعفاريت.

التفت الشــيخ إلى الحضــور، وقــال: هكــذا العفــاريت دائمــا.. يلجــؤون إلى الكــذب عنــدما تضــيق بهم الســبل.. لكني سأستعمل رقية ابن جبرين.. وســترى كيــف تحولــك يبابا أو سرابا أو رمادا.

قــرأ عليــه بعض آيــات القــرآن، وبعض الأدعيــة، لكن الشاب بقي مستغربا يحاول التنصل، فلا يستطيع.

قال الشـيخ: مـا دامت رقيـة ابن جـبرين لم تـؤثر فيـك، فســأقرك عليــك رقيــة ابن القيم الــتي ذكرهــا في زاد المعاد.. نعم هي للعين، ولكنـه يمكن - كمـا ذكـر لي بعض المشايخ، وقد أجازني في ذلك - أن تطبـق مـع العفـاريت والسحرة، وقد جربت ذلك.

ضرب الشاب سبع ضربات قوية، وكان يقول عند كل ضربة: بسم الله، حبس حابس، وحجر يابس، وشهاب قابس، ردت عين العائن عليه، وعلى أحب الناس إليه، {فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ (3) ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ } [الملك: 3، 4]

وبعد أن انتهى التفت إلى الحضور، وقال: لقد ذكر ابن القيم هذه الرقية في الكتاب الذي خصصه لهدي النبي ﷺ، فقال:( من الرقى التى ترد العين ما ذكر عن أبى عبد الله الساجى، أنه كان فى بعض أسفاره للحج أو الغزو على ناقة فارهة، وكان في الرفقة رجل عائن، قلما نظر إلى شىء إلا أتلفه، قيل لأبى عبد الله: احفظ ناقتك من العائن، فقال: ليس له إلى ناقتى سبيل، فأخبر العائن بقوله، فتحين غيبة أبى عبد الله، فجاء إلى رحله، فنظر إلى الناقة، فاضطربت وسقطت، فجاء أبو عبد الله، فأخبر أن العائن قد عانها، وهى كما ترى، فقال: دلونى عليه. فدل، فوقف عليه، وقال: {فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ (3) ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ } [الملك: 3، 4]، فخرجتْ حَدَقَتا العائنِ، وقامت الناقةُ لا بأسَ بها)(1)

هل رأيتم كيف استطاعت هذه الرقية السلفية العجيبة أن تحيي الناقة؟

التفت إلى الشاب، فوجده لا يزال مصرا على عناده، فقال: ألا تريد أن تخبرني عن الصوفية الذين أرسلوك؟

قال الشاب: صدقني يا شيخ.. والله لا أعرف شيئا.. كل ما في الأمر أني حضرت لأسمع منك.

ضربه الشيخ بقوة، وهو يقول: كاذب أنت.. ككل

---

1) زاد المعاد: 4/174.

العفاريت.. إن لم تجد فيك رقية ابن القيم.. فسأقرأ عليك رقية ابن تيمية.

قرأ عليه الرقية، وضربه أثناءها ضربا مبرحا.. ولكن الشاب لم يدل بأي اعتراف، فأمر الشيخ بأن يحضروا له بعض النار.. فخاف الشاب خوفا شديد، وصاح: سأعترف.. سأعترف بمن أرسلني.

التفت الشيخ إلى الحضور، وهو يقول: أرأيتم.. هكذا هم العفاريت دائما لا يستجيبون إلا بالتخويف.

ثم التفت للشاب، وقال: من أرسلك إلي؟

قال الشاب: أليس الشعراني والغزالي كما ذكرت لنا من الصوفية؟

قال الشيخ: بلى.. بل هما من كبار أصنام الصوفية.

قال الشاب: فهما اللذان أرسلاني إليك.

التفت الشيخ إلى الحضور، وقال: أرأيتم هذين المجرمين.. عندما فطنت لتحريفهما للدين وحذرت منهما صارا يرسلان إلي العفاريت..

ثم التفت إلى الشاب، وقال: وبماذا وعداك إن نفذت مهمتك؟

لم يجد الشاب ما يقول، فأخذ الشيخ في ضربه إلى أن غشي عليه.. وحاول الشيخ بكل جهده أن يوقظه لكن لم يستطع مع أنه قرأ عليه كثيرا من الرقى.. فتركه، وطلب من الحضور إخراجه، فأخرجوه، ثم عاد الشيخ إلى مجلسه، وقال: لا تقلقوا عليه.. لقد غادره العفريت.. لكنه يحتاج إلى بعض الوقت ليفيق.

تعجب الحضور من الشيخ، وقال بعض الشباب: لم نكن

نعلم يا شيخ أنك تعرف مثل هذه الأمور.

قال الشيخ: هذا من بركات شيخ الإسلام ابن تيمية ومشايخ السلفية الذين وفقني الله للتلمذ على أيديهم.

قال آخر: ولكن يا شيخ ألا ترى أنك ضربته ضربا مبرحا شديدا.. وقد يؤثر ذلك في صحته؟

قال الشيخ: ويلك.. أنا لم أكن أضربه.. بل كنت أضرب العفريت الذي كان يسكنه.. وقد أجاز مشايخنا استعمال هذه الوسيلة.. حيث فعلها شيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، وذكره الشبلي وابن مفلح والعلامة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز وفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، وفضيلة الشيخ أبو بكر الجزائري وغيرهم كثير.

أما شيخ الإسلام ابن تيمية، فقد ذكر ذلك في مواضع كثيرة من كتبه، منها قوله: ( لكن ينصر بالعدل كما أمر الله ورسوله ﷺ، ويجوز في ذلك ما يجوز مثله في حق الإنسي، مثل أن يحتاج إلى انتهار الجني وتهديده ولعنه وسبه)(1)

وقال: ( ولهذا قد يحتاج في إبراء المصروع ودفع الجن عنه إلى الضرب، فيضرب ضربا كثيرا جدا، والضرب إنما يقع على الجني، ولا يحس به المصروع حتى يفيق المصروع، ويخبر أنه لم يحس بشيء من ذلك، ولا يؤثر في بدنه، ويكون قد ضرب بعصا قوية على رجليه نحو ثلاثمائة أو أربعمائة ضربة وأكثر وأقل، بحيث لو كان على الإنسي لقتله، وإنما هو على الجني والجني يصيح ويصرخ، ويحدث الحاضرين بأمور متعددة كما قد فعلنا نحن هذا وجربنا مرات كثيرة يطول وصفها بحضرة خلق كثيرين)

---

1) مجموع الفتاوى – 19 / 50.

(1)

وقال: ( وإذا ضرب بدن الإنسي؛ فإن الجني يتألم بالضرب ويصيح ويصرخ ويخرج منه ألم الضرب، كما قد جرب الناس من ذلك ما لا يحصى، ونحن قد فعلنا من ذلك ما يطول وصفه)(2)

وقال: ( فإنه يصرع الرجل ؛ فيتكلم بلسان لا يعرف معناه، ويضرب على بدنه ضرباً عظيماً لو ضرب به جمل لأثَّر به أثراً عظيماً، والمصروع مع هذا لا يحس بالضرب، ولا بالكلام الذي يقوله)(3)

وقد حكى ابن مفلح – وهو تلميذ لشيخ الإسلام– فقال: ( كان شيخنا – يعني شيخ الإسلام ابن تيمية – إذا أتي بالمصروع وعظ من صرعه وأمره ونهاه، فإذا انتهى وفارق المصروع أخذ عليه العهد أن لا يعود، وإن لم يأتمر ولم ينته ولم يفارق ؛ ضربه حتى يفارقه )(4)

وقد كان هذا سنة سلفنا الصالح، فقد قال القاضي أبو الحسن بن أبي يعلى بن الفراء الحنبلي: سمعت أحمد بن عبيد الله قال : سمعت أبا الحسن علي بن علي بن أحمد بن علي العكبري قدم علينا من عكبرا في ذي القعدة سنة اثنتين وثلاثمائة قال : حدثني أبي عن جدي قال : كنت في مسجد أبي عبدالله أحمد ابن حنبل، فأنفذ إليه المتوكل صاحبا له يعلمه أن له جارية بها صرع وسأله أن يدعو الله لها بالعافية، فأخرج له أحمد نعلي خشب

---

1) مجموع الفتاوى - 19 / 60.

2) مجموع الفتاوى - 10 / 349.

3) مجموع الفتاوى - 24 / 277.

4) الفروع – 1 / 607.

بشراك من خوص للوضوء فدفعه إلى صاحب له وقال له : امض إلى دار أمير المؤمنين وتجلس عند رأس هذه الجارية وتقول له - يعني للجني - قال لك أحمد : أيما أحب إليك تخرج من هذه الجارية أو تصفع بهذه النعل سبعين، فمضى إليه وقال له مثل ما قال الإمام أحمد، فقال له المارد على لسان الجارية : السمع والطاعة لو أمرنا أحمد أن لا نقيم بالعراق ما أقمنا به.. وخرج من الجارية.. وهدأت ورزقت أولادا، فلما مات أحمد عاودها المارد فأنفذ المتوكل إلى صاحبه أبي بكر المروزي وعرفه الحال.. فأخذ المروزي النعل ومضى إلى الجارية فكلمه العفريت على لسانها : لا أخرج من هذه الجارية ولا أطيعك ولا أقبل منك، أحمد بن حنبل أطاع الله فأمرنا بطاعته)(1)

قال أحد الحاضرين: ولكن ألا ترى يا شيخ أن فتح هذا الباب سيؤدي إلى مفاسد عظيمة؟

قال الشيخ: أجل.. صدقت.. ولهذا حذر مشايخنا من لا يعرف الرقية معرفة جيدة، أو يجاز فيها من مشايخ معتبرين أن يمارسها حتى لا يهلك الخلق بها.. وقد سئل فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز عن جواز الضرب والخنق والتحدث مع الجن لمن يعالج المرضى بقراءة القرآن ؟ فأجاب : ( هذا قد وقع شيء منه من بعض العلماء السابقين مثل شيخ الإسلام ابن تيمية – يرحمه الله تعالى – فقد كان يخاطب الجني ويخنقه ويضربه حتى يخرج، وأما المبالغة في هذه الأمور مما نسمعه عن بعض القراء فلا وجه لها )(2)

وقال: ( يجب الحذر كل الحذر من مسألة الضرب فهي

---

1) أحكام الجان - نقلا عن طبقات أصحاب الإمام أحمد - ص 152.

2) الدعوة – العدد 1456- فتاوى العلاج بالقرآن والسنة - ص 69.

مسألة خطيرة يترتب عليها آثار خطيرة خصوصا إذا لجأ إليها من لا يعرف استخدام الضرب.. فقد يضرب المصروع على أن به جن وما به جن فيقع الضرب على بدن الآدمي وينتج عن ذلك أمور خطيرة. وقد يضرب المريض في أماكن خطيرة، إلى غير ذلك من المحاذير، وقد بالغ بعض القراء في مسألة الضرب وبعضهم يستخدم الصعق الكهربائي وهذا خطأ.. والحاصل أن مسألة الضرب تحتاج إلى مقياس ومعرفة بحيث يعرف متى يضرب وأين يضرب ومقدار الضرب وهل هو محتاج إليه ؟ إلى غير ذلك من القيود والضوابط )(1)

وقال الأستاذ وائل آل درويش : ( والحاصل أنه يؤمر – يعني الجني الصارع – بالمعروف وينهى عن المنكر فتبدأ معه بالترغيب والترهيب والنصح والإرشاد والعلم والتعريف ثم الزجر ثم قد يصل الأمر إلى الضرب والعقاب ثم الحرق بآيات الكتاب، إلا أنه ينبغي أن يتفطن المعالِج فلا يستخدم الضرب إلا عن بصيرة وقلب حاضر ونظر ثاقب، إذ من الجن من يفر ويهرب، وقد يترك الجسم ويخرج عند نزول الضرب عليه، فيقع الضرب على المريض فيشعر به، وهذا واقع مشاهد )(2)

قال بعض الحضور: ولكني قرأت لبعض الأطباء من المسلمين أنه ينكر هذا.. وهو الدكتور محمد بن عبدالله الصغير، وهو استشاري في الطب النفسي، فقد ذكر أنه (لا أحد يستطيع أن يجزم جزماً قاطعاً أن الضرب لا يقع على جسد هذا المريض وإنما يقع على الجان، وليس في ذلك إلا غلبة الظن التي كثيراً ما تخطئ ويقع ضحيتها

1) فتح الحق المبين في علاج الصرع والسحر والعين – ص 133.

2) منة الرحمن في العلاج بالقرآن – ص 44، 45.

أناس مرضى مساكين) (3)

وذكر أن (حادثة واحدة وقعت لشيخ الإسلام - رحمه الله - لا ينبغي أن تجعل شرعاً وسنة يؤدي على ضوئها عدد غفير من المرضى المساكين)

وذكر أنه (إذا لم يُجد مع المريض الرقية الشرعية وحدها، واحتاج الراقي أن يضم إليها شيئاً من أنواع العلاجات فالأولى والأحكم أن يطلب أن يضم إليها شيئاً من العلاجات الطبية الحديثة التي جُربت ونفعت بإذن الله.. فقد ثبت بالتجربة والمشاهدة أن كثيراً من المرضى الذين ليس فيهم جن إذا ضربوا ضرباً مبرحاً خاصة إذا كانوا مربوطين ولايستطيعون التخلص فإذا الواحد منهم سرعان ما يقول بلسان نفسه إنه جني ويعاهد على الخروج من أي مكان يريد القارئ، وهدفه أن يتخلص من الضرب الشديد الذي صار أشد عليه من أن يقال له مجنون)

وذكر أنه (هناك أمراض نفسية عصبية – أنواع من الهستيريا التحولية – يحصل فيها فقد تام أو شبه تام للإحساس بالألم والحرارة وسائرأنواع الإحساس، بحيث قد لا يحس المريض حتى بأشد أنواع الضرب)

غضب الشيخ غضبا شديد، وقال – والانفعال باد على وجهه، وهو يحاول إخفاءه - : إن الكلام الذي ذكرته يريد أن يلغي الأمر من أساسه..، واعتقادي الجازم بأن الدكتور قد حكم بهذا الحكم في استخدام هذا الأسلوب بناء على المآسي التي نراها ونسمعها على الساحة اليوم من أخطاء لبعض المعالجين بلغت حداً يفوق الوصف

---

3) هذا النص وما بعده من كتاب (توعية المرضى بأمور التداوي والرقى) – باختصار – ص 44.

والتصور، بل قد أدى في بعض حالاته إلى الوفاة.. وقد يعذر الدكتور الفاضل من هذا الجانب، ولكنني أقول بأن هذا العلم له قواعد ومرتكزات رئيسة، ووقوع بعض الأخطاء من قبل بعض المعالجين الجهلة لا يعني مطلقاً أن نلغي وبشكل عام بعض الاستخدامات الحسية النافعة بعد أن تضبط ضبطاً محكماً من قبل المعالِج الحاذق المتمرس الذي يعلم أين وكيف ومتى يستخدم هذا الأسلوب دون إيقاع أي ضرر بالمريض، مع مراعاة المسؤولية الطبية في كافة مراحل العلاج.. وكافة النقاط التي أشار إليها الدكتور الفاضل يمكن الرد عليها وإعطاء وجهة نظر مغايرة لما ذكر.

فدعواه مثلا بعدم فائدة الضرب إن لم تنفع الرقية الشرعية فيه نظر حيث أن الجمع في الاستشفاء والعلاج بين الاستخدامات الشرعية والحسية أمر مطلوب وكل له تأثير ومفعول بإذن الله تعالى.

وأما قوله بأنه لا يستطيع المعالِج الجزم القاطع بأن الضرب لا يقع على جسد المريض وإنما يقع على الجان، فقد ذكرت لكم بأن الحديث خاص بالمعالجين السنيين السلفيين الحاذقين المتمرسين.. ولا نقصد الجهلة أو المبتدعة مطلقاً، هذا من جهة ومن جهة أخرى فقد أكدت أن استخدام هذا الأسلوب - أعني الضرب - لا بد أن يكون وفق قاعدة تحمل المسؤولية الطبية من قبل المعالِج بحيث لا يؤدي بأي حال من الأحوال لإيذاء المرضى والمصابين بصرع الأرواح الخبيثة.

أما قوله بأن حادثة واحدة وقعت لشيخ الإسلام لا ينبغي أن تجعل شرعاً وسنة يؤذى على ضوئها عدد غفير من المرضى المساكين، فهذا الكلام فيه نظر، فشيخ الإسلام عَلَمٌ من أعلام الأمة ولن نكون حريصين بأي حال من الأحوال على هذا الدين وهذه العقيدة كما هو الحال معه -

رحمه الله - وهو من أهـل الاجتهـاد والاسـتنباط والقيـاس والاستقراء، لا سيما أننا نتحدث في أمور حسية ليست لها علاقة بالأسباب الشرعية..

أما قوله أنه إذا لم يُجـدِ مـع المـريض الرقيـة الشـرعية وحـدها واحتـاج الـراقي أن يضـم إليهـا شـيئاً من أنـواع العلاجات فالأولى والأحكم أن يطلب أن يضـم إليهـا شـيئاً من العلاجات الطبية الحديثـة، هـذا الكلام لا يقـدح في أن يضم المعالِج المتمرس الحاذق صـاحب الصـنعة والحرفـة هذا الأسلوب - أعني الضرب - في العلاج والاستشفاء مـع الأخذ بعين الاعتبار تحقيق المسؤولية الطبية وعـدم إيـذاء المريض بدنياً أو نفسياً..

أمـا قولـه أنـه ثبت بالتجربـة والمشـاهدة أن كثـيراً من المرضـى الـذين ليس فيهم جن إذا ضـربوا ضـرباً مبرحـاً سرعان ما يقول المريض بلسان نفسـه إنـه جـني ويعاهـد على الخروج، فالتجربة والمشاهدة التي يقصـدها الـدكتور الفاضل هي لحفنـة من جهلـة المعـالجين الـذين ليس لهم كبير جولة، ولا قـوي صـولة، بـل لا يفرقـون بين الأمـراض العضوية والنفسية والأمـراض الروحيـة، وهـؤلاء لا أعـنيهم مطلقاً، فالواجب أن يؤخذ هذا العلم بأسـاليبه وممارسـاته المنضـبطة بالشـرع والمحافِظَـةُ على سـلامة المرضـى النفسـية والبدنيـة من أصـحاب هـذه الصـنعة الحـاذقين المتمرسين فيها.

***

بعد أن وصل الحديث إلى هـذا الحـد وصـلنا إلى محطـة أخرى لنستريح، لكني لم أستطع أن أنزل، فقد خشيت أن أسمع ما يملؤني حزنا وأسى، فبقيت في مجلسي، وأنـا لا أدري هل أتبع ما يمليه علي عقلي .. أم أتبع ما يمليه علي عقل ربيع.

بعد أن انتهت الاستراحة، وركب الركاب الحافلة، وقد نقص منهم نفر كما في المرات السابقة.. أخرج السائق شريطا جديدا، ثم قال: بعد أن نلتم حظكم من الراحة اسمحوا لنا أن نضع شريطا آخر.. يبين لكم مدى حرصنا على السنة والسلف.. ومدى بغضنا وحقدنا لا على المبتدعة فقط، بل على كل من يقف منهم موقفا إيجابيا مهما كانت بساطته.. فقد علمنا سلفنا الصالح ألا نتسامح مع أهل البدع مهما كان.. ولهذا فإن فيما ستشاهدونه في الفيديو بعض المشاهد القاسية، فلا ينبغي أن تأخذكم رأفة ورحمة في المبتدعة حتى لا تلتحقوا بهم.. فمن رحم مبتدعا حشر معه.

قال ذلك، ثم أدخل الشريط.. ليبدو مشهد لغابة اجتمع فيها جمع كبير من الناس، وكان أمامهم مجموعة من الأقفاص وضع في كل قفص بعض الشيوخ والشباب، وقد ألبسوا ثيابا أرجوانية من مثل تلك الثياب التي تقام على من يحكم عليهم بالإعدام.

ويقابل تلك الأقفاص كرسي قد جلس عليه شيخ كبير ذو لحية طويلة، وأمامه طاولة صغيرة، أمامها مطرقة.

بدأ الشيخ الحديث بقوله [1]: معشر الحضور الكرام.. لقد عقدنا بفضل الله وعونه هذه الجلسة في هذه الدولة المباركة، لإقامة حكم الله في أهل التمييع.. المرجئة الجدد.. الذين يأتون إلى أصول الإسلام يميعونها، ويرققونها، ويهونون من شأنها، بل يحاربونها.. ويسمون منهج السلف، ووقُوف أهله في وجه أهل البدع، والذب عن السنة.. يسمونه شدة

---

1) هذا الكلام منقول بتصرف من شريط لربيع المدخلي بعنوان: ( هل الجرح والتعديل خاص برواة الحديث؟)

وتشددا وغلوا.. كذبـــــوا.. وأفــكوا.. و الله الذي لا إله إلا هو لايوجد شدة الآن في السلفيين المسـاكين.. ومهمـا تشـدد السـلفيون في مواجهـة الباطـل والبـدع لا يبلغـون عُشر معشار ما كان عليـه السـلف من الشـدة على أهـل البـــدع لدرجــــة أنهم يــــأمرون بقتلهم.. ويطـــاردونهم.. ويهجــرونهم.. ويضــربونهم.. ويــذلونهم.. نحن الســلفيين المعاصرين ما عندنا شيء.. مساكين..

ولكن بحمـد اللـه، وبعـد أن أتـاح اللـه لنـا هـذه الدولـة الكريمة التي أعادت إحياء شريعة الله وفق منهج السلف، فسـنعود إلى مـا كـان عليـه سـلفنا الأول.. لن تأخـذنا في المبتدعـة، ولا فيمن يـواليهم رأفـة ولا رحمـة.. وسـنطبق عليهم أشد العقوبات.

ولكنا مع ذلـك.. ورعايـة للعـدل الـذي جـاء بـه القـرآن، وطبقــه نبينــا ﷺ.. وطبقــه ســلفنا الصــالح من الخلفــاء والأمراء والملوك سنقيم محاكمة عادلة لهؤلاء المميعين.

ومن تـرون أمـامكم في الأقفـاص هم المتهمـون، وقـد فرقناهم بحسب المشـايخ الـذين ينتمـون إليهم، ويـدعون لهم، فبعضهم ينتمي لابن باز.. وبعضـهم لربيـع المـدخلي.. وبعضهم لابن عثيمين.. وبعضهم للألباني..

وســنبدأ بمحكامــة أتبــاع ابن بــاز من المميعين لمنهج السلف(1).. فابن باز – كما تعلمون - من الســلفيين ولكن مشكلته أنه - بحكم المناصب الكثيرة التي تقلـدها - صـار من المميعين المرجــئين.. ولهــذا وقــع في توقــير بعض المبتدعـة وخصوصـا الأشـاعرة الـذين ينفـون علـو البـاري

1) رجعنا في بيان موقف هؤلاء المتشددين إلى كتاب (مِنْ مُخَالفَاتِ الخَلَفِ لما كَانَ عَلَيْهِ السَلَف)، لإبْـرَاهِيمُ بنُ رَجَـا بنُ شِـقِاحِيّ الشّـمّريّ، وهـو من السلفية الحدادية.. وهي تتفق مـع كـل أصـناف السـلفية، ولكنهـا تـرفض مجاملة الآخر، وتعتبر ذلك إرجاء.. وما سنذكره هنا نموذج عنها.

ويحرفون الصفات.. ويتخبطون في باب القدر سالكين فيها لمسالك الجبرية.. ويناصرون أقوال القبورية في شد الرحال والتبرك ونحو هذا من مسائل عقدية!.. وذلك مع إلتزامه أيضا لرد إجماع أهل العلم في تكفير الأشعرية..

وسأبدأ الجلسة بدعوة المدعي للتقدم ليذكر تهمه وأدلته عليها.

قام رجل من الحاضرين هو أشبه الناس بأبي بكر البغدادي، وراح يقول: لقد أحضرت - سيدي القاضي – كل الوثائق المثبتة لما أدعيه.. ولذلك لن أبدأ دعواي إلا بعد سوق البينة.. هكذا تقتضي العدالة.

قلب بعض الملفات، ثم قال: لقد سئل ابن باز -كما في فتوى منشورة في موقعه-: هل الأشاعرة من أهل السنة والجماعة أم لا؟ وهل نحكم عليهم من المذهب أنهم كفار؟ فأجاب: (الأشاعرة من أهل السنة في غالب الأمور، ولكنهم ليسوا منهم في تأويل الصفات، وليسوا بكفار، بل فيهم الأئمة والعلماء والأخيار.. ولكنهم غلطوا في تأويل بعض الصفات.. فهم خالفوا أهل السنة في مسائل منها تأويل غالب الصفات، وقد أخطأوا في تأويلها، والذي عليه أهل السنة والجماعة إمرار آيات الصفات وأحاديثها كما جاءت)

قال القاضي: فما الذي تنكره عليهم في هذا القول؟

قال المدعي: هذا الكلام مخالف لطريقة أهل الحديث في التعامل مع المبتدعة، ومخالف لقولهم في الأشعرية، فإن أهل السنة مجمعون على تكفيرهم، بل ومجمعون على تكفير من لم يكفرهم، كما قال أبو عبدالله ابن بطة العكبري في (الإبانة الكبرى): (اعلموا رحمكم الله أن صنفا من الجهمية اعتقدوا بمكر قلوبهم، وخبث آرائهم، وقبيح أهوائهم، أن القرآن مخلوق، فكنوا عن ذلك ببدعة

اخترعوها، تمويها وبهرجة على العامة، ليخفى كفرهم، ويستغمض إلحادهم على من قل علمه، وضعفت نحيزته، فقالوا: (إن القرآن الذي تكلم الله به وقاله، فهو كلام الله غير مخلوق، وهذا الذي نتلوه ونقرؤه بألسنتنا، ونكتبه في مصاحفنا ليس هو القرآن الذي هو كلام الله، هذا حكاية لذلك، فما نقرؤه نحن حكاية لذلك القرآن بألفاظنا نحن، وألفاظنا به مخلوقة).. فدققوا في كفرهم، واحتالوا لإدخال الكفر على العامة بأغمض مسلك، وأدق مذهب، وأخفى وجه، فلم يخف ذلك بحمد الله ومنه وحسن توفيقه على جهابذة العلماء والنقاد العقلاء، حتى بهرجوا ما دلسوا، وكشفوا القناع عن قبيح ما ستروه، فظهر للخاصة والعامة كفرهم وإلحادهم)(1)

وقال أبو القاسم اللالكائي في (شرح أصول اعتقاد أهل السنة): سياق ما دل من الآيات من كتاب الله تعالى، وما روي عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين على أن القرآن تكلم الله به على الحقيقة، وأنه أنزله على محمد ﷺ، وأمره أن يتحدى به، وأن يدعو الناس إليه، وأنه القرآن على الحقيقة. متلو في المحاريب، مكتوب في المصاحف، محفوظ في صدور الرجال، ليس بحكاية ولا عبارة عن قرآن، وهو قرآن واحد غير مخلوق وغير مجعول ومربوب، بل هو صفة من صفات ذاته، لم يزل به متكلما، ومن قال غير هذا فهو كافر ضال مضل مبتدع مخالف لمذاهب السنة والجماعة)(2)

وقد حكى حرب الكرماني وأبو عبدالله ابن بطة وغيرهما الإجماع على تكفير اللفظية، بل وتكفير من لم يكفرهم.

---

1) الإبانة الكبرى لابن بطة (5/ 317)

2) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (ص: 330)

وقد قال أبو عبد الله ابن منده: (ليتق امرؤ، وليعتبر عن تقدم ممن كان القول باللفظ مذهبه ومقالته؛ كيف خرج من الدنيا مهجورا مذموما مطرودا من المجالس والبلدان لاعتقاده القبيح؟! وقوله الشنيع المخالف لدين الله مثل: الكرابيسي، والشواط، وابن كلاب، وابن الأشعري، وأمثالهم ممن كان الجدال والكلام طريقه في دين الله عز وجل)

وقال الهروي الأنصاري في كتابه (ذم الكلام): (رأيت يحيى بن عمار ما لا أحصي من مرة على منبره يكفرهم ويلعنهم، ويشهد على أبي الحسن الأشعري بالزندقة، وكذلك رأيت عمر بن إبراهيم ومشائخنا)

وقال ابن الحنبلي في رسالته: (الجهمية -لعنهم الله- أصناف مختلفة فمنهم من يقول القرآن ليس هو كلام الله ولا هو مخلوق.. ومنهم من يقول: إنه حكاية عن ذلك القرآن.. ومنهم من يقول ألفاظنا بالقرآن مخلوقة.. ومنهم من يقول القرآن بألفاظنا مخلوق.. ومنهم من يقول لا يكفر هؤلاء بل يسكت عنهم.. فهؤلاء الأصناف كلها هم الجهمية وهم كفار زنادقة حلال القتل.. ومن لم يكفر هؤلاء الأصناف كلها فهو كافر زنديق حلال القتل)

وبناء على هذا، فقول ابن باز عن الأشاعرة أنهم (ليسوا بكفار، بل فيهم الأئمة والعلماء والأخيار) غلط عظيم! وتوقير لأعداء الدين، وقد قال محمد بن عبد الوهاب في (مفيد المستفيد): (قال الإمام الحافظ محمد بن وضاح: أخبرني غير واحد، أن أسد بن موسى كتب إلى أسد بن الفرات: (اعلم يا أخي، أن ما حملني على الكتاب إليك، إلا ما ذكر أهل بلدك، من صالح ما أعطاك الله، من إنصافك الناس، وحسن حالك مما أظهرت من السنة، وعيبك لأهل البدع، وكثرة ذكرك لهم، وطعنك عليهم، فقمعهم الله بك، وشد بك ظهر أهل السنة، وقواك عليهم

بإظهار عيبهم، والطعن عليهم، فأذلهم الله بيدك، وصاروا ببدعتهم مستترين.. فأبشر يا أخي بثواب ذلك، واعتد به من أفضل حسناتك، من الصلاة والصيام، والحج والجهاد، وأين تقع هذه الأعمال، من إقامة كتاب الله، وإحياء سنة رسوله ﷺ.. وإياك أن يكون لك من أهل البدع أخ، أو جليس، أو صاحب، فإنه جاء في الأثر: (من جالس صاحب بدعة نزعت منه العصمة، ووكل إلى نفسه)، و(من مشى إلى صاحب بدعة، مشى في هدم الإسلام)، وجاء: (ما من إله يعبد من دون الله، أبغض إلى الله، من صاحب هوى)، وقد وقعت اللعنة من رسول الله ﷺ على أهل البدع، وأن الله لا يقبل منهم صرفا ولا عدلا، ولا فريضة ولا تطوعا، وكلما زادوا اجتهادا وصوما وصلاة، ازدادوا من الله بعدا، فارفض مجالسهم، وأذلهم وأبعدهم كما أبعدهم الله، وأذلهم رسول الله ﷺ وأئمة الهدى بعده)

آه ليت شيخنا محمد بن عبد الوهاب كان حاضرا ليرى المياعة التي تحول إليها من يزعمون أنهم أتباعه..

قام المحامي، وقال: ائذن لي – حضرة القاضي – أن أجيبه.

أذن له القاضي، فقام، وقال: أظن أن المدعي لم يطلع على كل ما كتبه الشيخ عبدالعزيز بن باز.. وقد اقتصر على كلمات قالها في محفل من المحافل من باب المجاملة، لا من باب الحقيقة، وإلا فإن الشيخ ابن باز من أكثر الناس تشددا مع المبتدعة جميعا، بما فيهم الأشاعرة، وقد قال في فتوى صوتية له: (الأشاعرة من أهل البدع، عندهم بدع كثيرة فليسوا من أهل السنة، لكنهم وافقوا أهل السنة في بعض الأشياء)

قام المدعي غاضبا، وهو يقول: ألا ترى – حضرة القاضي- مدى الاضطراب الذي تعاني منه هذه الطائفة

المارقـة الظـاهرة في ضـلالها.. وهـو دليـل على عـدم رسـوخها في مـذهب السـلف.. وقـد سـئل عبـد الوهـاب الوراق عمن لا يكفر الجهمية؟ فقال: (لا يصلي خلفه هـذا ضـال مضـل متهم على الإسـلام)، والأشـاعرة المتـأخرون ليسوا جهمية فقط، بل هم من أشـد الجهميـة كفـرا، فـإن نفـاة العلـو هم الغلاة في التجهم، كمـا قـال الحسـن بن موسـى الأشـيب: (الجهمي إذا غلا، قـال ليس ثم شـيء)، وأشار الأشيب إلى السماء.

وقال ابن خزيمة: (من لم يقل إن اللـه فـوق سـماواته، على عرشه، بائن من خلقه، وجب أن يستتاب، فإن تـاب، وإلا ضربت عنقه، ثم ألقي في مزبلة)

التفت إلى الحضور، وقـال: قـارنوا – معاشـر السـلفيين المحترمين - بين أقوال أهل العلم في منكري العلو، وبين صنيع ابن باز لما علق على قول ابن حجر في فتحه: (فيـه الرد على من زعم أنه على العرش بذاته).. فقـال: (ليس في الحديث المذكور رد على من أثبت استواء الـرب على عرشه بذاته)

وكذلك لما وقف على قول ابن حجـر (لا يتوجـه عليـه – سبحانه- في وجوده أين وحيث) فقد علق قائلا: (الصـواب عند أهل السنة وصف لله بأنه في جهة العلو)

وكذلك لما وقف على قول ابن حجر (لفظ الصوت ممـا يتوقـف في إطلاق نسـبته إلى الـرب) قـال: ليس الأمـر كذلك بل إطلاق الصوت على كلام الله سبحانه قد ثبت.

والحق أن من لم يثبت الصوت للباري فهو جهمي، كمـا قـال بعضـهم أمـام الإمـام أحمـد: (من زعم أن اللـه كلم موسى بلا صوت، فهو جهمي، عدو للـه، وعـدو للإسـلام)، فتبسم أبو عبد الله، وقال: (ما أحسن ما قال! عافاه الله)

ونقل عبد الله عن والده الإمام أحمد قوله عن الصوت: (الجهمية تنكره، وهؤلاء كفار، يريدون أن يموهوا على الناس، من زعم أن الله لم يتكلم، فهو كافر; إنما نروي هذه الأحاديث كما جاءت)

قلب بعض الملفات، ثم أخذ واحدا منها، وقال: ليس هذا فقط ما قام به ابن باز من تمييع المذهب السلفي.. تصوروا الطامة التي وقع فيها..

نظر إلى الملف، ثم قال: انظروا ماذا قال هو ومن معه من أعضاء ما تسمي نفسها (هيئة كبار العلماء)، لقد قال: (موقفنا من أبي بكر الباقلاني والبيهقي وأبي الفرج بن الجوزي وأبي زكريا النووي وابن حجر وأمثالهم ممن تأول بعض صفات الله تعالى أو فوضوا في أصل معناها أنهم في نظرنا من كبار علماء المسلمين الذين نفع الله الأمة بعلمهم فرحمهم الله رحمة واسعة وجزاهم عنا خير الجزاء وأنهم من أهل السنة فيما وافقوا فيه الصحابة رضي الله عنهم وأئمة السلف في القرون الثلاثة التي شهد لها النبي ﷺ بالخير، وأنهم أخطؤوا فيما تأولوه من نصوص الصفات وخالفوا فيه سلف الأمة وأئمة السنة رحمهم الله تعالى سواء تأولوا الصفات الذاتية وصفات الأفعال أم بعض ذلك، وبالله التوفيق)

انظروا – عافاكم الله من البلاء- إلى قولهم عن نفاة العلو للعلي القهار (من كبار علماء المسلمين الذين نفع الله الأمة بعلمهم فرحمهم الله رحمة واسعة)!! واستحضروا جيدا قول ابن سحمان في كشف الشبهتين: (فهذا التلطف والشفقة والرحمة لا يجوز أن يعامل بها من ينكر علو الله على خلقه، ويعطل أسماءه وصفاته، بل يعامل بالغلظة والشدة والمعاداة الظاهرة)

وبإسناده عن بعض السلف قال: (من أتى صاحب بدعة

ليوقره فقد أعان على هدم الإسلام)

وعن آخـر: (تقربـوا إلى اللـه ببغض أهـل المعاصـي، والقـوهم بوجـوه مكفهـرة، والتمسـوا رضـى اللـه عنكم بسخطهم)

أمـا الجهميـة والأشـاعرة ومن لحـق بهم أو لم ينكـر عليهم.. فـالرفق بهم، والشـفقة عليهم، والإحسـان، والتلطف، والصـبر، والرحمـة، والتبشـير لهم، ممـا ينـافي الإيمان، ويوقع في سخط الرحمن، لأن الحجة بلغتهم منـذ أزمان.

انظروا جيدا الفرق بين هؤلاء المميعين وبين قول حمود التويجري –رحمه الله تعـالى- في (ذيـل الصـواعق)، فقـد قال: (لا ينبغي تسمية أعداء الله باسـم العلمـاء، لأن هـذه التسمية لا تليق بهم، ولا تطابق حالهم)

قـام المحـامي، وقـال: اسـمح لي حضـرة القاضـي أن أعقب على هذه النقطة..

أذن لـه القاضـي، فقلت بعض الصـفحات من ملـف يحمله، ونظر إليها، ثم قال: سيدي القاضي.. إن ابن باز لا يخفى عليه أن نفي العلو كفر وردة.. وقد قال في شـرحه للحموية: (من أنكر أن اللـه في السـماء أو أن اللـه فـوق العرش فقـد كفـر.. هـذا إجمـاع أهـل السـنة والجماعـة)، وقال في شرحه لكشف الشبهات: (الحاصـل أن الإنسـان إذا أتى بكفر قولي أو فعلي أو قلبي من شك ونحـوه كفـر حتى لو قال أنا أشهد أن لا إله إلا الله لكن عندي شك هل الجنـة حـق.. أو شـك في أن اللـه في السـماء أو فـوق العـرش أو مـا هـو فـوق العـرش يكفـر لأنـه مكـذب للـه ولرسوله)

وقال في فتوى صوتية له لما سئل عن: حكم من خـدم

السنة وشرح كتب السنة لكنه أنكر صفة من صـفات اللـه كالعلو؟ فقال ابن باز: هـذا مكـذب بـالقرآن! من يقـل إن الله في كل مكان فهو يكذب بـالقرآن، اللـه تعـالى يقـول {الرحمن على العرش استوى} ويقول {إليه يصعد الكلم الطيب} هذا مكذب بالقرآن.. ثم سئل: هـل يكفـر بعينـه؟ فقال: ما فيه شك! بعينه)

قـال القاضـي للمحـامي: هـا أنت تـراه يصـرح بكفـر الأشاعرة، الذين ينكرون العلو.. فما تقول؟

قال المدعي: اسمعني جيدا سيدي القاضي، واسمعوني معاشر الحضور.. أنا لا أنكر أن ابن باز وهيئة كبار العلمـاء بل كل السلفيين في العالم يتفقون معنا على هذا.. ولكنـا ننكـر عليهم التمـييع.. لقـد قـال ابن بطـة في (الإبانـة الصغرى)، والتي حكى عليها إجماع السلف: (ومن السنة: مجانبة كل من اعتقد شيئا مما ذكرناه، وهجرانـه، والمقت له، وهجـران من والاه ونصـره، وذب عنـه، وصـاحبه، وإن كان الفاعل لذلك يظهر السنة)

وابن باز ولا يخفى عليـه أن الرجـل لا يصـير سـنيا حـتى يعتقد السنة ويتبرأ ممن خالفها من الفرق! فقد قـال كمـا في فتوى له ولمن معـه في اللجنـة: (من كـان يـدعو إلى كتـاب اللـه تعـالى وإلى مـا ثبت عن رسـول اللـه ﷺ من الأحاديث، ويعمل بذلك في نفسـه، وينكـر مـا خـالف ذلـك ويجتهد في إزالة مـا أحـدث من البـدع، ويتعـاون مـع أهـل السنة ويواليهم ويعادي أهل البدع وينكر عليهم ما ابتدعوه في الإسـلام على بينـة وبصـيرة - فهـو من أهـل السـنة والجماعة)، ومع هذا كله فـابن حجـر عنـده وعنـد أصـحابه (من كبار علماء المسلمين الـذين نفـع اللـه الأمـة بعلمهم فرحمهم الله رحمة واسعة).. هذا وقد قال البربهـاري في شرح السنة التي قال عنها: (جميع ما وصفت لك في هـذا الكتاب فهو عن الله تعالى وعن رسـوله ﷺ وعن التـابعين

وعن القرن الثالث إلى القرن الرابع، قال –رحمه الله تعالى- فيها: (إذا رأيت الرجل يجلس مع أهل الأهواء فاحذره واعرفه، فإن جلس معه بعدما علم فاتقه فإنه صاحب هوى)، وقال إمامنا أحمد بن حنبل لما سأله أبو داود: أرى رجلا من أهل السنة مع رجل من أهل البدعة، أترك كلامه؟ فقال –رحمه الله تعالى-: (لا أو تعلمه أن الرجل الذي رأيته معه صاحب بدعة فإن ترك كلامه فكلمه وإلا فألحقه)

قال المحامي: ولكن ابن باز يردد نفس الكلام.. فقد قال لما سئل في شرح فضل الإسلام: الذي يثني على أهل البدع ويمدحهم هل يلحق بهم؟ فأجاب: (نعم ما فيه شك من أثنى عليهم ومدحهم وهو داع إليهم، هو من دعاتهم)

وقال في شرح كتاب التوحيد: (الذي يؤوي أهل البدع والمعاصي وينصرهم يكون ملعونا والعياذ بالله )

قال المدعي: هذا مجرد كلام.. لكنه في مواضع أخرى كثيرة يخالفه مخالفة صريحة..

انظروا ماذا قال في الباقلاني الجهمي الأشعري الكافر.. لقد اعتبره (من كبار علماء المسلمين الذين نفع الله الأمة بعلمهم)، وهو يصادم في ذلك قول المتقدمين الذين خبروا حال هذا الرجل وبينوا حاله وضلاله، فقد قال أبو بكر الزاذقاني: كنت في درس الشيخ أبي حامد الإسفرايني، وكان ينهي أصحابه عن الكلام، وعن الدخول على الباقلاني؛ فبلغه أن نفرا من أصحابه يدخلون عليه خفية لقراءة الكلام؛ فظن أني معهم ومنهم؛ فقال لي: يا بني، قد بلغني أنك تدخل على هذا الرجل - يعني الباقلاني- فإياك وإياه؛ فإنه مبتدع يدعو الناس إلى الضلالة، وإلا فلا تحضر مجلسي؛ فقلت: أنا عائذ بالله مما

قيل، وتائب إليه، وأشهدوا علي أني لا أدخل إليه.

وانظـروا مـاذا قـال في الـبيهقي الجهمي الأشـعري الكافر، لقد ذكر أنه (من كبار علماء المسلمين الذين نفـع الله الأمة بعلمهم).. وهذا غير صحيح، بـل الرجـل أشـعري مشهور، وقد قـال في كتابـه الأسـماء والصـفات: (البـاري جل ثناؤه.. كلامه ليس بحرف ولا صوت)! وقد سـبق حكم منكر الصوت.

وقال في الأسماء والصفات: (الله تعـالى لا مكـان لـه)! وقـد حكى حـرب الكرمـاني الإجمـاع على أن: (الجهميـة أعـداء اللـه: هم الـذين يزعمـون.. أن اللـه لا يعـرف للـه مكان)

بل إنه في الأسماء والصفات قـال عن حـديث اسـتلقاء ربنا سبحانه وتعالى(1): (إن صح طريقه يحتمـل أن يكـون النـبي ﷺ حـدث بـه عن بعض أهـل الكتـاب على طريـق الإنكار فلم يفهم عنه قتادة بن النعمان إنكاره)، وقـد قـال ابن القيم في (الصـواعق) ردا على هـذا القـول السـاقط: (أي نسبة جهل واستجهال لأصحاب رسـول اللـه ﷺ فـوق هذا؟! أنـه لا يمـيز أحـدهم بين كلام رسـول اللـه ﷺ وكلام الكفـار والمشـركين، ويمـيز بينهمـا أفـراخ الجهميـة والمعطلـة! وكيـف يسـتجيز من للصـحابة في قلبـه وقـار

---

1) يقصدون به الحديث الـذي رواه أبـو يعلى الفـراء في (إبطـال التاويلات 1:187 )، فقـد ورى بسـنده عن قتـادة بن النعمـان، قـال: سـمعت رسـول اللـه ﷺ يقـول: (إن اللـه لمـا فـرغ من خلقـه اسـتوى على عرشـه، واستلقى، ووضع إحـدى رجليـه على الأخـرى، وقـال: إنهـا لا تصـلح لبشـر..)، ونفس الحديث رواه عن محمد بن قيس، قال: جاء رجل إلى كعب فقـال: يـا كعب أين ربنا؟ فقال له الناس: دق اللـه فـاك أتسـأل عن هـذا؟ قـال لكعب: دعوه فـإن يـك عالمـا أزداد، وإن يـك جـاهلا تعلم، سـألت أين ربنـا وهـو على العرش العظيم متكئ واضع إحدى رجليه على الأخرى.

وحرمة أن ينسب إليهم مثل ذلك؟!)

وهكـذا نجـده في مواقفـه من جميـع المتكلمين كـابن الجوزي وابن حجر والنووي وغيرهم.. مـع أنـه يعلم تمامـا أنه لا عذر لعالم بالجهل، وقـد قـال في فتـاوى (نـور على الـدرب): (ليس في العقيـدة والتوحيـد توحيـد الربوبيـة والإلهية والأسـماء والصـفات ليس فيهـا عـذر.. يجب على المؤمن أن يعتقد العقيـدة الصـحيحة.. وليس لـه عـذر في التساهل في هـذا الأمـر الا إذا كـان بعيـدا عن المسـلمين في أرض لا يبلغه فيها الوحي فإنه معذور في هـذه الحالـة وأمره إلى الله ويكـون حكمـه حكم أهـل الفـترات.. وأمـا كونه بين المسـلمين ويبقى على الشـرك وإنكـار الأسـماء والصفات فهذا غير معذور بالجهل)

فهل ترون – معشر الحضـور- أن ابن الجـوزي لم يبلغـه القرآن فيعذر في نفيه لعلو الله وغير ذلـك من الصـفات.. ورحم الله عمر بن عبد العزيـز القائـل: (قـف حيث وقـف القـوم؛ فـإنهم عن علم وقفـوا، وببصـر نافـذ كفـوا.. فمـا فوقهم محسر، ومـا دونهم مقصـر، لقـد قصـر عنهم قـوم فجفوا، وتجاوزهم آخرون فغلوا، وإنهم فيما بين ذلك لعلى هدى مستقيم)

اسمعوا الطامة الكبرى التي نطق بها ابن باز حين قـال عن النووي: إنه (من كبار علماء المسلمين الذين نفع الله الأمة بعلمهم).. هل رأيتم مدى التمييع الذي وصل له؟

لقد قال محمد بن هادي المدخلي: (كـذاب الـذي يقـول النووي سلفي! والله كذاب حتى يموت.. هو أشـعري جلـد من أول كتاب مسلم إلى آخره)

قـال المحـامي: ولكن ابن بـاز ومعـه لم يحكمـوا على المذكورين بكونهم من أهل السنة مطلقا، بل ذكروا (أنهم من أهل السنة فيما وافقوا فيه الصحابة رضـي اللـه عنهم

وأئمة السلف في القرون الثلاثة)

قام المدعي غاضبا، وقال: ما أجمل ما تقول.. منذ متى صارت السنة والسلفية تتفتت.. السنة والسلفية – معشر الحضور- شيء واحد.. فإما أن نأخذ بها جميعا، أو ندعها جميعا..

لقد قال عتبة الغلام، وصدق: (من لم يكن معنا فهو علينا)

فهذه الموازنة رأي محض وليست من العلم في شيء لأن عبد الله بن عمر قال: (العلم ثلاثة: كتاب ناطق وسنة قائمة ولا أدري)

وقد نهينا عن النظر في الرأي واتباعه، كما قال عطاء: (ليس الدين بالرأي لكنه السمع)

والمقصود أنه لا يصير الرجل مهتديا حتى يلزم السنة ولا يخرج عن أصولها ولو في أصل واحد، كما قال سعيد بن جبير: (لزم السنة).. فمن لم يلزم أصول السنة كلها لم يكن مهتديا، بل يصير ملتحقا بركب أهل الضلال والهلكى، كما قال عبد الله بن مسعود: (يجيء قوم يتركون من السنة مثل هذا يعني مفصل الأنملة فإن تركتموهم جاءوا بالطامة الكبرى)

قال المحامي، وهو يقلب بعض الملفات: هذا عينه ما ذكره ابن باز، حيث قال في فتوى منشورة له: (من فعل بدعة؛ يقال له: مبتدع؛ هذا هو الأصل؛ من فعل بدعة؛ يقال له: مبتدع. لكن إذا كان جاهلا يعلم، ومتى تاب لا يسمى مبتدعا، وإذا أصر؛ يسمى: مبتدع)

ثم قلب ملفات أخرى، وقال: وقد سئل ابن باز: يقول الناس: إن ابن تيمية ليس من أهل السنة والجماعة، وإنه ضال مضل، وعليه ابن حجر وغيره، هل قولهم صدق أم

لا؟

فأجاب: (إن الشيخ أحمد بن عبد الحليم بن تيمية إمام من أئمة أهل السنة والجماعة، يدعو إلى الحق وإلى الطريق المستقيم، قد نصر الله به السنة وقمع به أهل البدعة والزيغ، ومن حكم عليه بغير ذلك فهو المبتدع الضال المضل، قد عميت عليهم الأنباء، فظنوا الحق باطلا، والباطل حقا، يعرف ذلك من أنار الله بصيرته وقرأ كتبه وكتب خصومه وقارن بين سيرته وسيرتهم، وهذا خير شاهد وفاصل بين الفريقين، وبالله التوفيق)

قام المدعي غاضبا، وقال: ألا ترى سيدي القاضي هذه المكاييل المزدوجة التي يحكم بها هؤلاء.. فالذي ينفي علو الله ويحرف الصفات ويرمي السلف بالتفويض ويطعن في الجارية التي قالت: (إن الله في السماء)، وينحى إلى الإرجاء ويسلك طرق التصوف، وهو ابن الجوزي يعتبرونه (إماما فاضلا، وعالما جليلا)

أما من يتكلم في ابن تيمية ولا يعتقد فيه الإمامة فهو مبتدع بلا مثنوية!!

يا قوم قليلا من التقوى! هل ابن تيمية أعز عليكم من الله؟!

***

بعد أن انتهى المدعي من توجيه التهم لأتباع ابن باز التفت إلى القفص الذي اجتمع فيه أتباع الألباني، وراح يقول: أما أنتم يا ألبانيين.. فجرائمكم وجرائم شيخكم لا تقل عن البازيين ..

فمخالفات شيخكم في نفسه لأهل السنة في باب الصفات كثيرة فضلاً عن مخالفاته لأهل السنة في باب التعامل مع أئمة التجهم والضلال.

فشيخكم الألبانيّ لفظيّ، يصرح بذلك ولا يستخفي، فقد قال في سلسلته الصوتية: قول الله تعالى {قُـلْ هُـوَ اللَّهُ أَحَدٌ } [الإخلاص: 1]هو كلام الله لكن أنا لما أتكلم فيه هو مخلوق، لفظي أنا مخلوق) إن هذه الكلمة وحدها - معشر الألبانيين - تكفي لإدانته وإدانتكم وتكفيره وتكفيركم..

بالإضافة إلى هذا فشـيخكم ممن يقـول بـأن اللـه معنـا بذاتـه، فقـد قـال في شـريط رقم (724) من سلسـلته: (الله مع المتقين معية ذاتية لا كيفية لها)

وقد ذكر حمود التويجريّ في رده على من قال بالمعيـة الذاتية قول المـروذي: قلت لأبي عبـد اللـه: إن رجلاً قـال أقول كمـا قـال اللـه: {مَـا يَكُـونُ مِنْ نَجْـوَى ثَلَاثَـةٍ إِلَّا هُـوَ رَابِعُهُمْ} [المجادلة: 7] أقـول هـذا ولا أجـاوزه إلى غـيره، فقال أبـو عبـد اللـه: هـذا كلام الجهميـة، بـل علمـه معهم فأول الآية يدل على أنه علمه.

وعقب عليه بقوله: (ليتأمل المبتلى بمخالفة أهل السنة والجماعة كلام الإمام أحمد حـق التأمـل حـتى يعـرف من كان يقول بالمعية الذاتية من أهل البـدع والضـلال ، وأنهم شر أهل البدع)

وسئل ربيع المدخلي: (هل صحيح بان الله اسـتوى على العـرش بذاتـه وأنـه معنـا بذاتـه؟ فقـال ربيـع: اللـه على العرش ومعنا بعلمه وسـمعه وبصـره لا بذاتـه تعـالى اللـه عن ذلك علوًا كبيرًا لأن هذا قول أهل الحلول وقـد كفَّرهم السلف)(1)

بالإضافة إلى هذا فالألباني ممن يرد أثر مجاهد ويتـواقح في ذلك، فقد قال في (السلسـلة الضـعيفة): (اعتقـاد أن الله يُجلس محمداً معه على العرش باطلاً بداهـة)، وقـال: (ومن العجائب التي يقـف العقـل تجاههـا حـائراً أن يُفـتي

1) الذريعة ج3 ص62.

بعض العلماء من المتقدمين بأثر مجاهد .. و إن مثـل هـذا الغلو لما يحمل نفاة الصفات على التشبث بالاستمرار في نفيها، و الطعن بأهل السنة المثبتين لها، و رميهم بالتشبيه و التجسيم و دين الحق بين الغالي فيه و الجافي عنه)

التفت إلى القاضي، وقال: ألا ترى سـيدي هـذه الجـرأة على السـلف، فالأئمـة الـذين أجمعـوا وتلقـوا أثـر مجاهـد بـالقبول عنـد الألبـاني المـأفون أصـحاب غلـو وعجـائب ويقولون بما هو باطل بداهة! ولا أدري هل للسفيه تعريف أجمع من هذا التعريـف؟! فـأف للألبـاني مـا أشـد غـروره وتعالمه، علما بأن الأئمة لم يقولوا فقط بأثر مجاهد رحمه الله تعالى، بل امتحنوا النـاس بـه وأخرجـوا من ينفيـه من السـنة وبـدعوه، فهم على مقتضـى قـول الجهـول ظلمـة أيضـا.. وحاشـا السـلف والأئمـة من هـذه الافترائـات والبهتان.

***

كانت المحاكمة طويلة جدا، ولا يمكنني بثها لكم جميعـا، فقد اتهم فيها كل من نعرفهم من كبار السـلفية بـالتمييع، ثم حكم عليهم بعـد ذلـك بمـا حكم بـه على المبتدعـة نفسهم، وهو الحرق.

وقـد حضـر لـذلك مسـبقا، حيث أنـه بمجـرد أن نطـق القاضـي بـالحكم، أشـعلت النـيران على تلـك الأقفـاص.. ولوحظت البهجة الشديدة على القاضـي والمـدعي وكثـير من الحضور.

أما السائق، فقد كان يكبر بزهو وخيلاء..

وأما صاحبي ربيع، فقـد امتلأ فرحـا وسـرورا لا أسـتطيع التعبير عنه.

أما ركاب الحافلة، فقـد امتلأوا رعبـا.. ولهـذا بمجـرد أن

توقفت الحافلـة فـروا هـاربين لا يلـوون على شـيء، وقـد تركوا بعض حقائبهم، ولم نرهم بعد ذلك.

# سنن الأكل

بعد أن نزل جميع المسافرين من الحافلة، ولم يبق إلا نحن الثلاثة: أنا وربيع والسائق، قال لنا السائق: مكافأة لكم على صدقكم، وأدبكم مع العلماء، سأمر بكم بعد نصف ساعة على مطعم من مطاعم إخواننا من السلفيين الأثريين مشهور بحفظ السنة وقمع البدعة.. وهو مختص بسنة من سنن الأكل قد فرط فيها أهل هذا الزمان، لكني بحمد الله لا أتوقف عن إحيائها كل حين، بل في كل يوم غير عابئ بما يذكره العصرانيون والعقلانيون والقرآنيون من شبههم المقيتة حول الكوليسترول وغيره.. فالسنة لا يعرفها إلا المحدثون، ولا شأن للعصرانيين ولا العقلانيين ولا القرآنيين بها.

قال ربيع: بورك فيك وفي إخلاصك وصدقك.. فما هي عسانا نوفق لما وفقت له من إحيائها؟

قال السائق: لن أتحدث عنها أنا.. سأدع فحلا من فحول السنة يحدثكم عنها.. لقد قمت بتسجيل حديثه فيها أثناء تطبيقنا لها.

وضع شريطا على التلفزيون ظهر فيه علم من أعلام السلفية الكبار، ضخم الجثة، يضع يديه على شاة مسلوقة، ويختار ذراعها، ويحمله بيده، ثم يقربه من فمه، وينشب فيه أنيابه وأضراسه، ثم يقول، والدهون تتقاطر على لحيته: انظروا إلى هذه الذراع.. إن أكلها سنة من أعظم السنن.. لقد ورد في الأحاديث أن رسول الله ﷺ كان يحبها، فقد حدثنا خلفنا عن سلفنا عن أبي هريرة قال: كنا مع النبي ﷺ في دعوة فرفع إليه الذراع، وكانت

تعجبه ..الحديث(1).

ثم أخذ كتف الشاة، وقال: وأكل هذه أيضا من السنة، فعن عمرو بن أمية الضمري، قال رأيت رسول الله ﷺ يحتز من كتف شاة، فأكل منها(2).

وبعد أن التهم ما التهم.. نادى بأن تقدم له كبد مشوية، وهو يصيح: هيا.. أسرعوا بالسنة الثالثة، فقد ورد في الحديث عن عبد الرحمن بن أبي بكر قال كنا مع النبي ﷺ.. فاشترى شاة فصنعت وأمر النبي ﷺ بسواد البطن أن يشوى(3) وسواد البطن كبد الشاة.

بعد أن التهمها جميعا، طلب أن يقدم له جنب شاة مشوية.. فالتهمها، وهو يقول: إن هذا أيضا من السنة، فقد حدثت أم سلمة أنها قربت إلى رسول الله ﷺ جنبا مشويا فأكل منه ثم قام إلى الصلاة وما توضأ(4).

وبعد أن التهمها جميعا نادى أن يقدم له بعض الدجاج، وهو يقول: أسرعوا لنا بالدجاج، فأكله أيضا من السنة، فقد ورد في الحديث عن أبي موسى الأشعري، قال رأيت النبي ﷺ يأكل دجاجا(5).

---

1) رواه البخاري ومسلم.

2) رواه البخاري ومسلم.

3) رواه البخاري ومسلم.

4) "رواه الترمذي وقال (1829) حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ..

5) رواه البخاري (5517) ومسلم (1649)..

لكن الرجل المكلف بإطعامه، اعتذر له بأن الدجاج غير موجود، فعبس في وجهه، وهو يقول: ما كان هذا عهدي بكم، في المرات الماضية كانت كل السنن متوفرة.. ما بالكم اليوم؟

قال الرجل: ظروف تمر بنا.. فاعذرنا.. وسنعوضها إن شاء الله في المرة القادمة.

لكن شابا من الحاضرين قال للشيخ: هلا سمحت لي سيدي بسؤال.

قال الشيخ: سل ما بدا لك.. فقد زكاني بحمد الله كل العلماء المعاصرين.. ولدي منهم إجازات.. بل إن بعضهم وصفني، فقال: (هو السنة تمشي).. وبعضهم ذكر بأن لحمي صار من اللحوم المسمومة التي يحرم نهشها، أو الاقتراب منها.

قال الشاب: لقد قرأت في بعض المراجع بأن رسول الله ﷺ كان يعصب الحجر على بطنه من الجوع.. فهل ذلك صحيح؟

قال الشيخ: أجل، لقد ثبت ذلك في عدة أحاديث منها ما رواه أحمد بإسناد صحيح عن جابر قال: لما حفر النبي ﷺ وأصحابه الخندق أصابهم جهد شديد حتى ربط النبي ﷺ على بطنه حجراً من الجوع.

ومنها ما رواه ا مسلم عن أنس قال: جئت رسول الله ﷺ يوماً فوجدته جالساً مع أصحابه يحدثهم وقد عصب بطنه بعصابة، قال أسامة (أحد رواة الحديث): وأنا أشك على حجر، فقلت: لبعض أصحابه: لم عصب رسول الله

ﷺ بطنه؟ فقالوا: من الجوع.

وكذلك ما رواه الطبراني في معجمه الكبير والأوسط عن أنس قال: أتى أبو طلحة أم سليم، وهي أم أنس، وأبو طلحة رابُّه، فقال: عندك يا أم سليم شيء فإني مررت على رسول الله ﷺ وهو يقرئ أصحاب الصفة سورة النساء وقد ربط على بطنه حجراً من الجوع... إلى آخر الحديث بطوله.

قال الشاب: وقد سمعت أيضا بأن رسول الله ﷺ كان لا توقد النار في بيته المدد الطويلة..

قال الشيخ: أجل ذلك صحيح.. لقد ذكرت أم المؤمنين عائشة حياتها مع النبي ﷺ، فقالت: كان يأتي علينا الشهر، وما نوقد فيه نارا، إنما هو التمر والماء، إلا أن نؤتى باللحم)(1)، وقالت:( والذي بعث محمدا بالحق نبيا ما رأى منخلا، ولا أكل خبزا منخولا، منذ بعثه الله إلى أن قبض، قيل، كيف كنتم تصنعون؟ قالت: كنا نقول أف أف(2).. وقالت: ما شبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام تباعا حتى مضى لسبيله(3).. وقالت: ما اجتمع في بطن رسول الله ﷺ طعامان قط، إن أكل لحما لم يزد عليه، وإن أكل تمرا لم يزد عليه، وإن أكل خبزا لم يزد عليه(4).

---

1) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.. والأقوال التي تلي قولها هـذا روايات في الحديث، وقد اخترنا اعتبارها أحاديث قائمة بذاتها.

2) رواه أحمد.

3) رواه البخاري ومسلم والبيهقي.

4) رواه ابن سعد.

قال الشاب: فقد ثبت بقولك هذا سيدي أن رسول الله ﷺ لم يكن يأكل من أمثال هذه المآكل إلا على سبيل الندرة.. وأنه في أكثر حياته كان زاهدا أقرب إلى الفقر منه إلى الغنى.. بل إني على حسب ما طالعت من سيرته كان أفقر من أفقر الفقراء عندنا.

قال الشيخ: اسكت ويلك.. ما تقول.. نعم هو لم يكن يتنعم في الدنيا بمثل ما نتنعم به.. ولكن ذلك كان خاصا به.. فالله تعالى خصه بهذا الأمر حتى لا تشغله الدنيا عن رسالته.. اسمع كيف يخاطبه الله تعالى:{ لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ} (الحجر:88)، وقال تعالى:{ وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى} (طـه:131)

بل إن نساء النبي ﷺ اشتكين من شدة العيش التي كن يعشنها، فنزل القرآن الكريم يخيرهن بين تلك الحياة التي فرضت على رسول الله ﷺ بحكم وظيفته الخطيرة، وبين السراح للتمتع بما شئن من الحياة الدنيا، قال تعالى:{ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (28) وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآَخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا (29) } (الأحزاب:28-29)

ويدل لهذا من السنة ما وراه أحمد، والبيهقي في الشعب، وابن أبي حاتم والديلمي عن عائشة قالت: ظل رسول الله ﷺ صائما، ثم طوى، ثم ظل صائما، قال: (يا عائشة إن الدنيا لا تنبغي لمحمد، ولا لآل محمد، يا عائشة

إن الله تعالى لم يرض من أولي العزم من الرسل إلا بالصبر على مكروها، والصبر على محبوبها، ثم لم يرض مني إلا أن يكلفني ما كلفهم، فقال:{ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ } (الاحقاف: 35).. والله لأصبرن جهدي، ولا قوة إلا بالله)

وروى أحمد في الزهد، وابن أبي حاتم، والحاكم، وابن مردويه، عن أم عبد الله بنت شداد بن أوس أنها بعثت إلى رسول الله ﷺ بقدح لبن عند فطره، وهو صائم فرد إليها رسولها، أنى لك هذا اللبن؟ قالت: من شاة لي، فرد إليها رسولها، أنى لك الشاة؟ فقالت: اشتريتها من مالي، فشرب منه، فلما كان من الغد أتته أم عبد الله، فقالت: يا رسول الله بعثت إليك بلبن، فرددت إلي الرسول فيه، فقال لها: (بذلك أمرت الرسل لا تأكل إلا طيبا، ولا تعمل إلا صالحا)، ولهذا خرج ﷺ من الدنيا ولم يشبع..

أما نحن فقد ورد الأمر الألهي إلينا صريحا بأن نعب من الدنيا من أبوابها الحلال جميعا، ألم تقرأ قوله تعالى : {قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ } [الأعراف: 32]

قال ذلك، ثم نظر إلى الشاب بجفاء، وقال: أرى أن بك لوثة من الصوفية.. فهم الذين يركزون على أمثال تلك الأحاديث ليضيقوا علينا ما وسعه الله من ديننا.. وقد نسوا أن الله جعل لنا – معشر السلفيين الأثريين أصحاب الفرقة الناجية - الدنيا والآخرة نتنعم فيهما جميعا.

## نهاية الحكاية

ما وصل الشيخ إلى حديثه هذا حتى وصلنا إلى المطعم الذي حدثنا عنه السائق، وقد كان ممتلئا بأمثال الشيخ، يحضر لذلك المطعم ليطبق أمثال تلك السنن.

ومن العجيب أنهم كلهم ضخام الجثث، يذكرونك بما ورد في الأثر: (ن الله يبغض الحبر السمين) ([1])

بعد أن دخلنا المطعم، ورأيت تلك الوحوش البشرية وهي تلتهم فرائسها بشره شديد، سدت علي نفسي، ولم أطق أن آكل قليلا أو كثيرا..

رآني السائق، فقال: ما بالك.. أبك لوثة من الصوفية أو الزهاد.. أولئك المجرمين الذين حرفوا الدين.

قلت: لا.. إنما هي علة أصابتني سدت علي نفسي.. فلم أطق أن آكل قليلا أو كثيرا.

قال السائق: عرفتها.. أنت مسحور بلا شك.. إن شئت أن أعرضك على بعض الرقاة من أصدقائي.. فسيخلصونك من جميع السحرة والعفاريت.

قلت: لا.. إنما هي حالة طارئة.. فلا تقلق علي.

قال السائق: لا بأس.. لكن لا تتردد إذا وصلت إلى بلدك أن تزور الرقاة ليخلصوك من السحرة والعفاريت.

بعد أن التهم صديقي مع السائق كل ما شاءت لهما نفسيهما من أنواع اللحوم، ركبنا الحافلة لنواصل الطريق.. لكنا ما إن سرنا قليلا حتى شعر صاحبي بألم شديد.. مما اضطر السائق إلى التوقف والنزول من الحافلة، وهناك امتدا على جانب الطريق، وهما بين الحياة والموت من شدة الألم.

---

1) واه ابن أبي حاتم في التفسير (4/1342)

انتظرت وقتا طويلا إلى أن مـرت بنـا في تلـك الطريـق الصعبة والنائية حافلة، فأوقفتها، وقد كانت المفاجـأة أنهـا الحافلة الأولى التي حصل لنا مع سائقها ما حصل..

نزل السائق، ونزل معه بعض الركاب، وحملوا صاحبي..

عندما سارت بنا الحافلة رأيت عالما جميلا يختلف تماما عن العـالم الـذي كنت فيـه.. لقـد رأيت الإيمـان والتقـوى والمحبة تشع بين أساريرهم ..

وقد صادف أن سمعنا في الوقت الذي ركبنا فيه قصائد جميلة في مدح رسول اللـه ﷺ طـربت لهـا كثـيرا.. وكـان الكل يطرب لذلك، ويردد مع المنشدين ..

وقد التفت إلى صاحبي ربيـع، وهـو يئن بصـوت خـافت، ويحاول أن يرفع صوته، لكنه لا يستطيع .. قربت أذني من فمـه لأسـمع مـا يـردد، فـإذا بـه يقـول: (شـرك.. شـرك.. شرك)

***

بعـد أن أنهى حديثـه، سـألته عن حـال السـائق وربيـع، فقال: لقد اضطررت مرة إلى الذهاب إلى الجنـوب، وقـد صـادف أن ركبت من غـير أن أقصـد حافلتـه، وقـد عجبت عجبا شديدا من الحال التي تحول إليها.. فقد حلـق لحيتـه ووضع قلادة على رقبته.. وبمجرد أن ركبنا وضع موسـيقى صاخبة آذت بعض الحضور، فطلب منه أن ينقص الصوت، فرفض، وقـال: من يعجبـه السـماع يـركب معنـا، ومن لم يعجبه فالحافلات كثيرة.

تعجبت من حالـه، واقـتربت منـه، وقلت: ألسـت أنت الـذي ركبت معـك مـرة، وأصـابك مـا أصـابك من اللحـوم المسمومة؟

حدق النظر في، وقال: أهلا وسهلا.. كيف حالك؟ أجل ذاك هو أنا.

قلت: ألا ترى أنك تغيرت كثيرا؟

قال: بلى.. لقد رأيت من الأسلم لي عند ربي.. وحتى أضمن الجنة أن أعيش مع المنحرفين الفاسقين.. فذاك أرحم لي.. لأني رأيت أن كل أصحاب اللحوم المسمومة يكفر بعضهم بعضا، بينما المنحرفون والفاسقون لا يجرؤ أحد على تكفيرهم.. وقد دعاني ذلك إلى اختيار هذا السبيل.. فلأن أموت فاسقا خير من أن أموت كافرا.. نعم قد أعذب قليلا في الآخرة.. ولكني إن اتبعت أصحاب اللحوم المسمومة فسأعذب لا محالة أبد الأبد.

قلت: وما حال صديقك ربيع؟

قال: لقد التحق مع كثير من رفاقه بتنظيم الدولة الإسلامية، وبمجرد انضمامه إليهم، اختلفوا في بعض اللحوم المسمومة، فقام بتفجير نفسه فيهم.. فمات وماتوا جميعا.